بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله خير الأسماء في الأرض وفي السماء والصلاة والسلام على سيد الرسل وخاتم الأنبياء وعلى آله الأصفياء والأنقياء وعلى صحابته أجمعين الغر الميامين الأتقياء وعلى جميع الرسل والأنبياء.

وبعد ، ، ،

تعليقاتي على خطبة الدكتور عدنان إبراهيم (عودة عيسى عليه السلام بين الإقرار والإنكار)

تاريخ الخطبة: ١٣/٤/٢٠١٢ م

رابط الخطبة:

http://www.youtube.com/watch?v=5qYsDM5gzAk

رابط آخر:

http://www.youtube.com/watch?v=akYfhLdd6V0

١/ قال الدكتور بعد أن سرد أسماء بعض مشايخ العصر الحديث الذين أنكروا الإيمان بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان [وقد وبَيَّن أن أول من أنكر ذلك منهم هو محمد عبده] قال في الدقيقة [٩:٣٧ – ٩:٤٧].:

((لست أول من قال بهذا لكنني مقتنع ولي أدلتي الخاصة أيضاً مما فتح الله تبارك وتعالى به عليّ و لم أُسبق إليه من النظر في كتاب الله تعالى وغيره)).

الرد:

أولاً:

من المؤسف أن يضرب الدكتور عدنان إبراهيم بكلام علماء الأئمة وأئمتها من شوامخ أهل العلم عبر قرون متطاولة تربو على الإثني عشر قرناً هجرياً عرض الحائط ويأخذ بقول محدَثٍ لم يظهر إلا في أواسط القرن الثالث عشر الهجري وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي فأول من قال به ممن ذكرهم على هذا الرأي المحدَث هو محمد عبده الذي ولد سنة ١٨٤٩م وتوفي سنة ١٩٠٥م.

وفي الحديث الذي ذكره الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: (**سيكون في آخر الزمان ناس من أمتي يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم و لا آباؤكم فإياكم و إياهم**). انتهى.

يقول الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام":
(أما إيراده كلام الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد والشيخ المراغي دليلاً على وجود الخلاف في المسألة فمغالطة باردة مكشوفة لأن من له أدنى مساس بعلم الأصول يعلم أن المعتبر في الإجماع كلام المجتهدين الذين تقوم بهم الحجة وهم ورثة الأنبياء كما ورد في الحديث.

أما العوام فلا عبرة بخلافهم ولا وفاقهم وإن كانوا يحملون ورقة تسمى شهادة العالمية. بل يكون الإجماع حجة عليهم يعصون بمخالفته كما هو مقرر في محله). انتهى.

ومن البديهي أن يسأل المرء كيف انطلت هذه العقيدة الباطلة [بحسب قناعة الدكتور عدنان] على كل علماء الأمة طيلة هذه القرون و لم يكتشف عوارها وبطلانها إلا محمد عبده ابن القرن التاسع عشر الميلادي؟!!. وسيأتي معنا لاحقاً بإذن الله تعالى مزيد التفصيل في هذه النقطة.

ثانياً وأخيراً:

إن ما ذكره من أن له أدلته الخاصة مما فتح الله تعالى به عليه والتي لم يُسبق إليها من النظر في كتاب الله تعالى وغيره ينطبق عليها تساؤلنا السابق إذ كيف يعمي الله تعالى علماءه طيلة كل تلك القرون الماضية عن هذه الأدلة و لم يفتح بها إلا على الدكتور عدنان في القرن الميلادي الواحد والعشرين؟!!.

ونحن لا نحجر على الله تعالى فضله الذي يؤتيه من يشاء ونعلم حديث النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين الذي جاء فيه كما في سنن الترمذي: (نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع فرُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع). انتهى. ولكن من علامة تحقق ذلك فيما يُفتح به على المرء حتى يكون من فضل الله تعالى الذي يؤتيه من يشاء وعلامة كونه فتحاً ربانياً لا فتحاً شيطانياً والعياذ بالله تعالى ألا يتعارض بالكلية مع كل من سبقه من فحول علماء الأمة ومع ما تواترت عليه الأمة جيلاً بعد جيل وتلقته بالقبول قروناً عديدة.

إذ من البديهي أن هذه الأمة لا تجتمع على باطل فهذا يتنافى مع خيريتها المثبتة بقوله تعالى: {كُنْتُمْ **خَيْرَ أُمَّةٍ** أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران:١١٠]. وكيف تكون خير الأمم وهي مجتمعة طيلة هذه القرون المديدة على عقيدة باطلة تلقفتها من اليهود والنصارى على رأي الدكتور عدنان [كما سيأتي معنا قوله هذا لاحقاً بإذن الله تعالى]؟!!.

وكيف يكون هذا حال علماء وأئمة خير الأمم عبر تلك القرون كلها والله تعالى يقول: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر:٩]. ففي أي الفريقين كان علماء خير الأمم طيلة هذه القرون إن سلَّمنا بأنهم كانوا على باطل؟ أفي الذين يعلمون أم الذين لا يعلمون؟!!.

وفي الحديث كما في سنن أبي داود: (وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء. وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً ورَّثوا العِلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر). انتهى. فهل خلت الأمة طيلة هذه القرون من علماء الحق ورثة الأنبياء وهي مع ذلك خير الأمم؟!!.

وكيف يقول الله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ **لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ** مِنْهُمْ} [النساء:٨٣]. وقد خلت الأمة من هؤلاء الذين يستنبطونه طيلة هذه القرون فلمن كان عليهم أن يردوه إذاً طيلة هذه القرون المديدة؟!!.

هذا من حيث المبدأ والذي سنشدد التأكيد عليه مراراً وتكراراً لأهميته ولأنه مما ينبغي أن يوضع نصب أعيننا في كل مسألة تخالف ما أجمعت عليه الأمة في القرون الأولى. وأما من حيث التفاصيل فسيأتي معنا بإذن الله تعالى لاحقاً التعقيب على هذه الأدلة التي سيذكرها الدكتور عدنان في خطبته في حينه.

٢/ قال الدكتور في وصفه لما عليه إجماع أئمة وعلماء أهل السنة والجماعة على مر القرون [وخاصة القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية من النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين] من الاعتقاد بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان. قال الدكتور مستنكراً مستهجناً في الدقيقة [٩:٥٥ – ١٠:٠٣]:

((على ماذا اعتمدت الأمة عبر القرون الطويلة المتتابعة أيها الإخوة في تأسيسها للاعتقاد بهذه العقيدة العجيبة !!)).

الرد:

أولاً:

وصفه لهذه العقيدة بالعقيدة العجيبة استنكاراً واستهجاناً لهي العجيبة العظمى من عجائب هذا الزمان بعد إقراره بأنها عقيدة الأمة طيلة القرون الماضية وإذا ما علمنا أنها عقيدة الأئمة الأربعة جميعاً رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم دون خلاف وهم أئمةُ أئمةِ الأمة زاد عجبنا.

فعلى سبيل المثال لا الحصر فقد ذكر الإمام الطحاوي (المتوفى عام ٣٢١ هـــ) هذه العقيدة في عقيدته المشهورة "العقيدة الطحاوية" فقال:
(ونؤمن بأشراط الساعة منها: خروج الدجال. ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء. ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها. وخروج دابة الأرض من موضعها). انتهى.

وهذه العقيدة الطحاوية وما اشتملت عليه صدّرها الإمام الطحاوي بقوله:
(هذا ذكر بيان **عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة:** أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني – رضوان الله عليهم أجمعين – وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين). انتهى.

ويعلق الشيخ عبد الله الهرري الشافعي (المتوفى سنة ٢٠٠٨م) على ذلك بقوله:
(يقول الطحاوي إن هذه الرسالة هي ذكر عقيدة أهل السنة والجماعة على حسب ما قرره أبو حنيفة وأبو يوسف يعقوب بن إبراهيم وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني. أي من حيث سبك العبارات أضع هذه الرسالة على أسلوب هؤلاء الأئمة الثلاثة. **أما من حيث المعنى فهو مذهب أهل الحق أهل السنة والجماعة كلهم بلا استثناء. وهؤلاء الثلاثة من السلف** لأن أبا حنيفة توفي سنة مائة وخمسين. ثم توفي صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن بعد نحو ثلاثين سنة من وفاة أبي حنيفة. **والسلف أهل القرون الثلاثة الذين ذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)**. رواه البخاري). انتهى.

ويقول العلامة الغزنوي (المتوفى عام ٧٧٣هــ) في شرحه على العقيدة الطحاوية شارحاً معنى (أهل السنة والجماعة) المشار إليهم في كلام الطحاوي:

(ولكن المراد به هاهنا [أي مصطلح السنة]: الطريق التي كان عليها النبي عليه الصلاة والسلام وأُمِر بالدعاء إليها بقوله تعالى: { قُلْ **هَذِه سَبِيلِي** أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا **وَمَنِ اتَّبَعَنِي**} [يوسف:١٠٨]. والمراد بالجماعة: الصحابة والتابعون لهم بإحسان. وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: (وهو الطريق الذي أنا عليه وأصحابي). **وإنما سميت هذه الطريقة "طريق أهل السنة والجماعة" لأنها مخالفة لطريق أهل الهوى والبدعة**). انتهى.

ويقول معلقاً على وصف الإمام الطحاوي لأبي حنيفة وتلميذيه بفقهاء الملة:

(وإنما سمي أبو حنيفة وصاحباه بـــ "فقهاء الملة" وهي الدين الحنيفي الذي بُعث النبي صلى الله عليه وسلم به **لأنهم أرفع العلماء شأناً وأقواهم حجة وبرهاناً والسابقون في تمهيد الأصول والفروع الجامعون بين الرأي الصحيح والمروي المسموع. باعتبار أن الفقيه هو العالِمُ بأحكام الشرع بدلائلها والعاملُ بها. وهم جمعوا بينهما**. أما العلم فقد ظهرت آثاره في الشرق والغرب. قال وكيع: فُتح لأبي حنيفة في الفقه والكلام ما لم يُفتح لغيره ... وصح عن الشافعي رحمه الله أنه قال: الناس كلهم عيال على أبي حنيفة في الفقه. قال أحمد بن الصباح: سمعت الشافعي يقول لمالك بن أنس: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم. رأيته رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته. وأما العمل فقال علي بن يزيد: رأيت أبا حنيفة ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة. ختمة بالليل وختمة بالنهار ... **فلما تحقق عند أبي جعفر الطحاوي الذي هو إمام المحدثين أنهم جمعوا بين العلم والعمل وأن مذهبهم عمدة أهل السنة والجماعة سماهم فقهاء الملة** واختاره لنفسه. **وذلك لأن أبا حنيفة وُلد في عصر الصحابة ورَوى عن بعضهم. وتفقه في زمن التابعين وناظر معهم فكان منهم** وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه على ما نطق به الكتاب العزيز وشهد النبي بخيرتهم حيث قال صلى الله عليه وسلم: (**خير القرون الذي أنا فيه ثم الذين يلونهم**..) الحديث). انتهى ببعض اختصار.

وعلى هذا فالعقيدة التي ينبغي وصفها استهجاناً بالعجيبة هي كل عقيدة خالفت ما كان عليه أئمة هذه القرون الخيرية لا العكس فهؤلاء من أُمرنا باتباعهم واعتقاد معتقدهم ففي سنن الترمذي:

(عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس. إني قُمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال: (**أوصيكم بأصحابي. ثم الذين يلونهم. ثم الذين يلونهم. ثم يفشو الكذب** حتى

يَحلف الرجل ولا يُستحلف. ويَشهد الشاهد ولا يُستشهد. ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان. **عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة** فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد. **من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**. من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن) – هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة. وقد رُوي هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم). انتهى.

وهذا كالنص الصريح الصحيح في وجوب اتباع الأئمة الأربعة ومذاهبهم ومعتقداتهم لأنهم هم الجماعة وكل من خالفهم فهم دعاة إلى الفرقة لا للجماعة. وليسوا من الجماعة في شيء لأنهم وإن كثروا فهم قلة في جانب الجماعة أتباع المذاهب الأربعة وأتباع أئمة القرون الخيرية الأولى الموصى باتباعهم في هذا الحديث.

وهذه العقيدة لم يأت بها أئمتنا وعلماؤنا من عند أنفسهم بل علموها واستنبطوها من القرآن ومما تواتر عندهم نقله من أحاديث تقول بهذه العقيدة. **وإن جاز لمثلنا أن يتشكك في صحتها لأن بيننا وبين رواتها قروناً عديدة فكيف يجوز ذلك في حق أئمة السلف وعلى رأسهم الأئمة الأربعة المجتهدون وهم الركيزة الأساسية لهذا الدين وعلومه وقد تلقوها مباشرة عن سادة التابعين الذين تلقوها عن جمهرة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والذين تلقوها بدورهم عن النبي المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين؟!!**. فليس لنا بعد ذلك إلا أن نسلم لهم ونأخذ عنهم.

وهكذا أوصى القرآن قبل الحديث باتباع هؤلاء العلماء المستنبطين المجتهدين في فهومهم فقال تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ **لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ** مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء:٨٣].

ثانياً وأخيراً:

كون هذه العقيدة عجيبة فهي كذلك عجيبة على عقولنا لكنها ليست بعجيبة على الله تعالى وقدرته. ولو تأملنا **لوجدنا تشابهاً كبيراً** من حيث العموم بين العجيب في توفي سيدنا عيسى عليه السلام ورفعه حياً وحمايته من كيد أعدائه أعداء الله تعالى واختفائه عن الأنظار ثم ظهوره مجدَّدَاً في آخر الزمان وبين العجيب

في توفي أصحاب الكهف بالنوم وهم أحياء وحمايتهم من كيد أعدائهم أعداء الله تعالى واختفائهم عن الأنظار ثم ظهورهم مجدَّداً بعد أن لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً.

ثم تأمل بعد ذلك وصف الدكتور عدنان استهجاناً لهذه العقيدة بـــ "العجيبة" وقوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ **كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا**} [الكهف:٩]. فكأنه تعالى يقول لنبيه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إن كان ما كان من شأن أصحاب الكهف وأمرهم عجيباً فثمة ما هو أعجب من ذلك من آيات الله تعالى (ومنها نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان).

والآية وإن كانت خطاباً للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين لكنها على غرار [إياك أعني واسمعي يا جارة] فكأنه تعالى ينبهنا [وخاصة منا الذي يسارع إلى إنكار كل ما لا يروق لعقله من الآيات والمعجزات] إلى ألا نستعجب ونستعظم ونستبعد على قدرة الله تعالى هذه الآية العجيبة فهي [كغيرها من الآيات] لا شيء بجانب قدرة الله تعالى. وهي لا شيء بجانب آياته وعجائبه التي لا تحصى في هذا الكون **فَلِمَ العجب؟!!.**

٣/ قال الدكتور واصفاً عقيدة الإيمان بعودة ونزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان في الدقيقة [١٠:٠٣ – ١٠:٣٠]:

((وهي عقيدة نصرانية (!!) هي في الحقيقة وفي الأصل عقيدة يهودية نصرانية (!!). اليهود يعتقدون إخواني وأخواتي أن مسيحهم المنتظر الموعود سيعود (!!) في آخر الزمان وسينتصر لهم من سائر أعدائهم أو من جميع أعدائهم فهو مسيح موعود أيها الإخوة. وأما النصارى فيعتقدون بعودة المسيح على أنهم يرونه رباً)).

الرد:

أولاً:

يقصد الدكتور عدنان بهذا القول كما سيأتي تبرئة الإسلام الحق من هذه العقيدة بحسب ما يراه على ما سيأتي مفصلاً معنا لاحقاً بإذن الله تعالى.

وقد سبق أن أكدنا وبإقرار الدكتور عدنان نفسه أن هذه عقيدة **مُتَّفَقٌ عليها إجماعاً** من أئمة التابعين الذين عاصروا الصحابة **وتلقوا عنهم هذه العقيدة**. والصحابة بدورهم رضي الله تعالى عنهم **تلقوها عن النبي** صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. ثم **عن التابعين توارث تابعو التابعين هذه العقيدة**. وَهُم وَرَّثوها بدورهم لمن بعدهم **خلفاً عن سلف**.

وقد تكفل الله تعالى لهذا الدين بالحفظ جيلاً بعد جيل من خلال علمائه الأثبات الثقات الراسخين في العلم الذين لا يخلو منهم زمان بفضل الله تعالى وحفظه لهذا الدين. وهؤلاء العلماء (وأخُص بالذكر منهم علماء القرون الخيرية الأولى وأخُص من هؤلاء أيضاً الأئمة الأربعة) هم أعرف مِن غيرهم بما هو يقيني لا يحتمل اختلافاً ولا تأويلاً وبما يحتمل ذلك.

ومَن يَظن أن هؤلاء العلماء يتلقون الأقوال عن كل من هب ودب بمن فيهم اليهود والنصارى فهو واهم. فهم قطعاً لا يُجمعون على قول كما لا يختلفون على مسألة إلا بعد تمحيص وتدقيق **وغربلة للنصوص وقائليها** مميزين بين مَن يُؤخذ عنه ومَن لا يُؤخذ عنه. وبين ما يُؤخذ به من النصوص والأقوال وما يُترك.

فلو كانت هذه العقيدة مما اختلفوا فيه لكان في الأمر سعة. أما وقد اتفقوا على هذه العقيدة فكيف يُعقل أن يَتفق هؤلاء جميعاً **ليس فقط في القرون الخيرية الأولى بل وإلى قرون متطاولة بعدها** بإقرار الدكتور عدنان **كيف يُعقل أن يتفقوا على ما هو باطل؟!!** وفي الحديث كما في كشف الخفاء لمحدث الشام في عصره الإمام العجلوني (المتوفى عام ١١٦٢هـ): ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس **كل مائة سنة من يجدد لها دينها**) – رواه أبو داود عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأخرجه الطبراني في الأوسط عنه أيضًا بسند رجاله ثقات. وأخرجه الحاكم من حديث ابن وهب وصححه. وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث). انتهى.

وتأكيداً على أن أئمتنا وعلماءنا الذين هم ورثة الأنبياء كما في الحديث **لا يَقبلون كل قول ولو أُسند للنبي** صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين هذا من جهة وتأكيداً من جهة أخرى على **تكفل الله تعالى حفظ هذا الدين من التحريف والتبديل والتغيير وإدخال فيه ما ليس منه ومن ثم وجوب اتباعهم فيما أجمعوا عليه** لمن أراد اتباع الحق ولمن أراد لنفسه النجاة أَنقلُ النقلَ النفيس التالي مما يصلح **نصيحة ذهبية** من كتاب شرح مشكل الآثار للإمام الطحاوي رحمه الله تعالى حيث يقول معقباً على حديث ذكره:

(.. العلماءُ الذين تدور عليهم الفتيا في الأمصار من وجوه أهل الحجاز ومن وجوه أهل العراق وممن سواهم من وجوه بقية أهل الأمصار **لم يستعملوا هذا الحديث بالقَبول له ولا بالعمل به**. فكان ذلك منهم إخراجاً له أن يكون من الآثار المستعملة وأن يكون من الآثار المقبولة. ودل ذلك منهم أن يكونوا تركوه لأنهم لم يجدوا لعوسجة [أحد رواة الحديث المعني] الذي يَرْجعُ إليه [أي الحديثُ لم يجدوا له] ذكراً في غير هذا الحديث. أو يكونوا تركوه لمعنى وقفوا عليه فيه لم يجز معه استعماله ... وما احتمل من التأويل ما قد ذكرنا لم يكن بأحدٍ ما يحتمله أَولى به مما يخالفه مما يحتمله أيضاً إلا بدليل عليه. إما من آية مسطورة أو سنة مأثورة أو من إجماع من العلماء عليه. وذلك كله غير موجود فيما يوجب هذا المعنى. بل الذي قد وجدناه **مما العلماء عليه من خلافه يوجبُ أن يكون قولاً شاذاً لا يجب قَبوله من قائله**. **ويكون قول العامة من العلماء حجة عليه. ولا يكون قوله حجة عليهم ولا معارضاً لأقوالهم**. لأنهم الخلف الذين أخذوه عن السلف الذين كانوا قبلهم. وكذلك كان من قبلهم خلفاً للسلف الذين كانوا قبلهم. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأخلاف ما قد حدثنا ابن أبي داود قال: حدثنا محمد بن عبد العزيز بن محمد الواسطي قال: حدثنا بقية بن الوليد عن رزيق أبي عبد الله الألهاني عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يَحملُ هذا العلمَ من كُلِ خَلَفٍ عُدُولُه** [أي أهل الاستقامة المرضية أقوالهم وأحكامهم] **يَنفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**). قال أبو جعفر [الطحاوي]: والأخلاف: هم الذين ذكرنا **ممن يؤخذ العلم عنهم ويُرجع فيه إلى أقوالهم. لا مَن سِواهم ممن لا يؤخذ العلمُ عنه. ولا يُرجَع إلى قوله فيه لشذوذه الذي قد شذه ولانفراده الذي قد انفرد به** والله عز وجل نسأله التوفيق). انتهى ببعض اختصار.

والحديث (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله..) قال عنه ابن الوزير اليماني (المتوفى عام ٨٤٠هـــ) في كتابه العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم:

(وهو حديث مشهور صححه ابنُ عبد البرّ. ورُوي عن أحمد بن حنبل أنه قال: هو حديثٌ صحيح. قال زينُ الدِّين: وفي كتاب "العلل" للخلاَّل أن أحمد سُئِلَ عنه فقيل له: كأنه كلامُ موضوع؟ فقال: لا. هو صحيح. فقيل له: ممَّن سمعتَه؟ فقال: مِنْ غيرِ واحدٍ. فقيل له: من هم؟ قال: قد حدثني به مسكين إلا أنه يقول عن مُعان عن القاسم بنِ عبد الرحمن. قال أحمد: ومُعان لا بأس به ووثَّقَهُ ابن المَديني أيضاً. قلت: قولُه (حدثني به مسكين غير أنه يقول: القاسمُ بنُ عبد الرحمن) يعني أن مسكيناً تَابَعَ مُعَانَ بنَ رِفاعة إلا أنه وهم في اسم إبراهيم ابن عبد الرحمن فقال القاسم مكان إبراهيم. قال زين الدِّين: وقد ورد هذا الحديثُ

مرفوعاً مسنداً مِن حديث أبي هُريرة، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وأبي أمامة، وجابر بن سمرة، وكُلُّها ضعيفة). انتهى.

ثم شرع ابن الوزير في سرد ما قيل في الحديث من أقوال فيها تضعيف للحديث ثم ردها وخَلُص إلى تصحيح الحديث أو تحسينه بقوله: (وقد رُوِيَتْ له شَواهدُ كثيرةٌ كما قدَّمتُه مِن حكاية زينِ الدين وضعفُها لا يَضُرُّ لأن القصدَ التقوِّي بها لا الاعتماد عليها مع أن الضعفَ يُعْتَبَرُ بِهِ إذا لم يكن ضعيفاً بمرة أو باطلاً أو مردوداً أو نحو ذلك. فهذه الوجوهُ مَعَ تصحيحِ أحمد وابنِ عبد البر وترجيح العقيليِّ لإسناده مع أمانتهم واطلاعهم يقتضي بصحته أو حُسنه –إِن شاء الله تعالى–). انتهى.

ثانياً:

إذا كان يرمي بقوله هذا إلى أن أول من قال بهذه العقيدة هم اليهود ومِن بعدهم النصارى مما يُسيغ له القول بأنها في الحقيقة وفي الأصل عقيدة يهودية نصرانية ففي المقابل وبناءً على أن أول من قال بعكس هذه العقيدة وقال بوفاة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام موتاً طبيعياً وأنه لن يعود للحياة مجدداً هو القادياني المتنبئ الكذاب ميرزا غلام أحمد القادياني في سنة ١٨٩١م ثم صارت عقيدة عند القاديانية يحق لنا إذاً أن نقول عن هذه العقيدة التي يؤمن بها الدكتور عدنان إبراهيم أنها في الحقيقة وفي الأصل **عقيدة قاديانية**.

فإن كان هذا لا يضير الدكتور أن تكون عقيدته في هذه المسألة عقيدة قاديانية في الأصل فمن باب أولى ألا يضيرنا أن تكون عقيدتنا في هذه المسألة في الأصل عقيدة يهودية نصرانية فهم على الأقل من أهل الكتاب خلافاً للقادياني المتنبئ الكذاب.

ملاحظة:

توافق الدكتور عدنان في عقيدته وقناعته كما نوهنا مع ما ادعاه أولاً القادياني المتنبئ الكذاب في اعتقاد موت سيدنا عيسى عليه السلام موتاً طبيعياً وأنه لم يرفع إلى السماء بل بقي ومات ودفن في الأرض كغيره من البشر عليه السلام إلا أن الأخير زاد على ذلك وتناقض مع نفسه عندما سلّم بصحة الروايات والأحاديث الواردة في نزول عيسى آخر الزمان إلا أنه أولها على أن المقصود بها نزول شخص يشبه عيسى في خَلقه وخُلقه أو يكون على نهج عيسى وخاصة في محاججته لأهل الكتاب وطبعاً أَوَّلَ ذلك على نفسه وأنه المقصود بهذه الأحاديث وأنكر منها ما لا يستقيم مع تأويله الباطل هذا وهو باعترافه بهذه الأحاديث

جمع بين النقيضين: الاعتراف بموت عيسى عليه السلام وعدم عودته ثانية للحياة الدنيا وبين الإقرار بالأحاديث التي فيها نزوله آخر الزمان لكنها ليست في نزول عيسى النبي من السماء وإنما نزوله هو [أي القادياني] من بطن أمه وهي دعوى مستشفى الأمراض العقلية أحق بمن آمن بها وصدقها من أتباع هذا الدجال الكذاب فهي دعوى مجانين لا عقلاء ولهذا كان الدكتور عدنان متماشياً مع المنطق أكثر عندما لما اقتنع بدعوى بطلان الرفع من أساسه لم يجد بداً من إنكار جميع الأحاديث الواردة في ذلك أيضاً وإلا وقع في التناقض.

وقد ذكرت هذا الفرق بين معتقد وقناعات الدكتور وبين سلفه القادياني المتنبئ الكذاب حتى لا يستدرك علينا أحد بهذا الفرق بين الدكتور والكذاب القادياني فهذا الاختلاف لا يعفي الدكتور من التوافق مع القادياني الكذاب في أصل المسألة وهو إنكار رفع عيسى عليه السلام إلى السماء والقول بأنه عاش ومات ودفن في الأرض كغيره تماماً مثلما لم يعفينا اختلافنا مع النصارى [في عقيدتهم في عودة عيسى عليه السلام آخر الزمان على أنه سيعود رباً وإلهاً كما كان] لم يعفينا ذلك عند الدكتور من دعوى التوافق مع عقيدة النصارى في القول بالرفع إلى السماء وعودته آخر الزمان ومن ثم توصيفها من قبل الدكتور بأنها في الأساس عقيدة يهودية نصرانية!!.

ثالثاً:

إن توصيف الدكتور عدنان لعقيدة الإيمان بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان بأنها عقيدة يهودية نصرانية يذكر بمقولة النجاشي الشهيرة التي قالها بعد سماعه للقرآن الكريم (**إن هذا الكلام والكلام الذي جاء به عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة**). كما في شعب الإيمان للبيهقي.

فمن الطبيعي أن يتفق اليهود والنصارى معنا في هذه العقيدة لأن عقيدتهم وعقيدتنا تنبع من مشكاة واحدة. ووجود هذه العقيدة عند اليهود والنصارى يزيدنا يقيناً وتصديقاً وإيماناً بصدق نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين لأن الله تعالى يقول في محكم تنزيله: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ **أُوتُوا الْكِتَابَ** آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا **مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ**). فوجود عقيدة نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان عند من سبقنا من أهل الكتاب موافقاً لما عندنا ما هو إلا لأن ما عندنا إنما جاء مصدقاً لما معهم مما لم يحرفوه.

فما جاء به الإسلام مقراً لما هو عند أهل الكتاب علمنا منه قطعاً أنه مما لم تطاله يد التحريف عندهم. ومما أخبرنا به القرآن أنه مسطور في كتب أهل الكتاب صفة النبي سيدنا محمد محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وخبر إرساله كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ **مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ** يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف:١٥٧].

وفي مسند الإمام أحمد: (حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا موسى بن داود ويونس بن محمد قالا ثنا فليح بن سليمان عن هلال بن على عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال: أجل والله **إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً** وحرزاً للأميين وأنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لستَ بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق. قال يونس: ولا صخاب في الأسواق. ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر. ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله الا الله فيفتح بها أعيناً عمياً وآذاناً صُماً وقلوباً غُلفاً. قال عطاء: لقيت كعباً فسألته فما اختلفا في حرف. إلا أن كعباً يقول بلغته: أعيناً عُمومَى وآذاناً صُمومَى وقلوباً غُلوفَى. قال يونس: غُلْفَى). انتهى. وفي رواية عند الطبري في تفسيره: (إلا أن كعبا قال بلغته: قلوباً غُلوفِيا. وآذاناً صُمومِيا، وأعيناً عُمومِيا). انتهى.

وفي تفسير القرآن للقرطبي (المتوفى عام ٦٧١هـ) في تفسير قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ **مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ** وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا **فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا** كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [البقرة:٨٩]. قال القرطبي:

(قوله تعالى: {ولما جاءهم} يعني اليهود. {كتاب} يعني القرآن. {من عند الله مصدق} نعت لكتاب، ويجوز في غير القرآن نصبه على الحال. وكذلك هو في مصحف أُبي بالنصب فيما روي. {لما معهم} **يعني التوراة والإنجيل يخبرهم بما فيهما.** {وكانوا من قبل يستفتحون} أي يستنصرون. والاستفتاح الاستنصار. استفتحت: استنصرت. وفي الحديث: كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين. أي يستنصر بدعائهم وصلاتهم. ومنه {فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده} ... قال ابن عباس: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فلما التقوا هزمت يهود. فعادت يهود بهذا الدعاء وقالوا: **إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان** إلا تنصرنا عليهم. قال: فكانوا إذا

التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان. فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا فأنزل الله تعالى: {وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا} أي بك يا محمد إلى قوله: {فلعنة الله على الكافرين}). انتهى ببعض اختصار.

ولهذا قال تعالى: { يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا **يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ**} [المائدة:١٥]. وهذا يؤكد أن عندهم في كتبهم علوماً وأسراراً وحقائق يخفوها ويكتموها وقد جاء القرآن ومعه السنة لينفضا الغبار عن بعض ما يخفونه ويكتمونه من هذه الحقائق كما قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ **تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ** قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ **مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ** وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [الأنعام:٩١،٩٢].

فمن الطبيعي إذاً أن يكون عند أهل الكتاب علم بما سيكون من أحداث آخر الزمان ومنه نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان مثلما يعلمون بشأن النبي الأمي حتى من قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

رابعاً وأخيراً:

قد **جاء رفع الحرج عن التحديث بما عند أهل الكتاب** من قصص وأقوال مطلقاً **ما لم يبين لنا القرآن أو السنة زيفه وبطلانه**. **فكيف نتحرج** من ورود عقيدة نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان عند اليهود والنصارى **وهي مما أكد القرآن والسنة المتواترة على صحتها؟!!**.

فقد جاء في الحديث كما في صحيح البخاري: (**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**). انتهى. قال البدر العيني (المتوفى عام ٨٥٥هـ) في عمدة القاري: ((وحدثوا عن بني إسرائيل) يعني: مما وقع لهم من **الأمور العجيبة** والغريبة. وقيل: المراد ببني إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب والمراد: حدثوا عنهم بقصتهم مع أخيهم يوسف. وهذا بعيد وفيه تضييق. وقال مالك: المراد جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن وأما ما عُلم كذبه فلا. وقيل: المعنى **حدثوا عنهم مثل ما ورد في القرآن والحديث الصحيح**. وقيل: المراد جواز التحدث عنهم بأي صورة وقعت من انقطاع أو بلاغ لتعذر الإتصال في التحديث عنهم. بخلاف الأحكام الإسلامية فإن الأصل في التحديث بها الاتصال ولا يتعذر ذلك لقرب العهد. قوله:

(ولا حرج) أي: ولا ضيق عليكم في الحديث عنهم. وإنما قال: ولا حرج لأنه كان قد تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك. **وكان النهي قبل استقرار الأحكام الشرعية والقواعد الدينية خشية الفتنة ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك** لما في ذلك من الاعتبار عند سماع الأخبار التي وقعت في زمانهم. وقيل: لا حرج أي: لا تضيق صدوركم بما سمعتموه عنهم من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيراً. وقيل: لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم لأن قوله أولا: (حدثوا) صيغة أمر يقتضي الوجوب فأشار إلى عدم الوجوب وأن الأمر فيه للإباحة بقوله: (ولا حرج) أي: في ترك التحديث عنهم. وقيل: المراد رفع الحرج عن حاكي ذلك لما في أخبارهم من الألفاظ المستبشعة نحو قولهم: { فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا} [المائدة:٢٤]. وقولهم: { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا} [الأعراف:١٣٨]). انتهى.

ملاحظة:

يمكننا أن نتفهم أن عقيدة نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان هي عقيدة النصارى أيضاً لكن ما علاقة اليهود وهم لا يؤمنون بالمسيح عيسى عليه السلام أصلاً؟!! وكيف يقول الدكتور عدنان أن اليهود يعتقدون أن مسيحهم المنتظر الموعود **سيعود** في آخر الزمان **وهم لا يعترفون أنه قد ظهر أولاً حتى يعتقدوا أنه سيعود؟!!.**

والصواب أن يُقال أن اليهود قطعاً كما جاءت النبوءات في كتبهم بالنبي الأمي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين كما أخبر القرآن فقطعاً من باب أولى أنه في كتبهم أيضاً الخبر عن المسيح عيسى عليه السلام وصفته فمجيئه قبل مجيء النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. ولكنهم كما كذبوا بالنبي الأمي رغم معرفتهم به وتيقنهم من أنه هو هو النبي الذي بشرهم به موسى عليه السلام حسداً من عند أنفسهم لأنه لم يكن من بني إسرائيل عليه السلام وإنما جاء من العرب من بني إسماعيل عليه السلام. فكذلك لا ريب أنهم كذبوا بالمسيح عيسى عليه السلام عندما أُرسل إليهم رغم معرفتهم به وبصدقه من خلال كتبهم. ولعل سبب تكذيبهم به رغم أنه من بني إسرائيل أنه ما جاءهم بالمُلك الذي هم مولعون به وإنما دعاهم للتقشف والزهد في الدنيا ودعاهم إلى دين موسى عليه السلام الحق لا ما زيفوه منه وحرفوه اتباعاً لأهوائهم فكان من الطبيعي أن ينكروه ويكذبوه ويخفوا ما في كتبهم مما يثبت صحة نبوته عليه السلام كما فعلوا مع سيد الخلق وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين مدعين أن الذي

جاءت به البشارة في كتبهم ليس هو النبي العربي المحمدي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين بل هو شخص آخر وأنه لم يأت بعد!.

وكذلك حالهم مع المسيح عليه السلام لكنهم مع ذلك يعلمون من كتبهم أن المسيح عليه السلام سيرفع إلى السماء وأنه سيترل مرة أخرى في آخر الزمان ولهذا هم يزعمون أن المسيح الموعود المبشر به في كتبهم هو أيضاً لم يأت أوانه وإنما سيأتي في آخر الزمان وأنهم سيتبعونه وأنه سيقاتل بهم سائر الأمم ومن ثم فسيملكون العالم حين بعثته. فهم حين سيتبعون المسيح في آخر الزمان لن يتبعوه على أنه العود الثاني له [كما يوحي بذلك كلام الدكتور عدنان] بل على أنه البعث الأول له إليهم.

وهذا ما يخدعون به أتباعهم من عامة اليهود وأما كبار أحبارهم وحاخاماتهم فهم لاشك يعلمون حقيقة الأمور ولكنهم يخفون ذلك اتباعاً للهوى كما أخبر القرآن عنهم فيما نقلنا سابقاً من قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا **وَتُخْفُونَ كَثِيرًا**} [الأنعام:٩١]. وكما قال تعالى عنهم في محكم تتريله {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ **ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ** مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ **بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ** لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ **لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ** وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ **لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا** فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة:٧٥-٧٩]. صدق الله العظيم.

ولهذا فعند نزول المسيح الكذاب (الدجال) ولعلمه بطبيعة اليهود المحبة لشهوة المُلك والسيطرة على العالم وعلى سائر الناس ممن هم من غير اليهود فسيسهل عليه خداع عوامهم ممن لا يعلمون الكتاب إلا أماني وممن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله يطيعونهم في كل ما يخبرونهم به فهؤلاء سيسهل على المسيح الدجال إيهامهم أنه المسيح الذي جاءت به البشارة لهم في كتبهم فيعدهم ويمنيهم بمُلك العالم مدعماً بالخوارق التي تجعلهم يصدقونه ولهذا جاء في الحديث الذي في مسند الإمام أحمد عن الدجال: (**وأكثر تبعه اليهود** والنساء). انتهى. فيتبعه عامة اليهود بعد أن يزين لهم أحبارهم وحاخاماتهم أنه المسيح الحق في حين أنهم كفروا بالمسيح الحق عندما جاءهم. وسيكفرون به عند عودته وسيقاتلونه بقيادة زعيمهم الدجال.

ولو كان اليهود جادين في اتباع الحق وتحريه لهداهم الله. فما اتباع هؤلاء العوام من اليهود للدجال في الحقيقة إلا **لخبث نفوسهم ومرض قلوبهم المشبعة بحب الدنيا وحب الشهوات** فطالما سيأتيهم الدجال بما يوافق أهوائهم وحبهم للتملك وفرض السيطرة على العالم فهم قطعاً سيتبعونه ويصدقونه ولو كان كاذباً. فهؤلاء يصدق فيهم قوله تعالى: {**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ** وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنفال:٢٣].

وهذا كما ذكرنا حال عامة اليهود في اعتقادهم في المسيح الدجال أنه المسيح الحق وأما أحبارهم وخاصتهم فهم لا ريب يعلمون أنه الدجال الذي ما من نبي إلا حذر قومه منه فقطعاً حذرهم منه موسى عليه السلام وقطعاً يعلمون أن المسيح الحق هو عيسى بن مريم الذي كفروا به أولاً وسيكفرون به عند عودته ثانياً. وهم يعلمون قطعاً أنه سيعود ثانياً ليقضي عليهم وعلى دجالهم لأن هذه عادتهم في تكذيبهم وكفرهم بالحق فهذا دأبهم كما قال تعالى في حقهم: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا **يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ** بِغَيْرِ الْحَقِّ **ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**} [البقرة:٦١]. وكما قال تعالى فيهم: {الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ **جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ** إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ **كُذِّبَ رُسُلٌ** مِنْ قَبْلِكَ **جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ** وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} [آل عمران:١٨٣،١٨٤]. وكما قال تعالى فيهم أيضاً: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ **بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ** اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا **كَذَّبْتُمْ** وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ * وَقَالُوا **قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ** فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة:٨٧،٨٨].

ومما يدل على معرفة اليهود بالنزول الثاني للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام ما جاء في مصنف ابن أبي شيبة: (حدثنا ابن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه أن عمر سأل **رجلاً من اليهود** عن أمر فقال: قد بلوتُ منك صدقاً فحدثني عن الدجال فقال: وإلهِ يهود [وفي جامع معمر بن راشد: وإلهِ اليهود] **ليقتلنَّه ابنُ مريم** بفناءِ لُدّ). انتهى. والظاهر والله تعالى أعلم أن هذا يعلمه خاصتهم دون عامتهم لكن لا يبعد أن يكون معلوماً عند الكل منهم. وفي الحالين فقد كفروا بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام عندما جاءهم أول مرة رغم أنه جاءهم بالمعجزات التي تؤيد نبوته مثلما فعلوا مع النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. ولذا فليس من العجب أنهم سيكفرون بالمسيح عيسى بن مريم عند نزوله وعودته الثانية رغم معرفتهم به وبصفته وبأحواله (أو خاصتهم على الأقل) لأنهم جُبلوا

على الكفر على ما مر آنفاً فينطبق عليهم قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا **مُبْصِرَةً** قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا **وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل:١٣،١٤].

٤/ قال الدكتور بعد ذكره لعقيدة النصارى في عودة المسيح عليه السلام معتقدين فيه الربوبية في الدقيقة [١٠:٣٩ – ١٠:٥٨]:

((سيعود هذا الرب فالمسألة أيها الإخوة فيها دعم لشبهة الربوبية (!!) التي أثرت على مسار الديانة النصرانية أن يكون ظل حياً ورُفع روحاً وبدناً أيها الإخوة وسيعود في آخر الزمان ويعم به دينه العالم والعالمين)).

الرد:

أولاً:

إن من البديهي أن عقيدة المسلمين [التي هي في الحقيقة وفي الأصل عقيدة القرآن والسنة المتواترة] القائلة بأن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ظل حياً ورُفع روحاً وبدناً وسيعود في آخر الزمان ليست فقط لا تدعم شبهة الربوبية لا من قريب ولا من بعيد بل هي تنسفها نسفاً وتهدمها هدماً لأن الله تعالى وفق عقيدتنا لم يستبقِ المسيح عليه السلام حياً في السماء إلى نزوله آخر الزمان إلا لكي يفند المسيح عليه السلام بنفسه عند نزوله ما يفتريه النصارى عليه من ادعاء ألوهيته وربوبيته ولكي يؤكد لهم على أنه عبد الله تعالى ورسوله.

فالقول المعاكس أن المسيح عليه السلام قد مات ولن يعود هو الذي في الحقيقة يدعم بقاء شبهة ربوبية المسيح التي أثرت على مسار الديانة النصرانية لأن معنى ذلك أن هذه العقيدة ستبقى راسخة عند النصارى وسيبقى مسار التحريف والتثليث في الديانة النصرانية سيبقى باقٍ على حاله إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها إذ لن يحدث على هذا القول في المستقبل ما سيكون سبباً في تغيير النصارى لعقيدتهم هذه. ومِن ثم لن يتغير هذا المسار المنحرف للديانة النصرانية لأن الشيء الوحيد الكفيل باجتثاث هذه العقيدة من جذورها هو نزول المسيح عليه السلام بنفسه مفنداً لهذه العقيدة ولعقيدة الصلب والفداء التي ترتكز عليها عقيدة النصارى. لأن المسيح بنزوله آخر الزمان سيأتي مؤكداً على أنه رُفع حياً إلى السماء و لم يُصلب وأن الذي صلب إنما هو شبيهه ولهذا فإنه كما جاء في الأحاديث سيكسر الصليب عند نزوله وسيكسر معه مسار التحريف والتثليث في الديانة النصرانية.

ثانياً:

إن نزول المسيح عيسى عليه السلام في آخر الزمان سيجيء ليشهد للنبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين بصدق نبوته وصدق رسالته الخاتمة وصدق ما جاء به ومؤكداً على أن دين الإسلام لا دين النصرانية هو الدين الذي ارتضاه ويرتضيه الله تعالى للعالمين كافة.

فهو حين سيترل سيترل متبعاً لدين الإسلام الذي جاء به نبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وسيصلي صلاة الفجر مأموماً خلف إمام المسلمين كما في الأحاديث مؤكداً بذلك على ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ **مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ** لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ **لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ** قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ** وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران:٧٩-٨٥].

فقول الدكتور عدنان في الحقيقة هو الذي يفضي إلى التسليم ببقاء شبهة ربوبية المسيح راسخة على وجه الأرض وأنه ليس هناك ما سيغيرها لا الآن ولا في المستقبل وإلى قيام الساعة.

ثالثاً وأخيراً:

إن النصارى يستدلون على ألوهية وربوبية المسيح بما جاء به من خوارق لا تكون إلا لمن كان إلهاً بزعمهم من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وكان يخلق من الطين كهيئة الطير ..الخ. ومع ذلك ورغم أن هذه الخوارق تدعم شبهة ربوبية المسيح عند النصارى وهم يستغلونها في إثبات عقيدهم الباطلة فقد أثبت القرآن هذه الأمور للسيد المسيح عليه السلام لكنه بيّن أن حدوثها على يد المسيح عليه السلام لا لربوبية المسيح عليه السلام ومشاركته لله تعالى في ألوهيته وإنما هو بمشيئة الله تعالى وإذنه كما في قوله تعالى: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي **أَخْلُقُ لَكُمْ** مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا **بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ** بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا

تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:٤٩]. وكما قال تعالى: {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي **أَخْلُقُ لَكُمْ** مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا **بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ** بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة:١١٠].

فهل علينا إذاً أن ننكر أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً لأن ذلك يدعم شبهة الربوبية التي أثرت على مسار الديانة النصرانية؟!!.

فإن قال الدكتور عدنان أن ذلك مما أثبته القرآن صريحاً دون لبس فلا مجال لإنكاره خلافاً لعقيدة عودة المسيح بحسب قناعة الدكتور عدنان فيقال له: إن هذا يُثبت أن كون القول مما يَستدل به النصارى على عقائدهم الباطلة لا يلزم منه بطلان القول في حد ذاته. وإلا للزم بطلان القول بأن عيسى كان يحيي الموتى لأنه مما يستدل به النصارى على ألوهية المسيح وفي هذا ما فيه من الكفر بالقرآن. فالعبرة إذاً بصحة القول من عدمه بمعزل عن كونه مما يخدم النصارى فيما يزعمونه أم لا وبمعزل عن كونه مما يستدل به النصارى على معتقدهم الباطل في ربوبية المسيح أم لا.

وعليه فكما ثبت بالقرآن صحة القول بالخوارق التي كانت للسيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وأن استدلال النصارى به على ألوهية المسيح لا يتنافى مع صحة ما يقولون به وينسبونه من خوارق للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ولا يؤثر على صحته في واقع الحال فما المانع أن يكون استدلالهم على ألوهية المسيح وربوبيته بعودته آخر الزمان لا يتنافى أيضاً مع صحة القول بعودته آخر الزمان فلا يكون مؤثراً على القول بصحته في واقع الحال؟!!.

وأيضاً يقال أنه كما لم يكن في إثبات القرآن الخلق والإحياء والإبراء للسيد المسيح ما يدعم شبهة الربوبية عند النصارى رغم كونه مما يستدلون به عليه لأنه قرنه بإثبات كون ذلك بإذن الله تعالى فكذلك إثبات السنة المتواترة [ومعها القرآن على ما سنبينه في حينه بإذن الله تعالى] لنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ليس فيه ما يدعم شبهة الربوبية عند النصارى فقد جاء مقروناً بأنه بإذن الله تعالى أيضاً ومقروناً بإثبات نزوله مقراً بعبوديته لله تعالى ونافياً لألوهيته فينتفي الإشكال.

والخلاصة أنه إما أن يقال أن ما كان من المسيح عليه السلام من خوارق هو مما يدعم شبهة الربوبية عند النصارى لكنه الحقيقة والواقع فيكون كذلك ما سيكون من نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان هو أيضاً مما يدعم شبهة الربوبية عند النصارى لكنه الحقيقة والواقع أيضاً. فكونه بعد ذلك مما يدعم شبهة الربوبية عند النصارى لا يقدم ولا يؤخر ولا يغير من الحقيقة شيئاً.

أو يُسلَّم بأنه في الحالين لا يوجد ما يدعم شبهة الربوبية عند النصارى إذ لا فرق في الحقيقة بين الحالين المذكورين. ويكون بذلك كلام الدكتور عدنان كلام غير سديد وليس في محله.

٥/ قال الدكتور عندما بدأ يعرض أدلة القائلين بعقيدة رفع عيسى عليه السلام حياً إلى السماء بجسده وروحه في الدقيقة [١١:٤٠ – ١٣:٢٠]:
((اعتمدوا على قوله تعالى {وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} {وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} قالوا إشارة (!) هو من المقربين إذاً لأنه رُفع بروحه أو بنفسه وبدنه فهو في السماء. وهذا لا معنى له لأن الأنبياء المتواجدين في السماء أكثر من خصوص عيسى عليه السلام بل معه في السماء الثانية ابن خالته يحيى وهناك آدم وهناك موسى وهناك يوسف وهناك إدريس وهناك إبراهيم. وتعلمون جميعاً حديث المعراج. ثم يعني إذا كانت كلمة المقرب أيها الإخوة والمقربون تجعل الإنسان مقرباً على هذا النحو أستغفر الله بين قوسين (الحسي) يعني كأنه مرفوع إذاً ماذا نفعل بالمقربين من صالحي هذه الأمة؟! {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ} {أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ ..}. عيسى ليس وحده فقط مقرباً عليه الصلاة والسلام (!!). لكن هو التشبث أيها الإخوة لأنها دعوى عريضة أعرضْ من الغبراء فلا يزالون يتشبثون بأذيال شبهات الدليل (!!). هذا ليس فيه دليل لا من قريب ولا من بعيد. بل أعجبَ وأغربَ بعضهم فتشبث بأذيال قوله عز من قائل: {وَجِيهًا} قالوا هذا من وجاهته قلنا موسى أيضاً كان وجيهاً فهل رُفع روحاً وبدناً ما هذا؟! ما هذه الطريقة في تأسيس الاعتقاد على مثل هذه الشبهات الواهية جداً؟! (!!). {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا} هل موسى أيضاً رفع لموضع كلمة أو موقع كلمة وجيه؟! أيها الإخوة عجب من العجب (!!))).

الرد:

أولاً:

لم يستدل أو يستشهد أحد من علمائنا وأئمتنا رحمهم الله تعالى ورضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ونفعنا الله تعالى بأنوار علومهم لم يستدل أحد منهم على عقيدة رفع عيسى عليه السلام إلى السماء بوصفه في القرآن أنه من المقربين ولا بوصفه وجيهاً.

ولكن لا ريب أن من مظاهر وعلامات كونه وجيهاً عند الله وأنه من المقربين ما أكرمه الله تعالى به من الاصطفاء بالنبوة والرسالة فكان من أولي العزم من الرسل. وأيضاً ما أكرمه به من معجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ومن النطق والكلام في المهد وغير ذلك. فيضاف إلى ذلك ما شرفه به من رفعه حياً بجسده وروحه إلى السماء موضع تشريفه ومحل كرامته فصار في مصاف الملائكة المقربين من حيث المترلة والمكانة والاصطفاء.

وهذا الكلام واضح في أنه بيان للأمور التي تثبت وجاهته عند الله سبحانه وتعالى وأنه من المقربين لا أنه بيان لدليل رفعه عليه السلام.

فقوله في كلامه السابق: ({وَجِيهًا} قالوا هذا من وجاهته). كلام لا غبار عليه [ومثله قول النسفي (المتوفى عام ٧١٠هـــ) في تفسيره: ({وجيهاً} ذا جاه وقدر {فى الدنيا} بالنبوة والطاعة {والآخرة} بعلو الدرجة والشفاعة {ومن المقربين} برفعه إلى السماء). انتهى] فهو تماماً توضيحٌ لما ذكرناه من سرد وجوه وجاهته ومكانته عند الله وأن منها رفعه عليه السلام وحمايته من كيد أعدائه وتطهيره من الذين كفروا. فقد فعل الله تعالى معه ذلك لوجاهته عنده ولأنه من عباده المقربين. لا أن كونه وجيهاً عند الله تعالى أو كونه من المقربين يستلزم رفعه إلى السماء حياً بجسده وروحه ومن ثم فهو دليل عليه! فلم يقل بذلك أحد أصلاً. واقتصار النسفي رحمه الله تعالى على ذكر الرفع في معرض تفسير كونه عليه السلام من المقربين دون سائر الوجوه والأحوال والمظاهر الدالة على ذلك لأنه أسمى مظاهر القرب والتشريف والتكريم العديدة وإلا فهو من المقربين بمجرد تشريفه بالنبوة والرسالة.

وزيادة في البيان والإيضاح رغم الوضوح التام نمثل للأمر بما استشهد به الدكتور عدنان نفسه وهو قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا **مُوسَى** فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا **وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا**}

[الأحزاب:٦٩]. فلو قال أحدنا أن من علامات وجاهة موسى عليه السلام عند الله تعالى أنه كلمه ربه فصار يُعرَف بالكليم فوجاهته في الدنيا بجعله كليم الله فهل يُفهم من هذا أننا نستدل على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام وخصه بالتكليم من قوله تعالى {وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا}؟! أم يُفهم منه ما هو مقصود وما هو واضح من الكلام بجلاء وهو مجرد سرد أحد وجوه ومظاهر وجاهته عند ربه؟!!. والجواب معلوم قطعاً.

* وننبه هنا إلى خطأ ما قد يتوارد إلى الذهن فيما ذكره الرازي (المتوفى عام ٦٠٦هـــ) في تفسيره مفاتيح الغيب من قوله: (أما قوله ومن المقربين ففيه وجوه أحدها: أنه تعالى جعل ذلك كالمدح العظيم للملائكة فألحقه بمثل منزلتهم ودرجتهم بواسطة هذه الصفة. وثانيها: أن هذا الوصف كالتنبيه على أنه عليه السلام سيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة). انتهى. فهذا الكلام لا يُفهم منه الاستدلال على رفعه إلى السماء بوصفه من المقربين فهذا تحميل للكلام فوق ما يحتمل.

وليس في هذا الكلام ما يخالف ما ذكرناه آنفاً بل هو موافق لما قلناه ومثلنا له في (وجيهاً) فغاية ما فيه بيان أن الله تعالى لما بشّر مريم عليها السلام بولادة عيسى عليه السلام بشرها أنه سيكون من المقربين إشارة منه عز وجل لها إلى أن مولودها هذا سيكون له شأن عظيم وهو ما كان فعلاً فيما بعد من مظاهر تقريبه المتعددة والتي منها كما ذكرنا سابقاً ما شرفه به تعالى من رفعه حياً بجسده وروحه إلى السماء موضع تشريفه ومحل كرامته فصار في مصاف الملائكة المقربين من حيث المنزلة والمكانة والاصطفاء. وبصيغة أخرى أكثر وضوحاً أن الرازي رحمه الله تعالى أراد أن يقول أن الله تعالى لما سبق في علمه ومشيئته أنه سيرفع عيسى عليه السلام إلى السماء بصحبة الملائكة المقربين [وهو ما علمناه من الآيات الأخرى ومن الآثار الواردة في ذلك لا من هذه الآية] وصَفَه بناء على ذلك بأنه من المقربين.

فإيراد الرازي رحمه الله تعالى لحادثة رفع عيسى عليه السلام إلى السماء بصحبة الملائكة المقربين في كونه أحد الوجوه المقصودة تحديداً من تبشير مريم عليها السلام بأن مولودها عيسى عليه السلام سيكون من المقربين ذَكَره بناءً على ما وقع فعلاً لا على أنه دليل على وقوعه.

وزيادة في البيان والإيضاح أيضاً نمثل لكلام الرازي بمثالين أولهما بالتمثيل من كلام الرازي نفسه. فلو أننا أعدنا صياغة كلام الرازي رحمه الله تعالى وقلناه على النحو التالي: (أن هذا الوصف كالتنبيه على أنه عليه السلام ستكون له أحوال شريفة كريمة ومنح عظيمة لا يمنحها الله تعالى إلا للمقربين من عباده فهو

سيخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله تعالى وسيبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله تعالى وسيترل مائدة من السماء تكون لأتباعه عيداً وآية وسيرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة) فهل يُفهم من هذا أننا نستدل على أن عيسى عليه السلام كان يحي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص وأننا علمنا ذلك من قوله تعالى {وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}؟! أم يُفهم منه ما هو مقصود وما هو واضح من الكلام بجلاء وهو أن وصْفَه تعالى لعيسى عليه السلام عند التبشير به بأنه من المقربين هو لما سبق في علم الله تعالى ومشيئته من الخوارق التي سيمنحها له عليه السلام ومنها إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ..الخ. فهو كالتنبيه على ما سيكون عليه حاله من أنه سيحي الموتى و.. و.. ويرفع إلى السماء وتصاحبه الملائكة؟ وأن هذه الأحوال علمناها من الآيات الأخرى التي ذكرت ذلك لا من مجرد وصفه هنا بأنه من المقربين؟!!. والجواب معلوم قطعاً. وعليه فمقصود الرازي بات واضحاً فيما أظن. فإن لم يكن كذلك فلننتقل سوية للمثال الثاني.

لو أن أحدنا قال ما يلي نصاً: ((أن في قوله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران:١٤٤]. أنه لما كان انتقاله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى الرفيق الأعلى هو أمر محتم وحدوثه مدعاة لطيش عقول الصحابة وصراخهم وعويلهم وبكائهم واضطرابهم لشدة حبهم له وتعلقهم به ذكر الله تعالى هذه الآية كالتنبيه على أن هذا ما سيحدث من الصحابة في بادئ الأمر تأثراً بالحدث والمصاب الجلل وكالتنبيه أيضاً للصحابة رضوان الله تعالى عليهم على أنهم ينبغي أن يثبتوا ويتماسكوا عند حدوث هذا الحدث)). فهل إذا قيل أن قائل هذا الكلام من أدلته على أن الصحابة عند وفاة النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين في أول الأمر قد ثاروا وضجوا واضطربوا وأن الفاروق عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه قد ثارت ثائرته وأخذ يتوعد مَن يقول أن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين قد مات من أدلته على حدوث ذلك هو قوله تعالى: {انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ}. فهل هذا كلام في محله؟!.

وبناء على كل ما سبق يكون إقحام الدكتور عدنان لآية {وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} في المسألة على أنها إحدى أدلة علمائنا وأئمتنا على رفع عيسى عليه السلام حياً إلى السماء غير سديد وفي غير محله.

ثانياً:

قول الدكتور عدنان: (ثم يعني إذا كانت كلمة المقرب أيها الإخوة والمقربون تجعل الإنسان مقرباً على هذا النحو أستغفر الله بين قوسين (الحسي) يعني كأنه مرفوع إذاً ماذا نفعل بالمقربين من صالحي هذه الأمة؟! {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ} {أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ ..}. عيسى ليس وحده فقط مقرباً عليه الصلاة والسلام (!!)). يطرح التساؤل التالي: هل هناك أحد لا يعلم بأن عيسى ليس وحده فقط مقرباً عليه الصلاة والسلام؟!!! وهل يمكن أن يكون ذلك قد غاب عن ذهن أحد من علمائنا؟!!!.

ولما كانت الإجابة البديهية أن ذلك قطعاً غير وارد وأن كون عيسى ليس وحده فقط مقرباً عليه الصلاة والسلام هو أمر بديهي ومن المسلمات التي يعرفها العالم والجاهل على حد سواء فإن هذا يؤكد على استحالة أن يكون هناك أحد من العوام فضلاً عن العلماء قد قال به واستدل به على الرفع. وغاية ما ذكروه أن رفعه إلى السماء دليل على أنه من المقربين لا العكس وهو ما وضحناه في أولاً.

فكون عيسى عليه السلام من المقربين لا مدخل له في أدلة رفعه إلى السماء لا من قريب ولا من بعيد.

وأما مسألة **القرب بين قوسين (الحسي)** التي ذكرها الدكتور عدنان فهي غير واردة إطلاقاً في قاموس علمائنا وأئمتنا ولا يقولون بها بحال من الأحوال والدكتور عدنان قطعاً يعلم ذلك يقيناً لكن لما كان كلامه قد يوهم بأن من علمائنا من يحمل القرب على القرب الحسي وجب التنبيه على ذلك ونفيه عن علمائنا والتأكيد عليه وأن **مقصودهم بالقرب هو قرب المنزلة والدرجة لا قرب المسافة والمكان لأنه تعالى ليس في مكان**.

وتأكيداً على ذلك فها هو النسفي نفسه على سبيل المثال الذي نقلنا كلامه في أن عيسى عليه السلام من المقربين برفعه إلى السماء يقول في تفسيره عند تفسيره لقوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ **عِنْدَ مَلِيكٍ** مُقْتَدِرٍ} [القمر:٥٤،٥٥]. قال: ({عِندَ مَلِيكٍ} **عندية منزلة وكرامة لا مسافة ومماسة**). انتهى. وفي تفسير قوله تعالى: {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:٢٣]. قال: ({إلى ربها ناظرة} بلا كيفية **ولا وجهة ولا ثبوت مسافة**). انتهى.

وقال أيضاً في كتابه بحر الكلام: (وعن علي رضي الله عنه: أنه سُئل أين كان ربنا قبل أن خلق العرش؟ فقال رضي الله عنه: أين سؤال عن المكان **وكان الله تعالى ولا مكان ولا زمان** وهو الآن كما كان). انتهى.

وأما الرازي الذي نقلنا كلامه أيضاً في القرب والرفع فهو في تفسيره يقول: (**ثبت بالدلائل القاهرة أن المكان والجهة على الله تعالى محال**). انتهى.

وقبله قال الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان (المتوفى عام ١٥٠هـ) رحمه الله تعالى ورضي الله تعالى عنه وأرضاه في كتاب الفقه الأكبر: (وَاللهُ تَعَالَى يُرى فِي الْآخِرَة وَيَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ وهم فِي الْجنَّة بأعين رؤوسهم **بِلَا تَشْبِيه وَلَا كَيْفيَّة وَلَا يكون بَينه وَبَين خلقه مَسَافَة**). انتهى.

وفي موضع آخر قال: (وَلَيْسَ قُرب الله تَعَالَى وَلَا بعده من طَرِيق طول الْمسَافَة وقصرها وَلَكِن **على معنى الْكَرَامَة والهوان**. والمطيع قريب مِنْهُ بِلَا كَيفَ والعاصي بعيد مِنْهُ بِلَا كَيفَ. والقرب والبعد والإقبال يَقع على المناجي وَكَذَلِكَ جواره فِي الْجنَّة وَالْوُقُوف يين يَدَيْهِ بِلَا كَيْفيَّة). انتهى.

وفي حاشية الجلال السيوطي (المتوفى عام ٩١١هـ) على سنن النسائي تعليقاً على حديث: (أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا الدعاء). قال السيوطي في الحاشية: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد قال القرطبي هذا **أقرب بالرتبة والكرامة لا بالمسافة لأنه منزه عن المكان والمساحة والزمان** وقال البدر بن الصاحب في تذكرته: **في الحديث إشارة إلى نفي الجهة عن الله تعالى** وأن العبد في انخفاضه غاية الانخفاض يكون أقرب ما يكون إلى الله تعالى). انتهى.

وفي إرشاد الساري للقسطلاني (المتوفى عام ٩٢٣هـ) تعليقاً على حديث: (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) قال القسطلاني: ((لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) قال ابن أبي جمرة: يريد بذلك نفي التكييف والتحديد على ما قاله ابن الخطيب لأنه قد وجدت الفضيلة بينهما في عالم الحس، لأن نبينا صلى الله عليه وسلم أُسري به إلى فوق السبع الطباق ويونس نزل به إلى قعر البحر. وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة). فهذه الفضيلة وُجدت بالضرورة.

فلم يبق أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام (لا تفضلوني على يونس بن متى) و (لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس) إلا بالنسبة إلى القرب من الله والبعد. فمحمد صلى الله عليه وسلم وإن أُسري به إلى فوق السبع الطباق واخترق الحجب ويونس وإن نزل به لقعر البحر فهما بالنسبة إلى القرب والبعد من الله على حد واحد. انتهى). انتهى.

ثالثاً وأخيراً:

لم يكتف الدكتور عدنان بإقحام هذا الدليل الأول في قضيتنا ونسبة الاستدلال به إلى علمائنا وأئمتنا القائلين برفع عيسى عليه السلام حياً إلى السماء وقد تبين معنا أنه ليس من أدلتهم في شيء على ما سبق بل بنى الدكتور عدنان على سرد هذا الدليل ما ذكره من غمز ولمز للقائلين بالرفع [ويدخل فيهم علماؤنا وأئمتنا الأجلاء]. ولنا هنا وقفة عتاب لابد منها مع الدكتور في غمزه هذا ونرجو أن يتسع صدره وصدر محبيه لعتابنا.

فقد سمعت الدكتور عدنان قد ذكر الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري (المتوفى عام ١٤١٣هـ) في إحدى خطبه ووصفه نصاً بقوله: (**العلامة المحدث الفقيه الأصولي المفسر الجليل** عبد الله بن الصديق الغماري **قدس الله سره ورضوان الله عليه!!**). انتهى. وفي خطبة أخرى وصفه **بالإمام**.

والشيخ عبد الله الغماري الذي مدحه الدكتور عدنان بهذا الكلام هو من القائلين بالرفع بل له كتاب في الرد على من خالف ذلك وسماه "إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان أو إبطال ما قيل من الخيالات والأوهام في حديث نزول عيسى عليه السلام". وهذا الكتاب قرظه وأثنى عليه العلامة الكوثري الذي وصفه الدكتور عدنان إبراهيم أيضاً في إحدى خطبه بقوله: (**العلامة الكبير** محمد زاهد الكوثري**!!**). انتهى.

فكيف يستقيم مدح الكتور عدنان للغماري وللكوثري بمدحه المذكور هذا مع وصفه للقائلين بالرفع بقوله: (لكن هو التشبث أيها الإخوة لأنها دعوى عريضة أعرضْ من الغبراء فلا يزالون يتشبثون بأذيال شبهات الدليل)!!.

وهذا الكلام أقل ما يقال فيه أنه استهزاء صارخ وسخرية واضحة من أئمتنا وعلمائنا رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم القائلين بالرفع ومنهم الشيخ عبد الله الغماري والشيخ الكوثري الموصوفان من الدكتور بما سبق قصد أم لم يقصد.

ورغم أن الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى لم يستدل بالدليل الذي ذكره الدكتور عدنان [ولا أحد أصلا استدل به على ما ذكرنا سابقاً] لكنه مشمول بكلامه أو قل باستهزائه هذا لأنه هنا تكلم على الدعوى نفسها لا على الدليل. **فكيف يكون صاحبها صاحب دعوى عريضة أعرض من الغبراء وهو في نفس الوقت علامة محدث فقيه أصولي مفسر جليل قدس الله سره ورضوان الله عليه!!!**. أليس هذا أدعى أن يعقب عليه بما عقب به الدكتور عدنان بقوله: ((أيها الإخوة عجب من العجب (!!)).

وقد سمعته يقول في خطبة من خطبه: ((كيف يمكن لإنسان أن يسلك هذا السلوك **لماذا لا يحترم بعضنا بعضاً؟!** أنا أحترمك أياً تكن ما لم تُسئ إليّ أنت محترم يا أخي. لم أر منك إلا ما يفرض احترامك عليّ سأحترمك)). انتهى.

فهل يرى الدكتور عدنان في كلامه السابق هذا عن أصحاب عقيدة الرفع [ومنهم الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري والكوثري] الاحترام اللائق بعلامة محدث فقيه أصولي مفسر جليل؟!! والاحترام اللائق بعلامة كبير؟!!.

وأما قوله: ((ما هذه الطريقة في تأسيس الاعتقاد على مثل هذه الشبهات الواهية جداً؟! (!!) ...أيها الإخوة عجب من العجب (!!)). فقد تبين أنه لا أحد من الأصل قد استدل بهذه الشبهة الواهية جداً فيكون كلامه هذا بعد ذلك لا محل له من الإعراب.

وأيضاً فقد قرأت لأحد القائلين بموت عيسى عليه السلام وعدم رفعه إلى السماء ويُدعى (الدكتور نبيل أكبر) قرأت له دليلاً عجيباً في مقال له على موقعه على الإنترنت بعنوان "إثبات موت المسيح عيسى ابن مريم كغيره من الناس" ودليله العجيب هذا هو قوله نصاً:
(الدليلُ الثاني على موت عيسى من القرآن: جاء في سورة الإسراء أنَّ المشركين سألوا رسولنا الكريم أنْ يرقى إلى السماء كدليلٍ على صدقه: {أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ **أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ** وَلَنْ نُؤْمِنَ

لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي **هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا** (٩٣)}. والآية تدلُّ بوضوحٍ على أنَّ الصعودَ إلى السماءِ غيرُ واردٍ في حقِّ بشر). انتهى!!.

فهل يرضى الدكتور عدنان أن نسير على منواله فنقول ساخرين مستهزئين بمن يقول بنفي رفع عيسى عليه السلام إلى السماء بروحه وبدنه وهو منهم: (بل أعجبَ وأغربَ بعضهم فتشبث بأذيال قوله عز وجل: {أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ **أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ** وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي **هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا**} قالوا الآية تدلُّ بوضوحٍ على أنَّ الصعودَ إلى السماءِ غيرُ واردٍ في حقِّ بشر. قلنا لم يرد الرسولُ بهذا أن الصعود إلى السماء غير وارد في حق بشر وإنما أراد النبي بقوله هذا: أن ذلك إلى الله لا إليّ فإن شاء الله تعالى فعله وأجابكم إلى ما سألتم وإن شاء لم يجبكم فما يمكنني فعل ذلك من تلقاء نفسي فما أنا إلا بشر رسول. الآية واضحة أيها الإخوة لكن هو التشبث أيها الإخوة لأنها دعوى أصحاب عقول ضيقة أضيق من ثقب الإبرة فلا تتسع لاستيعاب عجائب القدرة الإلهية اللامحدودة فلا يزالون يتشبثون بأذيال شبهات الدليل. ما هذا؟! ما هذه الطريقة في تأسيس الاعتقاد بعدم رفع عيسى عليه السلام إلى السماء على مثل هذه الشبهات الواهية جداً؟! (!!). {أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} وهل نسي أن النبي قد عرج به إلى السماء في حادثة الإسراء والمعراج لما أراد الله له ذلك؟! والآية جاءت أصلاً في سورة الإسراء؟! أيها الإخوة عجب من العجب (!!)).

٦/ تابع الدكتور عرض أدلة القائلين بعقيدة رفع عيسى عليه السلام حياً إلى السماء بجسده وروحه فقال في الدقيقة [١٣:٢١ – ١٦:٣٦]:

((ثانياً: قالوا: قال الله تبارك وتعالى: {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا} وعيسى مات [قالها الدكتور ثم استدرك قائلاً] أو ارتفع أو رُفع أو ذهب حتى نكون منصفين مع الحقائق كما يصورها أصحابها وزاعموها عيسى ولّى وذهب عليه الصلاة والسلام شاباً في الثالثة أو في الرابعة والثلاثين والله يقول كهلاً إذاً متى؟ لابد أن يعود ليكلم الناس كهلاً. هذا لا موضع فيه للاستدلال البتة لا من قريب ولا من بعيد. وهو غلط من ناحيتين: الناحية الأولى ليس لدينا نص يُعتمد لا من كتاب الله ولا من صحيح السنة. نص معتمد أن عيسى ولى وهو ابن ثلاثة وثلاثين أو أربعة وثلاثين. غير صحيح. هذا في مأثورات الإسرائيليين. بل لدينا بعض النصوص عن رسول الله وهي أيضاً غير صحيحة أنه كان ابن مئة وخمسين سنة (!!). في نص آخر كان ابن مئة وعشرين سنة وأن النبي عليه السلام قال: ما من نبي بعثه الله إلا عاش نصف الذي

كان قبله وما أُراني ذاهباً إلا على رأس الستين. النبي يقول هذا لأن عيسى كان ابن مئة وعشرين. إذاً ما في لدينا دليل قطعي صريح صحيح أيها الإخوة أن عيسى ولى وهو ابن كذا وكذا غير صحيح. هذه كلمات على أنّا لو سلمنا بهذا المشهور وهو أشهر الأقوال مشهور عند الإسرائيليين وحتى عند مؤرخي المسلمين أنه تولى عليه السلام وهو ابن أربع وثلاثين تقريباً. لو أخذنا بهذا الكهولة لغة أيها الإخوة في أرجح الأقوال كما في متن اللغة كما في كتب ومعجمات اللغة هي ما بعد الثلاثين. ما بعد الثلاثين يُقال له كهل أيها الإخوة فعيسى نعم تولى كهلاً لماذا لأنه بحسب الأدبيات المقدسة بحسب أدبيات أهل الكتاب عيسى أيها الإخوة لم يلبث ولم يبق نبياً رسولاً إلا زهاء سنتين. بعضهم يقول أقل من سنتين سنة ونيف فقط وانتهى. انتهى إلى النهاية التي اختُلف فيها واختَلف فيها أهل الملل والأديان واختَلف فيها أهل الملل والأديان [التكرار من الدكتور للتأكيد]. هذه هي الكهولة. ما بعد الثلاثين كهولة ما بعد الثلاثين كهولة [التكرار من الدكتور للتأكيد] فهو كهل فهو كهل [التكرار من الدكتور للتأكيد]. ثم إن الآية لم تُشِر لا من قريب ولا من بعيد إلى هذا المعنى وإنما أُتي بقوله وكهلاً للإحتراس والإحتراز لأنه حين قال يكلم الناس في المهد سيظن ظان بل سيظن ظانون كثيرون كثر من الناس أنه ربما لُبِس بشيطان. سكنه جنّي والعياذ بالله فهو ينطق على لسانه. علماء البلاغة يسمون هذا الاحتراس. إحتراساً وإحترازاً أيها الإخوة من خطور هذا الخاطر الرديء بقلب أحدهم (!!) قال تعالى {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ} قال {وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ} ليس عن شبهة إبليسية أو شبهة من تلبس جني. هذا اسمه الإحتراس لا علاقة له بما أرادوا وبما ذهبوا إليه. على أن الكهولة بعد الثلاثين)).

الرد:

أولاً:

لابد في البداية أن نذكر أن الاستدلال بهذا الدليل ليس هو مما اتُفق على الاستدلال به وعليه فليس هو من الأدلة الرئيسة في المسألة. على أن هذا الدليل وإن كان مما اختلف فيه إلا أنه دليل وجيه بل ووجاهته قوية على ما سنبين بإذن الله تعالى.

فأما من استدل بهذا الدليل فمنهم مَن ذُكروا في النقول التالية:

* قال عبد الملك بن حبيب (المتوفى عام ٢٣٨هـــ) في كتاب أشراط الساعة:

({ويكلم الناس في المهد وكهلا} يكلم الناس في المهد وهو صبي ثم رفعه قبل أن يكون كهلا ثم يترله فيكلم الناس بعد نزوله). انتهى.

* وجاء في تفسير الطبري (المتوفى عام ٣١٠هـ):
(حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته - يعني ابن زيد [هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المتوفى عام ١٨٢هـ] - يقول في قوله: {ويكلم الناس في المهد وكهلاً} قال: قد كلمهم عيسى في المهد. وسيكلمهم إذا قَتل الدجال وهو يومئذ كهلٌ). انتهى.
وأيضاً:
(حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله: {إني متوفيك ورافعك إليّ} قال: {متوفيك}: قابضك. قال: و{متوفيك} و {ورافعك} واحدٌ. قال: ولم يمت بعدُ حتى يَقتل الدجالَ وسيموتُ. وقرأ قول الله عز وجل: {ويكلم الناس في المهد وكهلا} قال: رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً. قال: وينزل كهلاً). انتهى.

* وفي تهذيب اللغة للأزهري (المتوفى عام ٣٧٠هـ):
(وأخبرني المنذري عن أحمد بن يحيى (هو أحمد بن يحيى ثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة والعلامة المحدث المتوفى عام ٢٩١هـ) أنه قال: ذكر الله جل وعز لعيسى آيتين: إحداهما: تكليمه الناس في المهد فهذه معجزة. والأخرى: نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلاً ابن ثلاثين سنة يكلم أمة محمد فهذه الآية الثانية). انتهى.

* وقال ابن الجوزي (المتوفى عام ٥٩٧هـ) في تفسيره زاد المسير:
(وقد روي عن ابن عباس أنه قال : {وكهلاً} قال: ذلك بعد نزوله من السماء). انتهى.

* وجاء في تفسير الرازي (المتوفى عام ٦٠٦هـ):
(والثاني: هو قول الحسين بن الفضل البجلي (هو العلامة المفسر الإمام اللغوي المحدث عالم عصره المتوفى عام ٢٨٢هـ كما قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء): أن المراد بقوله {وَكَهْلاً} أن يكون كهلاً بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلم الناس ويقتل الدجال. قال الحسين بن الفضل: وفي هذه الآية نص في أنه عليه الصلاة والسلام سينزل إلى الأرض). انتهى.

* وفي تفسير القرطبي (المتوفى عام ٦٧١هـــ):
(وقال أبو العباس (هو الإمام الفقيه المحدث أحمد بن عمر القرطبي المتوفى عام (٦٥٦هـــ)): كلمهم في المهد حين برأ أمه فقال: {إني عبد الله} الآية. وأما كلامه وهو كهل فإذا أنزله الله تعالى من السماء أنزله على صورة ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو الكهل فيقول لهم: {إني عبد الله} كما قال في المهد). انتهى.

وفي المقابل هناك من اعتبر الكلام كهلاً المذكور في الآية قد تم قبل رفع عيسى عليه السلام كما في النقلين التاليين:

* قال مقاتل بن سليمان (المتوفى عام ١٥٠هـــ) في تفسيره:
(ويكلمهم كهلاً يعني إذا اجتمع قبل أن يُرفع إلى السماء). انتهى.

* وفي تفسير ابن أبي حاتم (المتوفى عام ٣٢٧هـــ):
(حدثنا الحسين بن أحمد ثنا موسى بن محكم ثنا أبو بكر الحنفي ثنا عباد بن منصور قال: سألت الحسن [هو الإمام الحسن البصري الفقيه العابد المشهور المتوفى عام ١١٠هـــ] عن قوله: {ويكلم الناس في المهد وكهلاً} قال: كلمهم في المهد صبياً وكلمهم كبيراً. قال أبو محمد (ابن أبي حاتم): وروي عن قتادة (هو قتادة بن دعامة السدوسي وكان من أوعية العلم وإماماً في التفسير المتوفى نحو عام ١١٧هـــ) والربيع بن أنس (عالم مرو في زمانه المتوفى نحو عام ١٣٩هـــ) مثل ذلك). انتهى.

وسبب الاختلاف مرده إلى الخلاف الناشئ عن تفسير عمر الكهولة [ولنا عودة مع هذه النقطة بإذن الله تعالى] ولذا يلخص لنا الخلاف إسماعيل حقي الحنفي (المتوفى عام ١١٢٧هـــ) في تفسيره روح البيان فيقول:
(والكهل من تجاوز الثلاثين الى الأربعين وقارب الشيب. مِن اكتهل النبتُ قارَبَ اليبس. فعلى هذا صح أن يقال أنه بلغ سن الكهولة وكلم الناس فيه ثم رفع. وأما على قول من يقول أن أول سن الكهولة أربعون سنة فلا بد أن يقال أنه رُفع شاباً ولا يكلم الناس كهلاً إلا بعد أن يترل من السماء فى آخر الزمان فإنه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال). انتهى.

ومن هذا الكلام الأخير يتجلى لنا ابتداءاً أن قول الدكتور عدنان: ((هذا لا موضع فيه للاستدلال البتة لا من قريب ولا من بعيد)). كلام في غير محله. وسيتضح هذا معنا في النقاط التالية بمزيد بيان بإذن الله تعالى.

ثانياً:

قول الدكتور: ((ليس لدينا نص يُعتمد لا من كتاب الله ولا من صحيح السنة. نص معتمد أن عيسى ولى وهو ابن ثلاثة وثلاثين أو أربعة وثلاثين. غير صحيح. هذا في مأثورات الإسرائيليين)). انتهى. هو كلام غير دقيق لأن تحديد عمر عيسى عليه السلام عند رفعه قد جاء النص به في الحديث مرفوعاً إلى النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. وهو حديث جاء من طريقين مختلفين ضعفهما يسير عند التحقيق وله شواهد تقويه فالتحقيق يدلنا على أنه لا يترل عن مرتبة الحسن من حيث الصناعة الحديثية والله تعالى أعلم.

** فقد جاء في كتاب صفة الجنة لابن أبي الدنيا:

(حدثنا القاسم بن هاشم ثنا صفوان بن صالح قال: حدثني رواد بن الجراح العسقلاني ثنا الأوزاعي عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم عليه السلام ستون ذراعاً بذراع المِلك[1] على حُسن يوسف **على ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة** وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم جرد مرد مكحلون). انتهى.

وسند هذا الحديث ليس له سوى علتين:

---

[1] ذراع الملك أو الذراع الملكي مقياس دارج عند القدامى واستخدمه الحديث يفيد التمييز عن ذراع العامة. فالــذراع الملكي سبع قبضات معتدلات في حين الذراع العادي (ذراع العامة) ست قبضات كما في كتب اللغة. وذهب البعض إلى سبب وصفه بالذارع الملكي أو ذراع الملك لنسبته في الأساس إلى بعض ملوك العجم ممن كان ذراعه أطول من ذراع العامة بنحو القبضة (أي بطول سبع قبضات). وذهب البعض الآخر إلى أنه مجرد مقياس وضعه أحد الملوك السابقين زاد فيه عن الذراع العادي وصار يعرف بالذراع الملكي من قبيل التشريف نسبة للملك الذي وضعه.

العلة الأولى/

رواد بن الجراح. فقد ضعفوا وأنكروا حديثه عن سفيان الثوري وحديثه هنا ليس عنه. وقالوا أنه اختلط وتغير حفظه قبل موته. وهو ثقة مأمون في نفسه وعليه فإن أحاديثه مقبولة ولا غبار عليها إذا كانت عن غير الثوري وقبل اختلاطه. وحديثه هنا حدث به عن غير الثوري كما أشرنا وكما هو واضح فقد حدث به عن الأوزاعي شيخ الشام. وأما كونه حدّث به بعد اختلاطه أم قبل فأولاً على التسليم أنه حدّث به بعد اختلاطه فيبقى الضعف يسيراً لأنهم بيّنوا أن المقصود من اختلاطه هو تغير حفظه لا تغير عقله ففي كتاب الاغتباط بمن رُمي من الرواة بالاختلاط لسبط ابن العجمي (المتوفى عام ٨٤١هـ): (رواد بن الجراح العسقلاني أبو عصام قال أبو حاتم: محله الصدق تغير حفظه قبل موته).انتهى. وثانياً فإن الرواية الثانية التي سنذكرها وهي ليست من طريق رواد موافقة لروايته مما يقويها وينفي عنها النكارة والخطأ والمخالفة أو كونها مما تغير فيه حِفْظُه [في مسألة ميلاد عيسى تحديداً] والله تعالى أعلم.

والعلة الثانية/

أن هارون بن رئاب لم يسمع من أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه وأرضاه فيكون الحديث منقطعاً. وهذا ليس بشيء لأن هارون هذا في نفسه ثقة ومن أجلاء عُبّاد أهل البصرة هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد اختلف في سماعه من أنس رضي الله تعالى عنه فهو على هذا ليس مقطوعاً بعدم سماعه منه. على أن من ادعى ذلك هو ابن حبان وقد تناقض في ذلك فقد جاء في إكمال تهذيب الكمال لعلاء الدين مغلطاي الحنفي (المتوفى عام ٧٦٢هـ): (ذكره ابن حبان في كتاب "الثقات" وقال: لم يسمع من أنس شيئاً. كذا ذكره عنه المزي. وما علم أن ابن حبان تناقض كلامه في هذا الرجل فذكره في طبقتين طبقة الأتباع وأتباع الأتباع. فرأى المزي كلامه في أتباع الأتباع وما رآه في طبقة الأتباع. قال في طبقة الأتباع: هارون بن رئاب الأسيدي بصري سمع أنس بن مالك وكنانة بن نعيم. وفي تاريخ البخاري روايته عن أنس من غير تعرض لانقطاع بينهما). وعلى هذا فلا يعتد ولا يعتمد على هذا القول كثيراً ويسقط الاعتبار به والله تعالى أعلم. فضلاً عما سبق قوله من ورود جزئية عمر شباب أهل الجنة ثلاث وثلاثون على ميلاد عيسى في رواية ثانية من طريق مختلفة (رواية الحافظ أبي نعيم الأصبهاني التالي ذكرها) مما يقوي صحتها والله تعالى أعلم.

** وجاء في صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني (المتوفى عام ٤٣٠هـ):
(حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا أبو العباس الهروي ثنا عباد بن الوليد ثنا جعفر بن جسر بن فرقد القصاب ثنا أبي عن أبي رجاء عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن أهل الجنة شباب مرد مكحلون **أبناء ثلاث وثلاثين سنة** لا يبولون ولا يتغوطون وإنما هو جشاء ورشح كرشح مسك يخرج من جلودهم **على ميلاد عيسى عليه السلام**). انتهى.

وهذا الطريق معلول بجعفر بن جسر وأبيه جسر بن فرقد.

أما جعفر فقد جاء في كتاب الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (المتوفى عام ٣٦٥هـ):
(قَالَ الشَّيْخُ: ولجعفر بْن جسر أحاديث مناكير غير ما ذكرت و لم أر للمتكلمين فِي الرجال فيه قولاً. ولاَ أدري كيف غفلوا عَنْهُ لأن عامة ما يرويه منكر وقد ذكرته لما أنكرت من الأسانيد والمتون الَّتِي يرويها ولعل ذاك إِنَّمَا هُوَ من قِبَل أَبِيهِ فإن أباه قد تكلم فيه من تقدم ممن يتكلمون فِي الضعفاء لأني لم أر يروي جعفر عَن غير أَبِيهِ). انتهى. وهذا يعني أن مرد تضعيف مروياته عن أبيه [ورواياتنا كذلك] هو لتضعيف أبيه بالدرجة الأولى فننصرف إلى الحديث عن أبيه.

وأما جسر بن فرقد [أبو جعفر بن جسر المذكور آنفاً] فضعفه يسير ففي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (المتوفى عام ٨٥٢هـ): (وقال السَّاجِي: صدوق ضعيف الحديث.وقال أبو حاتم: كان رجلا صالحًا وليس بالقوي). انتهى. فهذا حديثه يتقوى بغيره فتتقوى بذلك هذه الرواية بالتي سبقتها والتي سبقتها بهذه الرواية وهو المطلوب.

ومعنى على ميلاد عيسى أي على حاله وعمره الآن وهو في السماء وهو نفس عمره الذي كان عليه حين رُفع إلى السماء عليه السلام فهو لم يتغير مع طول الزمان وينزل على حاله كما رُفع. وكذا أهل الجنة تكون أعمارهم ثلاثاً وثلاثين سنة دون أن يتغيروا مع مرور الزمان فهم في الجنة لا يشيبون أبداً

وقد ذكر فحوى الحديث ابن كثير (المتوفى عام ٧٧٤هـ) في تفسيره مستشهداً به دون نكير فقال:
(فإنه [أي عيسى عليه السلام] رُفع وله ثلاث وثلاثون سنة في الصحيح. وقد ورد ذلك في حديث في صفة أهل الجنة أنهم على صورة آدم وميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة. وأما ما حكاه ابن عساكر عن

بعضهم أنه رفع وله مائة وخمسون سنة [هكذا في المطبوع وهو خطأ وصوابه مائة وعشرون أو مائة وخمس وعشرون على ما سنوضحه لاحقاً بإذن الله تعالى] فشاذ غريب بعيد). انتهى.

وعليه فحصر مصادر تحديد عمر سيدنا عيسى عليه السلام بـــمأثورات الإسرائيليين (!!) غير سديد وفي غير محله.

وهذه النقطة بالذات علق عليها الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى [وهو الذي قال فيه الدكتور عدنان كما نقلناه سابقاً: **العلامة المحدث الفقيه الأصولي المفسر الجليل قدس الله سره ورضوان الله عليه]** في كتابه "إقامة البرهان" فقال:
(هذا وزعم ابن القيم في زاد المعاد أن ما يُذكر من أن عيسى رُفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لا يُعرف به أثر متصل يجب المصير إليه. قال الشامي في سيرته: (وهو كما قال فإن ذلك إنما يروى عن النصارى والمصرح به في الأحاديث أنه إنما رُفع وهو ابن مائة وعشرين سنة) أ هـــ. ونقله الزرقاني في شرح المواهب مستشهداً به على ما صححه من أن عيسى ويحيى عليهما السلام إنما بعثهما الله بعد بلوغ أربعين سنة كسائر الرسل معللاً ذلك بأن سن الأربعين هو سن الكمال.

قلت [القائل هنا هو الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري]: **هذا كله عن الصواب بمعزل**. والعجب من ابن القيم كيف نفى وجود أثر في المسألة مع أنه ورد فيها حديث مرفوع وآثار عن سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وابن زيد وغيرهم من علماء التابعين.

قال الحافظ ابن كثير في تاريخه ما نصه: (وقال الحسن البصري كان عمر عيسى عليه السلام يوم رفع أربعا وثلاثين سنة وفي الحديث إن أهل الجنة يدخلونها جردا مردا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وفي الحديث الآخر على ميلاد عيسى وحسن يوسف وكذا قال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أنه قال رُفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة) أ هـــ.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا هاشم بن القاسم [هكذا في المطبوع والصواب القاسم بن هاشم] ثنا صفوان بن صالح ثنا رواد بن الجراح العسقلاني ثنا الأوزاعي عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع المِلك[1] على حُسن يوسف **وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة** وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلون.

وأما ما رواه الحاكم في المستدرك ويعقوب بن سفيان الفسوي في التاريخ عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته أن عائشة كانت تقول أخبرتني فاطمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبرها أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله وأن جبريل أخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أراني إلا ذاهباً على رأس ستين[2] فهو حديث غريب كما قال الحافظ ابن كثير في تاريخه.

ونقل عن الحافظ ابن عساكر أنه قال: (الصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر) أ هـــ.

وما رواه سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة قال: قالت فاطمة قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن عيسى بن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة. ضعيف أيضاً لأنه منقطع كما قال الحافظ ابن كثير.

وما جاء في الحلية عن زيد بن أرقم مرفوعاً: (ما بعث الله نبياً إلا عاش نصف ما عاش النبي الذي كان قبله) إسناده واهٍ كما قال المناوي في شرح الجامع الصغير. وقول ابن الديبع "إسناده حسن" غير حسن.

وحديث: (ما نُبِّئ نبي إلا بعد الأربعين) لا أصل له. وقد ذكره الزمخشري في تفسير سورة القصص من الكشاف فقال الحافظ الزيلعي في تخريج أحاديثه: لم أجده. وكذا قال الحافظ ابن حجر في اختصاره لتخريج الزيلعي. بل ورد ما يعارضه.

---

[1] قال الكوثري في حاشية الكتاب: الملك بكسر اللام. وذراع الملك يكنى به العرب عن الذراع الكامل غير المنقوص.

[2] قال الكوثري في الحاشية: مما يضعف هذا الحديث مخالفته لأصح الروايات وأشهرها في قدر عمر النبي عليه السلام وهو ثلاث وستون سنة. انظر شروح الصحيحين وكتب السير.

قال الطبراني في الأوسط: حدثنا محمد بن عمر بن منصور البجلي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال: ما بعث الله نبياً إلا وهو شاب. ولا أوتي عالِمٌ عِلماً إلا وهو شاب.

والصحيح الذي اعتمده المحدثون والمؤرخون كابن جرير وابن كثير وغيرهما أن عيسى عليه السلام أُنزل عليه الوحي وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رُفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. وهو الذي اعتمده أيضاً جمهور العلماء.

قال الشهرستاني في الملل والنحل: (وجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون وقد أوحى [الله] إليه إنطاقاً في المهد وإبلاغاً عند الثلاثين. وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. فلما رُفع إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه) أ هـــ). انتهى.

ملاحظة:

قول الدكتور عدنان: ((بل لدينا بعض النصوص عن رسول الله وهي أيضاً غير صحيحة أنه كان ابن مئة وخمسين سنة)). انتهى. هو خطأ أوقعه فيه ما جاء في تفسير ابن كثير وأوردناه سابقاً: (وأما ما حكاه ابن عساكر عن بعضهم أنه رفع وله مائة وخمسون سنة فشاذ غريب بعيد). انتهى. وعلقنا عليه بقولنا: ([هكذا في المطبوع وهو خطأ وصوابه مائة وعشرون أو مائة وخمس وعشرون على ما سنوضحه لاحقاً بإذن الله تعالى]). فهذا إما سبق قلم من ابن كثير رحمه الله تعالى أو على الأرجح تصحيف من أحد النساخ.

والدليل على ذلك أن ابن كثير أورد نفس الكلام في "البداية والنهاية" في باب (رفع عيسى عليه السلام إلى السماء) وبيّن الرواية المقصودة بعد سرده ما جاء في عمر عيسى عليه السلام عند رفعه فقال: (فأما الحديث الذي رواه الحاكم في " مستدركه " ويعقوب بن سفيان الفسوي في "تاريخه" عن سعيد بن أبي مريم عن نافع بن يزيد عن عمارة بن غزية عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته: أن عائشة كانت تقول أخبرتني فاطمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرها: أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله. وأنه أخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا أراني إلا ذاهب على رأس ستين. هذا لفظ الفسوي فهو حديث غريب. قال الحافظ ابن عساكر: والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر).

وبالعودة أيضاً لكلام ابن عساكر في المسألة في كتابه تاريخ دمشق للتأكد من الأمر وجدناه ذكر رواية فاطمة بنت الحسين آنفة الذكر والتي فيها أنه عاش مائة وعشرين سنة وأيضاً ذكر للمسألة رواية أخرى أنه عاش مائة وخمساً وعشرين سنة حيث قال: (عن يزيد بن زياد قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في السنة التي قبض فيها لعائشة إن جبريل كان يعرض علي القرآن في كل سنة مرة وقد عرض علي العام مرتين وإنه لم يكن نبي إلا عاش نصف عمر أخيه الذي كان قبله عاش عيسى مائة وخمساً وعشرين سنة وهذه اثنتان وستون سنة ومات في نصف السنة). انتهى. ثم عقب ابن عساكر بقوله: (كذا في هاتين الروايتين والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر). انتهى. ثم وضح ابن عساكر مقصوده بأن عيسى عليه السلام مكث في قومه أربعين سنة من هذه المائة والعشرين سنة [والتي سيستكملها عند نزوله آخر الزمان]. وسبق نقل كلام الشيخ عبد الله الغماري والكوثري في الرد والتعقيب على هذه الروايات.

وعليه فلم ينقل ابن عساكر ولا غيره أي رواية لا صحيحة ولا ضعيفة في أن عيسى عليه السلام كان له مائة وخمسون سنة عند رفعه فوجب التنبيه.

ثالثاً:

وعلى فرض أن هذا الذي اعتمده المؤرخون والمحدثون وجمهور العلماء هو مما تلقوه من مأثورات الإسرائيليين فقد سبق أن نقلنا الحديث الذي في صحيح البخاري: (**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**).

وفي صحيح ابن حبان:

(أخبرنا ابن قتيبة قال: حدثنا حرملة قال: حدثنا ابن وهب قال: أخبرنا يونس عن ابن شهاب أن نملة بن أبي نملة الأنصاري حدثه أن أبا نملة أخبره: أنه بينما هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء رجل من اليهود فقال: هل تَكَلَّمُ [وفي سنن أبي داود هل تتكلم] هذه الجنازة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أعلم). فقال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما حدثكم أهل الكتاب فلا تُصدقوهم **ولا تُكذبوهم** وقولوا: آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله. فإن كان حقا لَمْ تكذبوهم وإن كان باطلاً لَمْ تصدقوهم). وقال: (**قاتَل اللهُ اليهودَ لقد أُوتوا عِلْماً**)). انتهى.

فهاهو النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين يحذرنا من تصديقهم [فيما لم يكذبه القرآن أو السنة] ومن تكذيبهم [فيما لم يصدقه القرآن أو السنة] **فكيف**

ومسألتنا صدقتها السنة كما في الحديث المرفوع الذي أوردناه [في صفة أهل الجنة وأن أعمارهم على ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون]؟!.

وعلى فرض التسليم بضعف الحديث فهو غير مقطوع بكذبه بل احتمال صدقه غالب على كذبه لوروده من طريقين مختلفين على ما سبق. فهذا أدعى على الأقل للاحتراز عن القطع بكذب ما جاء عن أهل الكتاب في هذا الشأن.

ولئن كنا منهيين عن القطع بتكذيب أهل الكتاب فيما يحدثونا به [طالما لم يكذبه القرآن والسنة] فمِن باب أولى أيضاً عدم القطع بتكذيب رواة الحديث فيما أخبرونا به وهم من المسلمين طالما لا يوجد ما يقطع بكذبه من القرآن أو السنة.

ولا يسعنا في هذا المقام قبل أن نختم الحديث في هذه النقطة إلا أن نعرج استئناساً على ما بات يعرف بـــ (**مخطوطات قمران**) أو مخطوطات البحر الميت لصلتها بما نحن بصدده صلة وثيقة.

وهذه المخطوطات هي عبارة عن مخطوطات قديمة اكتشفت محفوظة في مغارات في منطقة خربة قمران أو وادي قمران قريباً من شواطئ البحر الميت وهي عبارة عن لفائف من الجلد العتيق أو ورق البردي عليها كتابات معظمها باللغة العبرانية القديمة والآرامية.

ويعود زمن تدوين هذه المخطوطات للفترة **ما بين ٢٠٠ ق.م إلى ٧٠ م**. وكان أول اكتشاف لهذه المخطوطات مصادفة من بعض الرعاة في تلك المنطقة عام ١٩٤٧م في إحدى المغارات ثم تلتها عدة اكتشافات لمغارات أخرى في نفس المكان تحوي العديد العديد من هذه المخطوطات والتي تعود لطائفة من اليهود عرفوا باسم الإسينيين الذين انفصلوا عن سائر اليهود واعتزلوهم وسكنوا منطقة قمران.

يقول الباحث بمقارنة الأديان طارق عبده إسماعيل في كتابه "إنجيل قمران":
(ولابد هنا أن نبين الحكمة العظيمة من ظهور هذه المخطوطات قدراً بفلسطين التي كانت أرض اليهودية فترة من الزمن. فهذه المخطوطات هي مكتبة لطائفة منهم عاشت أجيالها من قَبْل المسيح بمائتي عام حتى عاصرت عهده. وظلت بعده بأربعين عام كما هو مذكور في مخطوطاتهم قبل تركهم لهذا المكان.

وهي طائفة يهودية متدينة زاهدة مثالية في أخلاقها ومعاملاتها قد إعتزلت القدس ومدن اليهودية بسبب فسادهم وبعدهم عن شريعة موسي عليه السلام وأقامت وطن لها بوادي قمران أمام كهوف البرية التي علي شاطئ البحر الميت. وأطلقت على مكان هجرتها هذا مسمى (دمشق) وامتدت قرى أتباعها ببرية الشام حتى مدينة دمشق التي هي العاصمة السورية الآن. ولما أرسل الله سبحانه المسيح بن مريم آمنوا به وناصروه.

وجعلت الطائفة كهوف قمران مكان مكتبتها الدينية وتركت هذه المكتبة بهذه الكهوف عندما غادرت أول موطنها بدمشق قمران إلى آخر موطن ببرية دمشق والمعروفة حالياً كما قلنا بدمشق العاصمة السورية وذلك بسبب نفوذ الجيش الروماني بالمنطقة لقربها من القدس عند حصاره لها وتدميره الهيكل عام ٧٠م.

وظلت هذه المخطوطات المقدسة محفوظة في قوارير ضخمة من الفخار مغطاة لمدة ألفين عام تقريباً حتى تم العثور عليها قدراً كما ذكرنا. والرائع في هذه المعجزة أن هذه المخطوطات ظهرت بين سيطرة محتلين ليسوا من المسلمين إطلاقاً وذلك حتى تقام الحجة الدامغة علي اليهود والمسيحيين مما سوف تظهره هذه المخطوطات من بشارات بدين الإسلام وأنه الدين الخاتم وما عداه من يهودية ومسيحية هي بقايا أديان سماوية قد تغيرت إلى الوثنية). انتهى.

وفي موضع آخر يقول:
(لقد أثبتت المخطوطات أن المسيح لم يصلب و لم يقتل كما أخبر القرآن الكريم وأنه بشر وليس إله ولا إبناً لله). انتهى.

وفي موضع آخر يقول:
(فلقد بذل معظم القائمين على هذه المخطوطات من باحثين يهود ومسيحيين محاولات مضنية للبحث في هذه المخطوطات عن شخصية المسيح التي رسمتها الأناجيل الحالية وطال البحث و لم يجدوه.

فليس هناك وصف بهذه المخطوطات لمحاكمة ابن الله وليس هناك ذكر لعملية الصلب والقتل. وليس هناك هذا الإله المتجسد كما تحكي الأناجيل الحالية. وليس هناك قيامة من القبر. وليس هناك دعوة لنشر المسيحية بين العالم كدين عالمي يخص بني إسرائيل وغيرهم .....إلى غير ذلك من اختلافات كثيرة مع مبادئ المسيحية والأناجيل الموجودة الحالية.

مما دفع هؤلاء القوم من يهود ومسيحيين قائمين على ترجمة وفحص هذه المخطوطات إلى القول بعدم وجود ذكر للمسيح وإنجيله بهذه المخطوطات إلا القليل منهم على إستحياء. وقد تعرضوا لنقد لاذع في جو من السخرية والتهكم.

وعلى النقيض قد ذهب بعضهم وشكك في وجود شخصية المسيح التاريخية مثل (جون أليجرو) وهو بريطاني من جامعة مانشستر وعضو من أعضاء اللجنة الثمانية المسموح لها فقط بالاطلاع على المخطوطات. واعتبر هذا أن قصة المسيح برمتها مجرد وهم.

وهذا الاعتقاد الأخير فيه جانب من الحق والصدق لإنه بالفعل شخصية المسيح ابن الله المصلوب وخروجه من القبر وغيرها من معالم المسيحية الحالية هي مجرد وهم مخالف للحقيقة. وبالفعل قد تم تزييف التاريخ المسيحي في هذه القصة وتزوير ذاك الدين وعقيدته وتعاليمه.

ولقد كان قول المسئولين عن المخطوطات مكرر كثيراً بأن الشخصية المحورية التي قامت عليها المخطوطات (**معلم الحق والصلاح**) كانت قبل الميلاد.

وكان لهذا القول تأثير قوي جداً لإبعاد أي محاولات لإثبات أن هذه الشخصية هي بعينها المسيح عيسى ابن مريم لإن ذلك الإثبات سيهدم العقيدة الدينية والسياسية لكيان دولة إسائيل ودولة الفاتيكان وما يتبعهما من تداعيات على اليهود والمسيحيين في العالم أجمع.

فشخصية **معلم الحق والصلاح** تمثل محور المخطوطات وقاعدة وهيكل البناء كله وما عدا ذلك مجرد تفاصيل داخلية وكماليات لهذا الصرح الذي يمثل هذه الطائفة.

ولذا نجد في أقوال الكثير من هؤلاء المسئولين عن المخطوطات تأكيدهم المتواصل بأن معلم الحق والصلاح كان تاريخ ظهوره قبل الميلاد بقرن أو قرنيين من الزمان أو أنه يمثل أول معلم لهذه الطائفة عند بداية ظهورها قبل الميلاد بمائتي عام.

في حين أن قانون الطائفة نفسها الموجود بهذه المخطوطات يبين **أن معلم الحق والصلاح هو آخر معلمي هذه الطائفة**. ففي الترجمة العربية للاستاذ الدكتور سهيل زكار بالطبعة الأولى نجد في قانون الطائفة بيان للقواعد التي يجب أن يسير عليها معلم الصلاح:- (يجب أن تنسق كل معارفه المكتشفه خلال العصور

ويُقَوِّمها مع مبادئ عصره .... عليه أن يخفي تعاليم الشريعة عن رجال الكذب. ولكن عليه أن يفضي بالمعرفة الصحيحة والحكم والعدل لأولئك الذين اختاروا الطريق القويم. وعليه أن يرشدهم إلى كل المعارف حسب روح كل منهم وطبقاً لقوانين العصر) .... قانون الطائفة.

إن هذه المواد القانونية عندهم تعني بلاشك أن شخصية معلم الحق والصلاح هي الشخصية الأخيرة التي بعثت من عند الله لبني إسرائيل لأنه سيقوم بتعديل وتقويم الشريعة والمعارف الدينية لأبناء جيله وطبقاً لمبادئ عصره. وهذا سلوك إيماني سليم فكل نبي سيأتي بوحي من عند الله يُعدل به التفاسير الخاطئة والتعاليم الدخيلة على الشريعة التي أحدثها أحبار بني إسرائيل بالتحريف والتأويل.

وهذا بالتالي يعني أن الشخصية المحورية لشريعة وقوانين الطائفة هي شخصية آخر نبي من أنبياء بني إسرائيل. وهذا سيكون بلاشك وبلا اختلاف المسيح عيسي ابن مريم.

ثم أنهم قد حددوا آخر وجود لهذه الطائفة في عام ٧٠م. وحتى ذلك الوقت لم يبعث الله سبحانه أحد كمجدد ومقوم للشريعة اليهودية من بعد المسيح ابن مريم الذي رفعه الله سبحانه للسماء عام ٣٣م على أرجح تقدير.

أضف إلى ذلك أن المخطوطات قد حددت وبينت أن تدمير القدس على يد الرومان كان بعد أربعين عام من ظهور معلم الحق والصلاح مما يعني أن التوافق التاريخي أيضاً يثبت أن هذا المعلم هو المسيح ابن مريم عليه السلام وهذا بالتفصيل موجود بكتابنا هذا بصفحة مائتين وخمسة وسبعون بالدليل). انتهى.

وفي موضع آخر يقول:
(إن مخطوط الوصايا من ص٤٠:٥١ ليحكي بشرح مفصل أسباب فساد بني إسرائيل وهجرة الطائفة إلى أرض دمشق قمران والمعسكرات التي حولها.

فجيل بعد جيل من بني إسرائيل يُظهر الله سبحانه لهم معلم ورسول حتى جاء المعلم المسيح المؤيد بالمعجزات فدبروا له مكائد لقتله فهاجر إلى طائفة الإسينيين هو ومن آمن معه وأقام بأرض الهجرة

والإعتزال التي اتخذوها من قبل ... ولقد هاجر إليهم هذا المعلم المسيح طلباً للنصرة والإقامة بـــ (دمشق برية قمران) مع الجماعة وظل معهم حتى رفعه الله سبحانه للسماء وأنجاه من بطش المغضوب عليهم.

ثم بعدها بوقت قصير حدث نفس الأمر المقرر والمكرر من الله سبحانه وهو هلاك الكافرين بعد هجرة المؤمنين واعتزالهم لهم كما ذكرنا منذ قليل أنها سُنة الله في الأرض.

فبعد هجرة المسيح بن مريم إلى الأنصار المعتزلين بدمشق قمران ثم رفعه للسماء لم يلبثوا كثيراً من السنين حتى سلط الله سبحانه على هذا الجيل العذاب والقتل والتحريق والهدم عليهم من قبل جيوش أعدائهم الرومان.

ولقد تم نجاة هذه الطائفة المؤمنة لوجودهم بصحراء برية دمشق قمران بعيداً عن حصار القدس ومدن فلسطين من قِبَل هذه الجيوش الرومانية.

فقصة العذاب الشديد وتدمير القدس بعد زيارة المعلم الماضية بأربعين عام كما قال مخطوط الوصايا لهو تحديد لا مثيل له لشخصية هذا المعلم وأنه بالفعل المسيح ابن مريم. ولايغيب عنا أن الأناجيل الحالية كذلك رغم تحريفها قد ذكرت هذا العذاب وهدم الهيكل والقدس من بعد ذهاب المسيح. **وهذا كله توافق رائع من إنجيل قمران والأناجيل الحالية لما جاء به القرآن الكريم في أمر عذابهم بعد شخصية المعلم المسيح ابن مريم.**

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) **فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا** وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [آل عمران:٥٥،٥٦].

إن عذابهم في الدنيا قبل الآخرة كما ذكرت الآيات الكريمة. وتذكر الوصايا الاجتماع الأخير مع المعلم باللقاء الأخير بأرض دمشق (مكان الطائفة بقمران) **وأن دمار القدس وعذاب بني إسرائيل بعد أربعين سنة من تاريخ هذا اللقاء** ... **وهو ماحدث بالفعل تاريخياً مما يبين أنه هو المسيح ابن مريم وأن طائفته هي طائفة الحواريين.**

فرفع المسيح للسماء ونهاية زيارته الأولى كان بعد عام ٣٣م تقريباً وبداية العذاب الموعود على يد الرومان مع تدمير الهيكل وتشريد وقتل بني إسرائيل كان أشده مابين عام ٧٠:٧٣ م). انتهى ببعض اختصار.

ويقول في باب (أدلة الإثبات القرآنية بأن طائفة الإيسينيين هم الأنصار الحواريين وأن معلمهم هو المسيح ابن مريم ومِن مخطوطاتهم إنجيل النصرانية الأول الموافق للقرآن):
(الدليل السادس: نجاة معلم طائفة الإسينيين من محاولات القتل ثم رفعه للسماء بنفس معنى قول الله سبحانه عن المسيح: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ** وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء:١٥٧،١٥٨]. وقوله أيضاً جل شأنه عن المسيح عيسي: {وَإِذْ **كَفَفْتُ** بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ} [المائدة:١١٠].

فقد دار الحديث عن قصة نجاة هذا المعلم من محاولات الاعتداء عليه وقتله في حوالي ستة عشر موضع بهذا الإنجيل المخطوط (الوصايا وتراتيل الحمد والشكر) بنفس التوافق القرآني عن نجاة المسيح من القتل بفضل الله سبحانه عليه. وتقرر الوصايا صفحة ٤٧ بهذا الكتاب بأن **معلمهم كان له زيارة ماضية مما يعني أن له زيارة لاحقة في آخر الزمان مما يعني أن هذا المعلم هو المسيح ابن مريم وأن هذا المخطوط هو إنجيله وأنه لم يمت وله زيارة لاحقة بعد الماضية بالطبع**). انتهى.

وفي موضع آخر يقول:
(الدليل الثاني عشر: الحواريون الأنصار هم الطائفة الإيسينية. إن هذا المعلم المنسوبة له هذه التراتيل سيحضر هو وأعضاء مجلسه إلى هذه الطائفة ويتمسكوا بها من بعد أن كانوا يطاردوه حتى نفوه كنفي طائر من عشه في صفحة ٦٧،١١٤،١١٨.

مما يعني كما قلنا أن هذه الطائفة كانت موجودة من قبل دعوته وأنها بالفعل طائفة الحواريين أنصار الله للمسيح ابن مريم كما حكى قصتهم القرآن الكريم. ففي صفحة ٧٠،٨٦،٨٧ شرح لقول الله سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا **قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ** مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ **قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ** فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِين} [الصف:١٤].

فهذه السيرة الأنصارية النصرانية لا تجدها أبداً في الأناجيل الحالية المحرفة لأنهم يحكوا قصة المسيح دائماً مطارد هو وأتباعه وليست له طائفة قائمة ناصرة له ولدينه ومُهابة من طائفة الكفر من بني إسرائيل. ففي صفحة ٧٠ بيان بأن الله سبحانه سوف يبعث الخوف منهم في شعب بني إسرائيل.

فسيرة هذه الطائفة كطائفة أنصار لهذا المعلم ظاهرة مؤيِّدة مُهابة كما قص القرآن الكريم عن الحواريين تثبت بالفعل أن هذا المعلم المنسوبة له هذه التراتيل والوصايا هو بالفعل المسيح ابن مريم وأن ما نسب له من وصايا وتراتيل هو الإنجيل الأول للنصرانية والذي أطلقنا عليه إنجيل قمران البحر الميت.

إن عمر دعوة المسيح متمثلة في ثلاث سنوات فقط قضاها المسيح عليه السلام بين مدن فلسطين وفي نهاية الثلاث سنوات هذه كان مكان الهجرة والنصرة بربوة قمران مع الحواريون العيسينيين هذا هو التصور الصحيح لنهاية دعوة المسيح عليه السلام في بني إسرائيل.

إن الوصف الأهم في إثبات أن هذه الطائفة هي طائفة الحواريين يتمثل في فهمنا لوصف الأنصار عبر تاريخ الأنبياء حتى النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم فأنصار الله لأي نبي من الأنبياء لابد أن يتوفر فيهم شرطين وهما (الإيمان وقوة التمكين في أرضهم). فالإيمان شرط لإنهم أنصار منتسبين لله بإقامة شرعه وحكمه. وقوة التمكين في أرضهم شرط آخر حتى يهاجر إليها هذا النبي من بعد ما يترك أرض الكفر التي كان ينذر قومه فيها من قبل. فلابد أن تكون هذه الأرض محمية بقوة هؤلاء الأنصار ومقدرتهم في الدفاع عن هذا النبي وهذه الرسالة الجديدة. وبغياب هذين الشرطين أو أحدهما يسقط مسمى الأنصار ولكن لا يسقط مسمى المؤمنين.

فلا أنصار لنبي الله بدون إيمان وبدون أرض محمية بتمكين وقوة هؤلاء الأنصار. ولكن قد يوجد مؤمنين بأرض الاستضعاف مع غياب هذين الشرطين وهؤلاء هم المهاجرين المفروض عليهم الهجرة إلى أرض الأنصار. وهذا هو الفرق بين المؤمنين الأنصار والمؤمنين الآخرين على مر تاريخ الأنبياء والرسل.

إن سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يتضح فيها بروز دور الأنصار واضحاً جلياً في قبيلتي الأوس والخزرج المؤمنتين بأرض يثرب والتي كانت خاضعة لحكمهم وسلطانهم. فأنصار يثرب قد آمنوا برسول الله من قبل ثم بعد أن عرض رسول الله عليهم إيواءه ونصرته وهم بموسم الحج بمكة المكرمة وافقوا وبايعوا على ذلك بمكة بيعة العقبة الأولى ثم الثانية بعد. ثم استقبلوا رسول الله وآووه ونصروه عندما هاجر إليهم

وأقاموا دين الله ببلدهم ودافعوا وحاربوا بالنفس والمال لنصرة هذه الرسالة الجديدة ونصرة نبيها صلى الله عليه وسلم.

ففي السيرة النبوية حينما كانت البيعة بين رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وبين الأنصار قال: (أخرجوا إليّ منكم **اثني عشر نقيباً** يكونون على قومهم بما فيهم).

وهذا العدد المحدد اثنا عشر كان بعدد البطون القبلية من عرب المدينة المنورة. نقيب عن كل بطن فهو تمثيل قومي (قبلي). فلما أخرجوهم قال للنقباء: (أنتم كفلاء على غيركم **ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم** وأنا كفيل على قومي). فكانت مهمة النقباء يومها القيام بمتطلبات النصرة التي تعاهدوا عليها مع رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم. فتأسس أول تمثيل نيابي شعبي لنصرة نبي الإسلام ليكون بمثابة مجلس يمثل طائفة الأنصار (مجتمع مدينة يثرب).

....

إن القصة برمتها متشابهة في العناصر والمواقف مع عيسى ابن مريم وطائفة العيسينيين الحواريين. حتى العدد الإثني عشر الذي يمثل عدد نقباء من يمثلون طائفة الحواريين ومن يمثلون طائفة الأنصار من الأوس والخزرج. وقد أورد القصةَ القرآنُ الكريم وأورد جوانبَ منها إنجيلُ تراتيل الحمد والشكر من مخطوطات هذه الطائفة الذي نحن بصدد عرضه بعد قليل. قال الله سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّه كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّه قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّه فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِين} [الصف:١٤].

إن طائفة أنصار أي نبي من الأنبياء هي التي ستكون منصورة من الله على عدوها في النهاية. وهذا واضح في سيرة أنصار المدينة المنورة الذين فتحوا مكة وغيرها من البلاد بعد ذلك.

وكذلك كانت قصة أنصار الله العيسينيين الحواريين مع ابن مريم عليه السلام من قبل. فهم الذين هاجر إليهم وأقام بينهم وآمنوا به ونصروه وآووه حتى رفعه الله إلى السماء. وأظهرهم الله سبحانه على اليهود جميعاً بفلسطين والقدس من بعده.

إن الأنصار في زمن النبيين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام كانا يمثلا مجتمعين قائمين مستقلين سياسياً وشعبياً ونيابياً ويتحملان مسئوليات جسيمة تجاه ذلك كله في مواجهة قوى الطغيان والكفر. فهم ليسوا إثني عشر رجل فقط. فالإثني عشر هم نقباء ممثليين لمن خلفهم سواء في مجتمع يثرب أو مجتمع طائفة قمران العيسانية الحوارية. فهم يمثلوا إثني عشر عرق وسبط وقبيلة من أقوامهم الذين ينوبون عنهم. ولقد ذكرت ذلك السيرة النبوية الصحيحة كما ذكرنا ومخطوطات قمران بالقانون المسائحي بترجمة سهيل زكار عن غيزا فيرمز: (وبعد سوف يأتي مسيح بني إسرائيل ويجلس أمامه زعماء أسباط بني إسرائيل كل حسب مرتبته وتبعاً لمترلته في المعسكرات والمسيرات ويجلس أمامهم رؤساء أسر جماعة المصلين والرجال الحكماء لطائفة القداسة كل حسب مرتبته وكل حسب مكانته).

إن طائفة اليهود الذين آمنوا بالمسيح ابن مريم (الحواريون) هم الوحيدون الذين قد تركوا العبادة بالهيكل وبشروا بهدمه ونهاية العبادة به كما تنص على ذلك الأناجيل الحالية على لسان المسيح رغم تحريفها. ففي إنجيل يوحنا بالإصحاح الرابع: (قال لها يسوع يا امرأة صدقيني إنه تاتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للاب ٢٢ أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود ٢٣ ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للاب بالروح والحق. لأن الاب طالب مثل هؤلاء الساجدين له).

وهذا هو نفسه ما قام به طائفة الإيسينيين مما يبين أنها بالفعل الطائفة الحوارية. فليس هناك على مدار هذا التاريخ طائفة يهودية قد تركت العبادة بالهيكل وهو تحت سيطرة اليهود غير الطائفة الحوارية التي تمثل المسيح والنصرانية الأولى فهي التي اعتزلت القدس والهيكل وكل مدن اليهود وأقاموا بربوة قمران وكهوفها وباديتها. ولقد نصت هذه الأية من الوصايا عن نهاية العبادة بالهيكل وقفل بابه (وهم سوف يقفلون الباب بالدرباس) وهي بكتابنا هذا بنهاية صفحة رقم خمسة وأربعون). انتهى ببعض اختصار.

وفي موضع آخر يقول:
(الدليل السادس والعشرون: الطائفة ومعلمها وتفسير حبقوق والمزامير. هناك علاقة كبيرة وعظيمة قد ذكرها القرآن الكريم بين داود والمسيح عليهما السلام قال الله سبحانه: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ **عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة:٧٨،٧٩].

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله {لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود} يعني في الزبور (المزامير) {وعيسى} يعني في الإنجيل.

إن كفر وعصيان واعتداء بني إسرائيل قد شمل معظم رسلهم وأنبيائهم **ولكن بالتأكيد هناك حكمة من تخصيص الله سبحانه ذلك على لسان داود وعيسى ابن مريم دون غيرهم من الأنبياء** المقتولين والمعتدى عليهم من بني إسرائيل.

إن العقاب الذي وقع عام ٧٠م يثبت أن الشخصية الرئيسية التي تحدثت عنها المخطوطات بأنها بالفعل المسيح ابن مريم عليه السلام فهو الرجل المؤيد بالمعجزات. **وقد نصّ أهل المخطوطات على أن العقاب الإلهي لبني اسرائيل سيكون بعد أربعين سنة من ذهاب هذا المعلم** الذي لقبوه بالمعلم الفريد أو الوحيد كما سبق بيانه. فالعقاب على أيدي الروم (القطيم) الذي تبعه تدمير الهيكل تماماً وتشتيت بني اسرائيل. وقد حدث ذلك بالفعل كما بشرت به المخطوطات. والمعلم الفريد الذي نذكره هنا والذي سيأتي العقاب بعد محاولة قتله بأربعين عاماً هو نفسه المعلم الصالح الذي تردد ذكره والإشارة إليه بالمخطوطات بأنّ التآمر لقتله سيكون سبباً لهلاك بني اسرائيل. **وورد الحديث عن إهلاك بني اسرائيل بسبب محاولة قتل المعلم الصالح في مواضع عدة بالمخطوطات.** ففي الإستشهاد من الوثيقة المسماة بوثيقة دمشق (العمود الأول) حيث جاء النص الصريح بإسلام بني اسرائيل لسيف الإنتقام وذلك كما هو مكتوب من قبل عند ضلال اسرائيل كعجل ضال (ورد هذا التشبيه بكتاب هوشع ٤: ١٦): (وعندما ظهر المستهزئ الذي غمر اسرائيل بكذبه وجعلهم يضلون بالصحاري بدون هدى. وعندما اختاروا اتباع الأوهام واعتبروا الصالح زنديقاً. وعندما تواطؤوا ضد حياة الرجل العادل) .. فالرجل العادل هو نفسه معلم العدل والصلاح.

وكيف لا يكون ذلك المعلم هو عيسى ابن مريم عليه السلام (المسيح بن داود) وقد فصّلت المخطوطات والرسائل اليهودية في العقاب الذي سيحل على بني اسرائيل من بعده بشكل مدهش شامل لحرق الهيكل ودماره التام وهلاك معظم اليهود الأشرار حتى لا يكاد يوجد بالأرض منهم أحد. وهو ما تحقق كله تماماً أربعين سنة بعد محاولة صلب المسيح عليه السلام.

إن أصحاب المخطوطات يفسرون مزامير داوود وسفر حبقوق ليعني قضية واحدة تلك هي هلاك بني اسرائيل القريب على أيدي الروم اللذين لقبوهم بالكتيم Kittim ويذكرون أن عبارة حبقوق: (أن الشرير يحاصر البارّ) تعني بالشرير هو الكاهن اليهودي في آخر الأيام وبأن البارّ هو المعلم الصالح وأن عبارة (ولِمَ تصمت عندما يبتلع الشرير من هو أبر منه؟) إنها تعني بيت ابشالوم وأعضاء مجمعهم الذين سكتوا عند معاقبة المعلم الصالح و لم يساعدوه ضد الرجل الكذاب الذي كان قد احتقر الشريعة. وأن هذا العقاب يخص كهنة أورشليم الذين يكدسون الثروات والربح. ولكن في نهاية الأيام فإن ثرواتهم وثمار نهبهم سيطرح بين يدي جيش الكتيم – أو القطيم أي الروم الذين سيُهلكون كثيراً من الناس وستسقط الأرض المقدسة تحت سيطرتهم.

ويؤكدون في تفسيرهم لسفر حبقوق **أن العقاب هذا الذي سيكون على كهنة اليهود هو بسبب 'الإثم المقترف ضد معلم الحق'**.

وغني عن القول بأن الحديث هو عن عقاب اليهود الذي وقع على أيدي الروم عام ٧٠م فهو الذي وقع على آخر كهنة اليهود الذين تولوا حكم اليهود وهو الذي وقع بعد٤٠ عاماً من محاولة صلب المسيح. وأما الكاهن الشرير فهو قطعاً قيافا الذي تآمر على المسيح وسعى للقبض عليه في بيت منفاه بقمران كما كانت تسمى بمكان المنفيين (أرض الهجرة).

وهنا يكون توافق تام لتفسيرات أهل المخطوطات مع مزامير داوود عليه السلام في بيان قول الله سبحانه: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ **عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة:٧٨،٧٩].). انتهى.

وفي موضع آخر يقول:

(الدليل السابع والعشرون: معلم الصلاح رسول الله. إن معلم الصلاح هو اللقب الغالب على وصف الشخصية المحورية لقائد هذه الطائفة وهناك إجماع على عدم ورود أي إشارات في التاريخ تدل من قريب أو من بعيد على ظهور مثل هذه الشخصية الفريدة المؤيدة بالمعجزات قبل عصر عيسى عليه السلام ذلك العصر الذي عاش خلاله أهل المخطوطات.

وقد ورد الحديث بالمخطوطات عن المعلم الصالح بصيغة المستقبل كذلك في وثيقة دمشق ٦: ١١ بـــ (**أنّه سيعلم الصلاح في آخر الأيام**) وهو ما اضطر بعضهم للقول **بأن هذا دليلا على اعتقاد أصحاب المخطوطات بعودة المعلم الصالح مستقبلاً وهذا موافق للأحاديث النبوية الصحيحة الخاصة بأحداث آخر الزمان ونزول المسيح عليه السلام**.

وكيف لا يكون المعلم الصالح (بالمخطوطات) هو عيسى عليه السلام وأتباعه تاريخياً قد لقبوا بالمساكين (The poor). وهو لقب لا يستغربه المسلم وهو يقرأ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثيرة عن المساكين: (قمت على باب الجنة فكان **عامة من دخلها المساكين**) من رواية البخاري وغيره. و (احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت هذه **يدخلني الضعفاء والمساكين**) مما رواه مسلم.

ونضيف على كل ما سبق ثبات الإشارة إلى عيسى عليه السلام بأنه المعلم وبأنه الصالح أو البارّ. ومواضع مخاطبته من قِبَل حوارييه والناس في زمانه بلفظ يا معلم أو بأنه المعلم كثيرة جداً بالأناجيل والرسائل الحالية رغم تحريفها.

وأشيرَ إليه كذلك **بالبارّ** وكلمة البار (والأبرار) هي ترجمة الأناجيل العربية لأغلب مواضع كلمة Righteous منها رسالة يوحنا الأولى ٢: ١ (يسوع المسيح البار). والعبارة بالإنجليزية هي "Jesus Christ the righteous" وفي متى ٢٧: ١٩، ٢٧: ٢٥، لوقا ٢٣: ٤٧ .. ونادته امرأة بالصالح..

وفوق كل ذلك فإنّ نبؤات المزامير العديدة عن الرجل الصالح والتي استشهد بها أهل المخطوطات بأنها تتحدث عن نفس المعلم الصالح الذي يتحدثون عنه. وقد اعتبرها لوقا في رسالة الأعمال والنصارى من بعده أنها تعني عيسى عليه السلام. واستعان بها كتبة الأناجيل كمتى ومرقص ويوحنا ولوقا أثناء الحديث عن المسيح عيسى عليه السلام. وأشار إليها شراح الأناجيل لتعني عيسى عليه السلام.

مما يعني أن المعلم الصالح أو المعلم البار هو عيسى عليه السلام نفسه. وكيف لا يكون هو عيسى وقد تحدثت هذه المزامير عن نجاة هذا الرجل الصالح وسقوط أعدائه على الأرض وإرسال الله عز وجل الملائكة

لإنقاذه ورفعه للسماء: (أرسل من العلى فأخذني) (الآن عرفت أنّ الرب مخلص مسيحه) (الربّ معروف بعدله قضَى أن يقع الشرير في شرك أعماله) مزمور ٩: ١٥..

وبهذا فإن الرجل الصالح الذي هو عيسى حسب تفسير كتبة الأناجيل سينقذه الله بملائكته وأن الرجل الصالح أو البار Righteous الذي تحدثت عنه المزامير هو عيسى عليه السلام كذلك وهو المعلم الصالح حسب رأي أصحاب المخطوطات حين فسروا نفس المواضع من المزامير.

ولكن هل وصف القرآن الكريم عيسى بن مريم بالمعلم الصالح؟ **إن القرآن الكريم وصف المسيح بن مريم بالمعلم الصالح من المهد إلي اللحد** فقال: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * **وَيُكَلِّمُ النَّاسَ** فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا **وَمِنَ الصَّالِحِينَ** * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} [آل عمران:٤٥-٤٩].

إن كلام المسيح بن مريم للناس وهو في المهد وكهلاً ليس المقصود به الكلام العادي. بل هو الكلام في التوحيد والعبودية وأصل الرسالة والنبوة كالصلاة والزكاة وصلة الرحم والبعث والسلام والبركة التي بدين الله سبحانه. وذلك كان منه في المهد من قبل نفس كلامه بالكهولة حتى اللحد بعد عودته في آخر الزمان في زيارته الثانية.

{فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ** آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا** أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * **وَبَرًّا بِوَالِدَتِي** وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} [مريم:٢٧-٣٤].

إذاً لقد وصفه القران الكريم بالمعلم والصالح:- فهو معلم للناس من حوله من خلال رسالته وكلامه في دين الله سبحانه. وهو صالح لإنه كما قال عنه القرآن الكريم بالآيات السابقة: {ومن الصالحين}.

ففي صفحة ١٢٣ **بكتابنا هذا بإنجيل قمران بيان يثبت أن هذا المعلم رسول من عند الله سبحانه** حيث يتحدث المعلم عن نفسه ويشهد بأنه رسول الله (لمخلوق قد حميته ودعمته بقدرتك حتى يستطيع أن يكون طبقاً لصدقك **رسولاً** في موسم إحسانك حتى يستطيع أن يجلب للمحرومين الضعفاء الأخبار المفرحة عن رحمتك الحميمة التي تعلن الخلاص النابع من ينبوع قداستك).

ويتواصى أهل المخطوطات على الصبر والثبات على التعاليم في الفترة التي ستمتد بعد ذهاب المعلم الصالح وعقاب بني اسرائيل حتى مجيء النصر الرباني العظيم على الأمة الكافرة تماماً كما أوصى المسيح أتباعه في فترة انتظارهم من بعده لمملكة الله التالية. وحتى يأتي **المختارون** كما بالأناجيل الحالية رغم تحريفها. وأن المختارين ما كانوا إلا المسلمين. وأنّ مملكة الله ما كانت إلا دولة الإسلام. (ويظهرون على كل أبناء العالم ويتوب الله عليهم) ومثل هذا النصر الذي تحدثت عنه النبوات إنما سيتمّ من بعد عقاب الله لبني اسرائيل وسيكون (إجماعاً) **على يدي المصطفى وخلفائه** أصحاب الدعوة العالمية من بعد عيسى عليه السلام. مَن يكون إلا محمد صلى الله عليه وسلم. وهل ينازعه في ذلك أحد. كيف وقد مضت ألفي عام من بعد عقاب الله لبني اسرائيل وما جاء خلالها من نبي غير رسول الإسلام الذي انطبقت عليه كل البشارات بشكل تام.

وقد تحدّث أصحاب المخطوطات عن نصر المؤمنين على كل شعوب العالم وهو الذي سيشعل الحرب على الروم كما فهم الباحثون من المخطوطات. وهو غير المعلم الصالح الذي سيُرفع للسماء قبل ذلك بطبيعة الحال كماذكرنا.

ولكنهم أي أصحاب المخطوطات تجد بعضهم ظنّوا في بعض المواضع بتفسيراتهم أن المؤمنين الفاتحين المنتصرين على الروم هم بقية منهم. وأنّ النبي الخاتم هو من نسل داود. وهو ما ردّه المسيح عليه السلام ففي وثيقة دمشق (الرقعة ب، في بدايتها) جاءت إشارة واضحة للفترة الزمنية بين رفع (حسب ترجمة موسى الخوري) أو موت (حسب عدد آخر من النصوص المطبوعة بالإنجليزية) المعلم الفريد أو المعلم المحبوب أو معلم الجماعة أو المعلم الصالح (اختلاف بين المترجمين لنفس الفقرة؟) حتى مجيء المسيح من نسل داود وهارون دونَ ذكرٍ للمدة لإنقطاع النص فجأة بالتراجم أو بالنسخ التي أتيحت للباحثين.

ومثل هذه الإشارة إلى المسيا جاءت في المخطوطات عند تفسير المزمور فجاء في القطعة Q171٤ عند تفسير عبارات من المزمور: (ولكن هؤلاء الذين ينتظرون أو ينظرون الربّ سيملكون الأرض) وتفسيرها

أن هذا يخص **جماعة المصطفين الذين يعملون كما يحبّ**. (وبعد قليل لن يوجد الشرير سأنظر موضعه ولن يكون هنالك) وتفسيرها أن هذا يخص كل الأشرار فعند **نهاية الأربعين سنة** فإنهم سيُنفون خارج الأرض ولن يبقى منهم أحد. (ولكنّ المتواضعين سيملكون الأرض ويتمتعون بسلام وافر) وتفسيرها أن هذا **يخص جماعة المساكين** الذين تابوا فسينجون من حبائل إبليس ثم إن كل الذين ملكوا الأرض سيسعدون) انتهى النص.

وواضح أنَّما يقصدونه هنا هو عذاب اليهود وطردهم من الأرض المباركة بعد أربعين سنة من محاولتهم قتل المعلم الصالح (المسيح بن مريم) كما بالوصايا بإنجيل قمران. ثم سيكون بعد ذلك غلبة المؤمنين وامتلاكهم للأرض بطبيعة الحال بنزعها من أيدي الرومان الذين هم – أي الرومان – هم من سيقوم بإنزال العذاب على بني اسرائيل كما ذكر ذلك بالمخطوطات كثيراً. وأما النصر فقد تم بظهور الإسلام ورسوله عليه الصلاة والسلام وخلفائه من بعده وفتح القدس والكثير من البلاد.

إن الحديث عن مجيء معلم الصلاح المؤيد بالمعجزات ومحاولة قتله وعن انتقام من اليهود بعده بأربعين عاماً وطردهم جميعاً حتى لا يكاد يبقى منهم بالأرض المباركة أحد ووقوع لعنة الله وغضبه عليهم ونجاة المؤمنين منهم (طائفة الإسينيين) من الهلاك على أيدي الرومان (القطيم) كل ذلك يعني أن هذا المعلم هو المسيح ابن مريم وأمرهم بالثبات على تعاليم المعلم الصالح عند حدوث الفتن والأمر بالصبر حتى قدوم المسيا (المصطفى) لهو كله تبشير واضح من بعده بمحمد صلى الله عليه وسلم ورسالته الخاتمة الكاملة). انتهى.

وفي موضع آخر يقول:

(الدليل التاسع والعشرون: وقوع العذاب الشديد الموعود بالكتب الثلاث. {إِذْ قَالَ اللَّهُ **يَاعِيسَى** إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * **فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا** وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [آل عمران:٥٥،٥٦]. ونفس معاني الآيات هذه أيضاً موجود بمخطوط تراتيل الحمد والشكر بكتابنا هذا بصفحة ٧٠. وفي كتابنا هذا بتراتيل الحمد والشكر بصفحة ٩٦ نجد المعلم يتحدث عن نفسه فيقول: (وسأكون سبباً من أسباب العار لأعدائي). وفي صفحة ٤٥ كان الحديث عن نهاية العبادة بالهيكل على يديهم: (من فيكم سوف يقفل الباب؟) لأنه لا فائدة من ذلك

مع هذا الشعب المغضوب عليه ومع اقتراب دمار الهيكل كما حدث بالفعل على يد الرومان و لم تقم له قائمة بعد.

وهذا الموضوع كذلك من الأدلة القوية على أن معلم الطائفة هو المسيح ابن مريم وأن هذه الطائفة هي طائفة النصارى الحواريين وأن تعاليمه هي الإنجيل الأول للنصرانية. **فقصة العذاب الشديد وتدمير القدس بعد زيارة المعلم الماضية بأربعين عام كما قالت الوصايا لهو تحديد لا مثل له لشخصية هذا المعلم بأنه بالفعل المسيح ابن مريم**. ولايغيب عنا أن الأناجيل الحالية كذلك رغم تحريفها قد ذكرت كذلك هذا العذاب وهدم القدس من بعد ذهاب المسيح في آخر لقاء واجتماع له مع طائفة الإسينيين (الحواريين) بالعشاء الأخير **وهذا كله من التوافق الرائع للكتب الثلاث (القرآن الكريم وإنجيل قمران مع الكتاب المقدس الحالي)**.

(ولسوف يمر أربعون عاماً اعتباراً من يوم الاجتماع بمعلم الحق والعدل إلى أن تحل نهاية الرجال المحاربين الذين خانوا وانضموا إلى الكذاب. وخلال تلك الحقبة سوف يشتعل الغضب الرباني ضد بني إسرائيل كما قال الرب: لن يكون هناك ملك ولا أمير ولا قاضي ولا إنسان ليحاكم) الوصايا بصفحة ٤٩ بكتابنا هذا.

وهو ما حدث بالفعل تاريخياً مما يبين أنه هو المسيح ابن مريم وأن طائفته هي طائفة الحواريين. فرَفعُ المسيح للسماء ونهاية زيارته الأولى كان بعد عام ٣٠م تقريباً وبداية العذاب الموعود على يد الرومان مع تدمير الهيكل وتشريد وقتل بني إسرائيل كان ٧٠م واستمر لثلاث أعوام.

وكان قد تم من قبل سيطرة الحواريين على القدس وأرض اليهودية كلها بعد رفع المسيح كما أخبر الله سبحانه بالآيات السابقة فأصبحوا ظاهرين وعندما عاد اليهود لمؤامراتهم فقتلوا يعقوب بن خالة المسيح حينها قرر الحواريين والنصارى الهجرة بعدما أن تيقنوا بقرب هلاك القدس كما وعد المسيح عليه السلام. وكانت الهجرة لآخر حدود دمشق المعني بها الآن دمشق الشام (العاصمة السورية).

فإن دمشق بكلتا طرفيها ستتشرف بنزول عيسى ابن مريم بهما. **دمشق قمران** كما كانوا يسمونها قد شهدت مجيء المسيح عليه السلام في رسالته لبني إسرائيل. **ودمشق الشام** كذلك ستشهد مجيء المسيح الثاني للأرض لنشر هدي الإسلام للناس أجمع ومنهم بني إسرائيل والنصارى.

وسنتحدث فيما بعد بشيء من التفصيل عن دمشق الواحدة التي تشمل الدمشقين المذكورين وسنبين مكانها العظيم بأحداث آخر الزمان كما أخبر رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد تآمر اليهود على الحواريين الذين سرعان ما تركوهم وهاجروا لدمشق مرة أخرى لتتواصل الأحداث كما أخبر المسيح **فيظهر نبيان كاذبان مرة أخرى بين اليهود يزعم كل منهما أنه المسيا المنتظر والنبي الخاتم**. ويتبعهما الناس وتتأجج الثورة ضد الروم في عام ٦٣م وينتظر الناس الفرج الموعود بقيام مملكة الله على يد المسيح مع هلاك الروم. وهم قد كذبوا المسيح من قبل وأتباعه بأن النصر الموعود على الروم سيكون عن طريق مملكة الله القادمة بقيادة نبي من بني إسماعيل وليس من بني إسرائيل ولكنهم يريدون نبي تبع هواهم ومن جلدتهم وليس كما يريد الله سبحانه. ويخلطوا الصدق بالكذب فهذه هي المملكة الرابعة (مملكة الروم) ليس بعدها إلا مملكة الله كما أخبر دانيال. وتتأجج العواطف ويظنوا أنفسهم على الحق. ويلتهب الحماس فإن وعد الله قد أصبح وشيك التحقق ويصدقوا أنفسهم ويؤمنوا بنبياهم الكاذبان ويتحمس اليهود لقتال الروم. ولكن ليكن في ذلك هلاكهم. فإنهم عصوا رسل الله الذين أخبروهم بالدين السلوك الحق فقتلوا بعضهم وسعوا في قتل الباقي (كزكريا ويحيى وعيسى وغيرهم من قبلهم) ولقد أخبروهم بهلاكهم وهلاك اورشليم (القدس) المحقق. وأخبروهم بأن مملكة الله القادمة بعد الروم ليست قادمة إلا من أمة أخرى ولكنهم رفضوا وتكبروا على ذلك الأمر. ونسوا أن عليهم عدم مواجهة الروم بل الفرار منهم كما ذكر المسيح وباقي رسلهم.

فرَفعُ المسيح للسماء ونهاية زيارته الأولى كان بعد عام ٣٠م تقريباً وبداية العذاب الموعود على يد الرومان مع تدمير الهيكل وتشريد وقتل بني إسرائيل كان أشده عام ٧٠م مع مراعاة إختلاف التقويم بين الطائفة وباقي بني إسرائيل وكذلك إحتمالية الخطأ التقديري بعامين أو ثلاث على مدار ألف عام.

كتب المؤرخ جوسيفياس في كتابه "الحرب اليهودية الكبرى" (التي عاصرها): (أنّ أهم ما دفع الناس للثورة ضد الرومان هو **نبؤة غامضة بكتابهم المقدس بأنّ واحدا من رجالهم سيحكم العالم كاملاً**).

إنها النبؤات بمملكة الله القادمة التي حرّف فهمها اليهود وجعلها "الغيوريون" مادة لدفع الناس وتحميسهم واستغلها الدجالون فتسببوا في هلاك قومهم. وفي هذا السياق أستشهد أيضا بالعبارة الواردة بمخطوطات البحر الميت والتي استشهد بها ايسنمان (الباحث المشهور في مخطوطات البحر الميت) عند التعليق على المحاولات المسيانية (أي المحاولات لإقامة دولة المسيا المنتظر) المتكررة من أن الكاهن سيمون تنبأ لليهود في

كتاب المكابيين الأول ١٤: ٤١ وهو من ضمن الكتب المسماة بابوكريفا ويقدسها الكاثوليك تنبأ لهم بأنه: (ولن يتوقف رجال العنف من محاولة أخذ مملكة السماء (أي مملكة الله) بالقوة) طمعاً أن يأتيهم نبي.

فتلك في الواقع كانت مشكلتهم إصرارهم أن مملكة الله القادمة هي فيهم وتكذيبهم لمن خالفهم من الأنبياء في ذلك بل بسبب ذلك حاولوا قتل المسيح. ويلاحظ هنا أنّ أهل مخطوطات البحر الميت تواصوا على عدم مشاركة الأشرار (وهو اصطلاح يقصدون به بقية اليهود) في أي مقاومة حتى يأتي يوم العقاب (الرقعة1Q S 10: 117-119) .. وهو يوم عقاب استئصال الأشرار من الأرض المباركة الذي تحدثت عنه المزامير وكتب الأنبياء.

فهلك اليهود رغم استبسالهم في قتال الروم الوثنيين. هلكوا لأنهم عصوا الله وكفروا برسله لما أخبروهم بأن المسيا ومملكة الله سيكونا من أمة أخرى. وما ذلك إلا لتعطيلهم الشريعة وتمردهم على الأنبياء. هلكوا لأنهم اتبعوا أنبياء كذبة أرضوا طموحهم بالقول ببقاء النبوة ومملكة الله فيهم. فكأنهم كأهل اليمامة من أتباع مسيلمة الكذاب عندما قاتلوا عن مسيلمة قتال الأبطال وقالوا (**نبي كاذب منا خير من نبي صادق من غيرنا**) فأهلكهم الله جميعاً.

لقد جهل عامة اليهود كتاب الله وتعاليمه وتمنّوا على الله الأماني. قال تعالى بالقرآن الحكيم: {وَمِنْهُمْ – أي من اليهود- أُمِّيُّونَ **لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ** وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّون} [البقرة:٧٨]. وغُرِسَ بعقولهم: {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} [المائدة:١٨]. وأنّ الله سيبعث إليهم المصطفى المختار (المسيح أو المسيا) فينتقم لهم من الأمم التي استعبدتهم ويحكمون به الأرض قاطبة. تلك أمنية زيّنها لهم علماؤهم فأهلكوا بها أمتهم.

لقد وقع على اليهود عذاباً لا يتخيله أحد. وذلك أنهم ثاروا على القائد الروماني Gessius Florusوعلى الحُكم الروماني في الفترة بين عامي ٦٤ – ٦٦ م توقعاً منهم بقرب زوال وانهيار الحكم الروماني وهو فَهْمٌ له جذوره من النبوات المتعلقه بقيام مملكة الله كما أسلفنا. فقامت القيادة الرومانية عام ٦٧م بتعيين فسبيان Vespian الذي قضى على مجموعة من جيوب المقاومة حتى عام ٧٠م حين عُيِّن هو نفسه امبراطوراً عاماً للإمبراطورية الرومانية فاستخلف ابنه تيطسTitus الذي ضرب الحصار على أورشليم في فبراير عام ٧٠م بشكل مفاجيء في وقت اجتمع بالقدس أثناءه عدة ملايين من اليهود جاءوا للاحتفال بعيد العبورPassover . وكان قد فر منها المؤمنون النصارى من اليهود (النصارى) بقيادة سمعان Simeon ابن خالة المسيح عليه السلام وبقي بها عامة اليهود ومن

تحمس لقتال الروم متوقعاً قرب قيام مملكة الله وانهيار دولة الروم. وضرب جيش الروم الحصار على القدس وهي مكتظة بالملايين التي قدمتها للإحتفال بالعيد. وامتد الحصار وطال وجاع الناس وعطشوا وهلكوا وتساقطوا أمواتاً حتى عجزوا عن دفن بعضهم البعض فقد بلغ الوهن بهم أن يتساقطوا موتى أثناء الدفن. وملئت البيوت بالجثث وأخرج الكثير منها من أبواب المدينة.

وقد ذكر جوسيفاسJosephus في كتابه "الثورة اليهودية الكبرى حصار وتدمير القدس" وهو مؤرخ يهودي عاش أحداث الحصار أن الوديان المحيطة بأورشليم امتلأت بالجثث وأن عدد جثث الموتى التي أحصاها أحد الجنود الرومان أخرجت من الباب الذي كان يراقبه – بأمر القائد الروماني – أن عدد هذه الجثث بلغ مائة وخمسة عشر ألفاً وثمانمائة وثمانون جثة أخرجت من المدينة من باب هذا الجندي فقط في الفترة من نيسان إلى تموز عام ٧٠م. وأحصى الروم ما يزيد على ستمائة ألف جثة أخرجت من أبواب المدينة مجتمعة. كلهم ماتوا جوعاً وهم غير من هلك جوعاً داخل المدينة ولم تخرج جثثهم وامتلأت بهم البيوت. فقد كانوا يكوِّمون الجثث داخل البيوت الكبيرة حتى تمتلئ فيغلقون عليها الأبواب ويكوِّمونها في أكوام بل وجبال من الجثث داخل المدينة وأمام أبوابها. واشتد الضعف والهلاك باليهود حتى منهم من لبس أكفانه قبل موته استعداداً للموت المشاهد كما يذكر جوسيفاس وانقطع عن الناس النحيب على الأموات أو الحداد عليهم. إنهم كانوا ينظرون إلى موتاهم بعيون جافة وأفواه فاغرة ويرونهم إرتاحوا قبلهم كما وصفهم جوسيفاس. واشتد الوضع على الناس حتى أكلوا من الزبائل والمجاري وفضلات الحيوانات بل أكلوا الأموات. **وذكر المؤرخ اليهودي قصة أم طبخت إبنها وأكلت نصفه وقدمت نصفه لغيرها.** وذكر جوسيفاس مثلاً آخر من شدة البلاء الذي وقع على اليهود أن الذين تمكنوا من الهرب كانوا يأتون الأعراب والسوريين من غير الجيش الروماني متضرعين لهم بطلب النجاة فبدلاً من مساعدتهم في الهرب كانوا يبقروا بطونهم بحثاً عن الذهب فقد إكتشف هؤلاء أن اليهود كانوا يبلعون قطع ذهبهم قبل هروبهم ليهربوها معهم. وذكر الكاتب أنّ ألفين من هؤلاء الهاربين بقرت بطونهم في ليلة واحدة فقط بحثاً عن الذهب. ويعلّق جوسيفاس **أن الأمر في الواقع – أو في حقيقته – إنما هو أنّ الله قد مقت هذه الأمة كلها وقلب كل صنيع وحيلة تقوم بها لإنقاذ نفسها هلاكاً ووبالاً عليها كما هو الحال في محاولة تهريب الذهب.** وإستمرت الحرب ودخل الروم أخيراً المدينة والهيكل وقذفوا الهيكل ودمروه بالحجارة وأحرقوه بكرات النار حتى اشتعل البيت المقدس في حريق شامل كبير شمل الجبل الذي عليه الهيكل كله حتى حسبه كل من رآه حريقاً شاملاً للمدينة كلها. وأصيب من تبقى من اليهود باليأس والخذلان لما رأوا البيت محترقاً. وذبح الروم كل من وقعت أيديهم عليه دون تمييز لأطفال أو مسنين أو نساء كما نقل

جوسيفاس حتى تغطت الأرض تماماً بالجثث ومشى الناس والجنود على أكوام الجثث وكان المذبوحين أكثر عددا ممن ذبحهم.

وقتل الروم كما يحصي الكاتب اليهودي مليوناّ ومائة ألف وأسروا سبعة وتسعين ألفاً أكثرهم يهود من غير أهل القدس كانوا قد قدموها للاحتفال بالعيد بها وأخذوا كل من تجاوز السابعة عشر عبداً للعمل بالمناجم أو ليتسلى عليه الروم في مسارحهم وهو يصارع بشراً أو وحوشاً حتى الموت. وأحرق الروم الهيكل ودمّروه تماماً حتى ما ترك منه حجر على حجر غير جانب من جدار. ودمرت المدينة تماماً غير بيوت محدودة في أحد جوانبها. **ووقع العذاب على اليهود بأشد ما يمكن أن يصله عذاب. عذاب لم يحدث من قبله مثله. تماماً كما أنذرهم الأنبياء الكرام كالمسيح ويحي واشعياء وغيرهم وبنفس تفاصيله الدقيقة التي بيّنوها.**

لم يتعلم اليهود ولم يتوبوا فرغم العذاب الذي وقع عليهم أعاد من تبقى من اليهود الخطأ نفسه فبعد أن تجمع من بقي منهم بالقدس ومن أتى من خارجها مرة أخرى سرعان ما ثاروا على الروم مرة أخرى **يشجعهم نبي كاذب جديد إدّعى كالمعتاد أنه المسيا المنتظر**. إنه سمعان باركوخبا Simon Barcochebas الذي عينه حاخامهم الأكبر أكيبا يوسف ملكا مسياً عليهم ولقبه بابن النجم نسبة إلى البشارة في سفر العدد ٢٤:١٧- ١٨ (٢٥) بالمسيا المنتظر كأنه نجم أو كوكب منير في آخر الزمان وذلك هو معنى اسمِه Bar Kochba وإن كان البعض يعتقد أن اسمه الأصلي غير ذلك وهو Bar Kosiba وقام هذا الأخير بحرب عصابات أجبرت الفيلق العاشر الروماني على ترك القدس وطرَدَ غير اليهود من المدينة فإستبشر وتشجع وأقدم ورتب الصفوف وقسم الكتائب وأحكم الترتيب ثم ثار على الروم وثار معه اليهود يتوقعون النصر والمدد الإلهي. ولم لا فها هو قد ظهر المصطفى (المسيا) المنتظر بينهم بزعمهم. وجاء الروم بقائدهم جوليوس سيكتوس Sextus Julius **فاستأصلوا اليهود حيثما وجدوهم**. فهدموا خمسين حصناً وأبادوا ٩٨٥ قرية من أرض اليهودية بفلسطين وقتلوا خمسمائة وثمانين ألفاً من جنود اليهود المقاتلين. ولا يستطيع أحد أن يحصي الذين ماتوا جوعاً أو حرقاً أو مرضاً من كثرتهم كما يروي ذلك المؤرخ ديو كاسيس Dio Cassius وقُتل المسيا الكذاب وظهر لهم بذلك كذبه حتى سموه بإبن الكذاب **واكتمل بذلك الوعد بالطرد والتشريد.**

فحرم على من بقي من اليهود حينئذ دخول أورشليم (القدس) وجعل الرومان عقوبة الإعدام للمخالفين لهذا المنع من اليهود وحرمت عليهم فلسطين كلها وأصبحوا مشردين أذلة بين الأمم. **وظل هذا المنع سارياً لأكثر من خمسة قرون وقد تم تجديده في وثيقة ومعاهدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تسلم القدس من النصارى وطرد الرومان.**

وأعطيت أورشليم اسماً جديداً من قبل الرومان بعد طردهم لليهود فسميت إيليا كابيتولينا Aelia Capitolina بدلاً من اسمها اليهودي أورشليم وأعطيت سكاناً غير سكانها اليهود وأسدل الستار على تاريخ وجود اليهود بفلسطين **إلا من خلال العودة غير الربانية الحاصلة الآن بسبب مخالفة المسلمين للوثيقة والعهدة العمرية فقد سمحوا لليهود بالعودة للقدس تدريجياً على مر العصور وكان لترك شرع الله وعدم إقامته بين المسلمين في جوانب كثيرة من حياتهم العامة والخاصة سبب رئيسي في تخلي الله سبحانه عنهم**. وهذه الانتكاسة لم تكن وليدة هذا الجيل وإنما وليدة هذه القرون الأخيرة في حياة المسلمين عامة. ولاشك أن أمر وجود اليهود الآن بالقدس وفلسطين لن يطول وسيعود المسلمين لدينهم وسيهلك الله سبحانه اليهود وحضارتهم وقوتهم ويمكن للمؤمنيين من بعد.

وهلاك القدس واليهود قد تمّ كما أخبر به المسيح عيسى والنبي داود والكثير من أنبيائهم عليهم السلام سواء بالمخطوطات أو بكتبهم الموجودة الآن. ووقع خراب القدس والهيكل ذلك الخراب الذي **تنبأ دانيال بوقوعه** في نهاية السبعين أسبوعا من السنين التي بقيت لبني اسرائيل من بعد عمارة القدس وأسوارها عام ٤٤٥ قبل الميلاد. **وهو الخراب الذي تحدث أصحاب مخطوطات البحر الميت بوقوعه أربعين سنة بعد قطع المعلم الفريد (وقد كان بالفعل بعد عيسى عليه السلام بأربعين سنة كما ذكرنا).**

لقد تم ذلك الهلاك باتباع اليهود لأنبياء كذبة وإهلاك الله لهم نتيجة ذلك. وهو تماماً ما توعّد به الأنبياءُ بني إسرائيل بوقوعه إذا استمروا في انحرافهم. ففي إرميا ١٩: ٧-٩ ورد ما يعدّ وصفاً دقيقا لما حدث لليهود على أيدي الرومان (وأجعل تدبير يهوذا وأورشليم في هذا المكان باطلاً وأسقطهم بالسيف أمام أعدائهم وبأيدي طالبي نفوسهم وأسلم جثثهم طعاماً لطيور السماء ولبهائم الأرض وأجعل هذه المدينة خراباً وصفيراً فكل من يمر بها يدهش ويصفر على جميع ضرباتها **وأطعمهم لحم بنيهم ولحم بناتهم** وكلّ منهم يأكل لحم صاحبه في الشدة والضيق التي يضايقهم بها أعداؤهم وطالبو نفوسهم). **تماماً كما ثبت في شهادة المعاينة لمؤرخهم جوسيفاس**Josephus.

وفي عاموس ٨: ٢-١٠: (قد أتت النهاية لشعبي اسرائيل فلا أعود أعفوا عنه فتصير أغاني القصر ولوالاً في ذلك اليوم يقول السيد الرب وتكثر الجثث وتلقى في كل مكان بصمت. **وأحوّل أعيادكم نوحاً** وجميع أغانيكم مراثيَ وأُصعد على الأحقاء مسحاً). **وقد وقع العذاب بالفعل وهم مجتمعون بيوم عيدهم فانقلب مناحة** ثمّ صاروا يبكون على أطلالهم في أعيادهم بحائط المبكى. وألبسوا على أحقائهم لباس الذلّ الذي ميزهم على مر العصور.

وفي إرميا ٩: ١٤-١٥ الوعد بالشتات والتعذيب والإذلال وهو ما حدث فعلاً بعد ذلك (لذلك هكذا قال رب القوات إله إسرائيل: هأنذا أطعم هذا الشعب مرارة وأسقيهم ماء سم وأشتتهم في الأمم التي لم يعرفوها هم ولا آباؤهم وأطلق في إثرهم السيف حتى أفنيهم).

وفي لاوي ٢٦: ٢٩ (وأضاعف عذابي سبع مرات أخرى وفقا لخطاياكم **فتأكلون لحم أبنائكم وبناتكم** وأدكّ مذابح مرتفعاتكم وأحطّم أنصاب شموسكم وأكوم جثثكم فوق بقايا أصنامكم وتنبذكم نفسي وأحول مدنكم الى خرائب).

وفي سفر مراثي إرميا ٤: ٩ - ١٠ (كان مصير ضحايا السيف أفضل من مصير ضحايا الجوع. **طهت أيدي الأمهات الحنايا أولادهن ليكونوا طعاما لهن** في أثناء دمار ابنة شعبي).

وفي مراثي إرميا ٢: ١٩- ٢٠ : (أطفالك المغشي عليهم من الجوع عند ناصية كل شارع. **أعلى النساء أن يأكلن ثمرة بطوهن وأطفال حضانتهن**).

وفي إشعيا ٥: ٢٤-٢٥ (لأنهم **نبذوا شريعة الله واستهانوا بكلمة قدوس إسرائيل** لذلك إحتدم غضب الربّ ضد شعبه فمد يده عليهم وضربهم فارتعشت الجبال وأصبحت جثث موتاهم كالقاذورات في الشوارع).

والأناجيل قد حكت ذلك ففي لوقا أن المسيح عليه السلام أمر أصحابه بالفرار من أورشليم عندما يروها محاصرة - كما ذَكرْتُ من قبل - حيث قال لهم: (فإن هذه الأيام أيام انتقام يتمّ فيها كلّ ما قد كتب ولكن الويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام لأن ضيقة عظيمة سوف تقع على الأرض وغضبا شديدا سيترل بهذا الشعب فيسقطون بحدّ السيف ويُساقون أسرى إلى جميع الأمم وتبقى أورشليم تدوسها الأمم

إلى أن تكتمل أزمنة الأمم (كأنما يشير إلى أزمنة الممالك الأربع قبل مملكة الله)). **وغني عن القول بأنّ كلّ ذلك قد تحقق عام ٧٠م بحذافيره.**

هذا وقد نُبئ عيسى من الله عز وجلّ مباشرة قبيل رفعه إلى السماء بأنّ الذين كذبوه من بني إسرائيل سيلقون من بعده العذاب الشديد بالدنيا والآخرة وأنّ الله سيُظهر أمر الذين اتبعوه من بني إسرائيل على الذين كفروا به {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا **وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) **فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا** فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [آل عمران:٥٥،٥٦].

يقول القرطبي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: (فأمّا الذين كفروا) فأمّا الذين جحدوا نبوتك يا عيسى وخالفوا ملتك وكذبوا بما جئتهم به من الحقّ وقالوا فيك بالباطل فإني أعذبهم عذابا شديداً أمّا في الدنيا فبالقتل والسباء والذلة والمسكنة وأما في الآخرة فبنار جهنم.

وتمّ طرد اليهود من الأرض (المباركة) تماما كما قصت المزامير وغيرها من كتب الأنبياء وأصبحت الأرض المباركة كما أشار المزمور تنتظر الأمة البديلة المباركة وكانت الفترة التاليه لخراب القدس هذا فترة عصيبة من الحروب واضطهاد المؤمنين النصارى على أيدي الروم الوثنيين في البداية ثم على أيدي الروم الذين تنصروا زوراً بمسيحية بولس المشركة في النهاية. فطارد هؤلاء المشركين الجدد النصارى الموحدين ومضت أيام وأيام قصّرها الله كما روى متى عن المسيح عليه السلام **وجاءت مملكة الله الوارثة للأرض المقدسة كما وعد الله عز وجلّ بالمزامير وكما بشّر بها الأنبياء الكرام على يد المسلمين** فكانت رحمة للمؤمنين من بعد صبرهم وثباتهم بل رحمةً للعالمين. **واختفى من حينها خبر النصارى من أتباع كنيسة القدس. اختفى خبرهم كنصارى لانضمامهم كمسلمين لمملكة الله التي كانوا ينتظرونها فلما عرفوها ذرفت لذلك دموعهم مما عرفوا من الحق** وصدق فيهم وأمثالهم قول الله عز وجل بالقرآن الكريم {**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ** هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا **إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ** * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [القصص:٥٢-٥٤]. وقوله عزّ وجلّ: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ **تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ** يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [المائدة:٨٣].

فلقد ظهرت مملكة الله على يد المصطفى (المسيا) الخاتم للنبوة الذي ذكره دانيال وتم به ختم النبوة. وتم اختيار حرم آخر لله سبحانه بأفضل بقعة على الأرض كانت هي أول بيت من قبل للناس. **تماما كما تنبأ دانيال ظهرت المملكة ضعيفة ممثلة في فرد واحد كما أخبرت مخطوطات تراتيل الحمد والشكر بقمران فأعلن نبوته للعالمين جميعاً وهو لا يكاد يستطيع أن يحمي نفسه فأقام دولة الإسلام** من أضعف أمة فأعطيت نصراً على الأمم وأورثت الأرض من حولها توريثا من الله. وما كان لها أن تنتصر على الأمم لا بقوتها ولا بعتادها ولكن الله حقق وعده للمؤمنين وأتمّ للناس رحمته وحقق في دولة الاسلام بشارات المرسلين من قبل **وأعطى الكتاب والدين والحكم للمختارين أو المصطفين** فكانت البداية من العرب ثم شملت كل الأجناس تماماً كما بشر المسيح عليه السلام). انتهى.

ويقول في موضع آخر:

(وأورد البشارة نفسها كذلك دبونت سومر A. Dupont- Sommer في الفصل الثالث من كتابه: جماعة قمران اليهودية والأسينيون: دراسات جديدة عن مخطوطات البحر الميت مترجماً عن الفرنسية إلى الإنجليزية ترجمة بارنت...:

ترجمة النص السابق الذي أورده دبونت سومر:

هو نص لا يكاد يختلف عن النص الأول الأسبق لهذه البشارة إلا أنه غير مكتمل من أولها:

(وفي الأسبوع الخامس سيعودون إلى البلد المهجور ويجددون بيت الرب. وفي الأسبوع السابع سيأتي الكهنة الذين هم عبدة أصنام ومتفحشون وجشعون ومتكبرون وغير ملتزمين بالتوراة وشهوانيون وشاذون وممارسون لشهواتهم مع الحيوانات. الفصل الثامن عشر: وبعد أن يأتي عقابهم من الرب ستختفي الكهانة القديمة **وسيقيم الرب كاهناً جديداً** وله سيظهر الرب كل كلماته وسيطبق الحكم (العقاب) العادل على الأرض خلال أيام عديدة وسيرتفع نجمه بالسماء كملك وسيضي نور المعرفة كما تضيء الشمسُ النهار وسيُعظّم بالعالم وسيشع نورا كما تشع الشمس على الأرض وسيزيل كل الظلام من تحت السماء **وسيكون هناك سلاما في كل الأرض** وستبتهج السماء في أيامه وتسعد الأرض وتبتهج السحب وعلم الرب سيصبّ على الأرض كأنه مياه البحر وستبتهج له ملائكة مجد الرب السماوات تفتح (له) ومن معبد المجد سيحل عليه التقديس وبصوت أبوي كأنه صوت إبراهيم لإسحاق وعظمة العلي ستعمّه وروح الفهم والقداسة ستحل عليه وسيعطي جلال الرب لأبنائه بالحقيقة الأبدية **ولن يعقبه أحد في كل الأجيال إلى الأبد** (النبي الخاتم) وفي ظل كهنوته ستزداد الأمم (غير اليهودية) في المعرفة على الأرض وستتنوّر بعزة الرب ولكن إسرائيل ستتضاءل بالجهل وتغرق في ظلام الأسى وفي ظل كهنوته ستنتهي الخطيئة والمارقين

(عن الشريعة) سيتوقفون عن فعل الشر والمستقيمون سيعتمدون عليه **وهو سيفتح أبواب الفردوس** وسيزيل السيف المهدد لآدم وسيعطي القديسين أن يأكلوا من شجرة الحياة وستكون عليهم روح القداسة وسيقيد ابليس بيده وسيعطى القدرة على وطء الأرواح الشريرة وسيبتهج الرب بأولاده وسيبتهج هو بأحبائه إلى الأبد وعندها سيفرح إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسأكون سعيداً وسيعم (يغطي) كل القديسين ثوب السعادة).

التعليق [والكلام للباحث طارق]:

هذه بشارة أخرى عظيمة وواضحة الدلالة وهي من ضمن ما أثبته أصحاب قمران في مخطوطاتهم (مخطوطات البحر الميت) تلك المخطوطات التي ثبت أنها مكتوبة من قبل عهد رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم بقرون عديدة وعلى يد طائفة يهودية ثم نصرانية.

وتؤكد هذه البشارة المنسوبة إلى أحد الأسباط (أولاد يعقوب عليهم السلام) بأن عودة اليهود من الأسر البابلي بالإسبوع الخامس وإعادتهم بناء الهيكل لن تكون بداية البر الأبدي ومملكة الله لهم كما حلم بذلك كثير منهم بل **سيعقبها بالإسبوع السابع عقاب رباني على بني إسرائيل** كما ذكر إينوخ في بشارة المخطوط السابقة (ومن بعده دانيال عليهم السلام) عقاب رباني شديد على بني اسرائيل حتى يختفي هيكلهم وتطوى صفحتهم وينقطع عنهم الكهنة (الأنبياء) ويغلب الوثنيون. **وهو ما تم وقوعه فعلا بالتاريخ كما هو في (نبوة إينوخ عليه السلام) إن ذلك الإنتقام الإلهي الذي وقع عام ٧٠م إنما وقع بالإسبوع السابع (المرحلة السابعة من التاريخ البشري) من بعد آدم عليه السلام.**

وتضيف هذه النبوة أنه في النهاية وبعد إختفاء الكهنوت من اسرائيل بعد أن يتم وقوع عقاب الرب عليها فإن الله سيبعث بعد ذلك كاهناً أو نبياً جديداً سيسطع نجمه كالشمس فيسمع بدعوته كل الناس وسيمحو الظلمات وينتشر الإيمان ومعرفة الله ولا تعد حكرا على جماعة أو طائفة محدودة من الناس بل ينتشر الإيمان بالله حتى يكون هو السائد والغالب في العالم المسكون حينها **ويعمّ السلام (لفظ السلام بالعبرية هو لفظ الإسلام نفسه كما وضحنا سابقاً) الأرض.** ويبين هذا النبي للناس مجد الرب وتظل تعاليمه في الأرض إلى الأبد فهو نبي لكل الأمم وهو خاتم الأنبياء ولن يعقبه أو يخلفه نبي آخر عبر الأجيال من بعده: (لأنه هو الذي سيعطي تمجيد الرب لأبنائه في الحق إلى الأبد ولن يعقبه أحد من جيل إلى جيل إلى الأبد. وتحت كهنوته ستزداد الأمم في المعرفة على الأرض ..) (وسيمجد اسمه ويمدح في كل الأرض).

وبينما تنتشر المعرفة وتمجيد الله بين الأمم يزداد العمى والضلال بين بني اسرائيل: (لكن إسرائيل ستتقلص في الجهل وستغرق في ظلام الحداد) وهو ما يحمل إشارة بينة بأنه لن يكون من بني اسرائيل وبأن أتباعة سيكونون من سائر الأمم إلا أن اليهود لن ينتفعوا به كما انتفعت به أمم الأرض وهو ما تم فعلا من كفر اليهود بخاتم الأنبياء وهو ما أخبر به كذلك دانيال والأنبياء. **وهذا النبي هو الذي سيفتح أبواب الجنة، وهو أول من يدخلها**.

فمَن يكون خاتم الأنبياء هذا الذي لا نبي بعده والذي جاء من بعد هلاك بني اسرائيل على أيدي الروم واختفاء هيكلهم (بالإسبوع السابع كما نصت هذه البشارة) فكان نبيا لكل الأمم وكُتب لدعوته النصر حتى سادت العالم المأهول ونجحت دعوته في نشر المعرفة بالله وتصحيحها لدى أمم الأرض ومجّد الله في الأرض واتبعته الأمم فعرفت من خلاله ربها وخالقها إلا بني اسرائيل فقد كفروا به وازدادوا بسبب ذلك ضآلة وجهلا وكان هو الذي سيفتح الجنة للمؤمنين ليكون أول من يدخلها وينتشر تمجيده في كل أنحاء الأرض؟؟.

مَن غير رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كما دلت الأحاديث النبوية. وهل جاء أصلاً بعد تشريد بني اسرائيل نبي آخر غير النبي محمد؟

وقد كان تشريد بني اسرائيل على أيدي الروم في نهاية الإسبوع السادس وظهور هذا النبي في الأسبوع السابع كما نص عليه هنا في جميع التراجم التي أوردت. أي أنه جاء خلال سبعة قرون تقريباً (أو أسبوع من القرون) من بعد تدمير اسرائيل على أيدي الروم. وهو الذي ذكر عن نفسه أنه خاتم الأنبياء وأن ليس بعده نبي وأنه هو الذي سيفتح أبواب الجنة ويكون أول من يدخلها وأن دعوته عامة لكل أمم الأرض وأنها ستنتصر وينتشر بها الإيمان بالأرض. أم سيجادلون أنه كان يقرأ نبوة لاوي هذه المختفية ضمن المخطوطات ويدعي ما بها لنفسه؟ فهل – يا أيها الناس ويا أهل الكتاب – ينازعه فيها أحد؟ أم كيف حقّق ما جاء بها فانتشرت دعوته بالأرض وانقطع من بعده الأنبياء واختار مجيئه على نهاية الإسبوع السابع؟!.

قد سطع الحقّ وكفى. ويبقى بعد ذلك الإشارة إلى دقة سرد الأحداث التي وردت بالبشارة وإلى موقع المسيح عيسى عليه السلام منها. فإن لاوي عليه السلام يذكر هنا أن الحرم بالقدس (أورشليم) سيصبح خراباً بسبب آثام اليهود وتعطيلهم للتوراة واستهزائهم بالصالحين واضطهادهم للأتقياء العادلين وأن الله عز

وجل سيشردهم بين الأمم أذلة مهانين ملعونين ولولا بقية رحمة من الله ما بقي منهم أحد على الأرض ولا حتى فردا واحدا.

فما أقرب هذا إلى ما ورد بالزبور عن طرد الأمة الملعونة من الأرض (فلسطين) حتى لا تجد لهم بها أثراً ثم إن البيت سيحلق إلى الأرض. وما أقرب هذا في وصف ما حدث فعلا إلى ما روي عن عيسى عليه السلام من أنه لن يبقى من الهيكل حجر على حجر. وإنما أذكر هذه الملاحظات لتأكيد ما نقطع به من أن الحديث هنا هو عن خراب الهيكل على أيدي الروم والذي تبعه اختفاء الهيكل وشتات بني اسرائيل بين الأمم وهو ما تمّ في نهاية الإسبوع السادس.

وهنا تأتي الإشارة إلى **نبي عظيم لا تذكر النبوة وقت ظهوره لكنه الأخير ضمن سبعة كهنة (أنبياء) سيرسلون إلى بني اسرائيل** خلال مدة السبعين أسبوعاً (وهي المدة التي ذكرها دانيال لتنتهي بخراب الهيكل على أيدي الروم). **وسيُتبع التآمر على قتله بالعقاب الشديد على بني اسرائيل الذي سيشردون من بعده خارج الأرض المباركة وتنقطع عنهم النبوة.** فهذا النبي الأخير الذي سيأتي قبيل عقاب الله لبني اسرائيل سيأتي فـــي نهاية فـــترة السبعين اسبوعاً (٤٩٠ عاماً) وهي الفترة الواقعة بين نهاية الأسبوع الخامس (حيث تمت العودة من الأسر البابلي كما أشارت النبوة وتلاها إعادة بناء البيت) وبين نهاية الإسبوع السادس أو بداية الإسبوع السابع حين وقعت الردة ثم العقاب على بني اسرائيل كما ذكرت النبوة أعلاه.

وقـــد أُعطي هـــذا الرســـول (الكاهن) **الذي سيجيء قبيل عقاب بني اسرائيل أُعطي الحقّ في تجديد الشريعة وسيكون مؤيداً بمعجزات أو قدرات من الله عز وجل فيكذبه اليهود ويتآمرون لقتله ويكتب عليهم خطيئة وإثم ذلك العمل ويحلّ عليهم بسبب تأمرهم لقتله هذا البلاء المذكور والذي نعلم أنه وقع لاحقا على أيدي الرومان** .. (.. رجل **(مزوداً) بقدرة العلي يُجدِّد الشريعة وتسمونه محتال** ثم في النهاية **تتآمرون لقتله** غير مقدرين مكانته العالية وبخبثكم تحملون (ذنب) الدم البريء على رؤوسكم أخبركم أنه بسببه فإن أماكن المقدسة ستُحلق (تقتلع) إلى الأرض ولن يظل لكم مكاناً نظيفاً وستصبحون كلعنة ومشتتين بين الأمم).

فمَن غير عيسى عليه السلام جاء مجدداً للتوراة؟ وهو الذي خاطب (كما أُثبت بالقرآن في عدة مواضع) بني اسرائيل يبشرهم بتخفيف بعض أحكام التوراة (**ولأحلّ لكم بعض الذي حرّم عليكم**)؟ **ومن غير عيسى عليه السلام كان مزودا بالمعجزات ثم تآمر اليهود لقتله وعوقبوا على ذلك بهدم هيكلهم ومدينتهم المقدسة وطردهم خارج الأرض المباركة؟** وهو الذي جاء على نهاية السبعين اسبوعا المنتهية بمجيئه كما يفهم من الفقرة الثانية من هذه البشارة المبتدأة باستعراض الكهنة في هذه الفترة والتي ستنتهي بالعقاب الذي سيحل بعد التآمر على قتل مجدد التوراة: (ولأنكم سمعتم عن السبعين أسبوعاً فاسمعوا عن الكهانة (الرسالة)). وهو ما يتفق تماما مع البشارات السابقة ويؤكد صحة تفسيرنا السابق وصحة القول بأن الرجل الصالح Righteous teacher المذكور هنا لأصحاب المخطوطات لم يكن إلا عيسى عليه السلام.

إن الحديث هنا عن الإسبوع الخامس وما تلاه من إعادة بناء البيت (وسيُعيدون بناء بيت جديد للربّ). أما الإسبوع السابع ففيه ردة وانتقام لله من بني اسرائيل وتحميلهم إثم التآمر لقتل النبي المجدّد المؤيد بالمعجزات ثم انقطاع النبوة عنهم (وبعد أن ينفذ الرب عليهم عقابهم سيختفي الكهنوت) ثم ظهور خاتم الأنبياء نبيا مرسلا لكل الأمم خلال الأسبوع السابع نفسه.

إن ذلك لهو إتفاق تام مع ما يقتضيه تفسير نبوة الأسابيع السابقة لإينوخ. والحديث هنا عن الإسبوع السابع مسبوق في البشارة بإشارة سريعة للسبعين اسبوعا من السنين (أي ٧ × ٧٠ = ٤٩٠ سنة) التي يضيّع خلالها بني اسرائيل الشريعة وتنتهي السبعين اسبوعا بالتآمر على نبي عظيم مؤيد بالمعجزات ثم بعقاب الله الكبير لبني اسرائيل بعد ذلك في اتفاق كامل مع التفسير الذي قدمته.

لكن تلك الإشارة السريعة كافية للتأكيد مرة أخرى بأن المسيا الذي سيقطع ولن يصنع شيئا **هو نفسه النبي الذي سيصعد إلى السماء قبيل عقاب بني اسرائيل في بشارة الأسابيع لإينوخ** وهو نفسه الذي سيجدد التوراة ويتآمروا على قتله في بشارة وصية لاوي. وهو نفسه الذي ذكره أصحاب المخطوطات بلقب "المبشّر". فذلك مرة أخرى وبلا شك هو عيسى عليه السلام.

فهل هناك أدنى ذرة من شك في أن هذا النبي المقصود إنما هو عيسى عليه السلام؟. **وهو نفسه الذي ذكر أصحاب المخطوطات أن العذاب الشديد سيترل على بني اسرائيل بعد أربعين عاماً من بعد ذهابه كعقوبة لهم على آثامهم وعـــلى تأمرهم عليه كما تذكر هـــذه النبوة** ولتقوّلهم عـــليه وعلى أمه فهو

الذي بعد ذلك روت عنه الأناجيل أنه أنذرهم بهذا العذاب وأنه جاء بخبر السيف والعقاب عليهم من بعده وأخبرهم بأن ذلك هو البلاء الذي عناه دانيال (في نهاية السبعين اسبوعا).

والعجيب بعد ذلك أن يأتي بعض الباحثون بخلفياتهم الغربية فيزعمون أن المقصود هنا هو معلم خاص بطائفة تسمى بالإيسينيين أصحاب قمران. والحقّ الذي لا شكّ فيه أن عيسى عليه السلام هو هذا المعلم وهو أحد المسيائين (المسيحين أو المصطفَين). وأما أصحاب قمران فما هم إلا الحواريين. وأما المسيا الثاني الذي سيتحقق على يديه الإنتصار على الأمم فليس إلا المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم.

فهل بعد ذلك هناك ذرة شك في أن النبي الآخر الخاتم المبعوث في نهاية الإسبوع السابع هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. فهو الوحيد الذي تنطبق عليه صفات خاتم الأنبياء المذكورة هنا في بشارة لاوي هذه وهو الذي سيقيم البر الأبدي ويختار أقدس بقعة للعبادة ويكون هو أفضل البشر (ومسح قدوس القدوسين) كما في بشارة السبعين اسبوعا وهو الذي سيأتي ومعه المختارون في نهاية الإسبوع السابع فينتصر على الأمم (بشارة الأسابيع). وهو الذي سيقيم مملكة الله كما أخبر بذلك المسيا الأول عيسى عليه السلام.

التساؤل الثاني هو **الإشارة إلى عودة عيسى عليه السلام** وإيمان بني اسرائيل به عند عودته: (وستصبحون كلعنة ومشتتين بين الأمم **حتى يعود ثانية** فيضع لكم اعتبار ويأخذكم أخرى يحثو (شفقه)). **واضح هنا أن عودة عيسى عليه السلام ستكون من بعد مجيء خاتم الأنبياء إذ أن بني اسرائيل كما هو موضح في هذه البشارة سيزدادوا كفرا وضلالا ولن ينتفعوا بخاتم الأنبياء كبقية الأمم.**

ونحن نؤمن كمسلمين أن بني اسرائيل سيظلوا على كفرهم حتى يقاتلهم المسلمين في آخر الزمان فيغلبونهم ويقتل منهم الكثير وتتم عودة المسيح عيسى عليه السلام في تلك الأثناء فيؤمن به كل أهل الأرض ومنهم اليهود. وعلى ذلك جاء قوله تعالى في القرآن الكريم عن عيسى عليه السلام : {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء:١٥٩]. وعيسى لم يمت بعد وإنما سيكون هذا عند عودته فيؤمن به اليهود والنصارى جميعاً فواضح أن تلك العبارة التي لا نعلم أصالتها بالنص لا تضعف البشارة بل تزيدها دقة ووضوحاً وهي متفقة مع ما نؤمن به). انتهى.

وفي موضع آخر وأخير يقول:

(مسمى دمشق وأرض الهجرة: إن التردد على دمشق كما بالأناجيل الحالية من قبل بطرس وتلاميذ المسيح ورسل يعقوب ابن خالة المسيح **يبين أن دمشق التي بالوصايا هي دمشق المذكورة بالأناجيل بمعنى أنها تخص طائفة الحواريين بقمران حتى برية الشام كلها حتى دمشق السورية الحالية** فهم الملقبين بـــ (المهاجرين) فهم مهاجرين إلى برية الشام من فساد اليهود بالقدس ومدن اليهودية بفلسطين.

وما يؤكد ذلك أيضاً هو أحاديث رسول الله عن فضل دمشق السورية في آخر الزمان ونزول المسيح ابن مريم على المنارة البيضاء بهذا المسجد الجامع لقلوب الأمم الثلاث الإسلام واليهودية والمسيحية لوجود رأس نبي من أنبيائهم به وهو يحيي عليه السلام ولكونها كنيسة مهمة من قبل وهو أخيراً مسجد الصحابة والطائفة المنصورة.

وكل الثلاث أمم يترقب نزول المسيح عليه السلام ليدعو كل الأمم إلى دينه الذي بلا شك سيكون دين الإسلام. **فنزوله الطبيعي بالفعل سيكون على المنطقة والبرية التي رفعه الله منها. فدمشق قمران ودمشق الشام كلتاهما يعنيان لهما أرض الهجرة الواحدة الممتدة ببرية الشام لاسيما أنه لايوجد دليل آخر تاريخي معتبر لسبب مسمى دمشق لمدينة دمشق السورية بالشام**.

روى أبو داوود أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ و سَلَّمَ قَالَ إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى **جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ يومئذ**. (والغوطة هي البساتين المحيطة بدمشق).

وقال رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ و سَلَّمَ: (..إِذْ **بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ** بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ). رواه مسلم.

فهذه المنارة المعنية في الحديث ستكون هي المنارة البيضاء التي تخص الجامع الأموي والموجودة بحي (باب شرق) المعروف الآن بدمشق والذي يعني باب المنطقة الشرقية.

إن منطقة قمران وسهولها وصحاريها هي منطقة دمشق التي تشمل كذلك دمشق عاصمة دولة سوريا الآن. وهذا كما ذكرنا ما تظهره الخرائط القديمة بالدولة العثمانية قبل التقسيم الإستعماري للدول

العربية فنجد أن وادي قمران وسهول وبرية الأردن هو إمتداد جغرافي مع دمشق (العاصمة السورية الآن) فهما منطقة جغرافية واحدة متصلة تسمى بولاية دمشق تشمل الدمشقين اللتان في طرفي الولاية (دمشق قمران بالقرب من مصب نهر الأردن بالبحر الميت ودمشق العاصمة السورية الحالية). **وقد انتقل الإيسينيين الحواريين من الطرف الأول بدمشق قمران إلى الطرف الأقصى بدمشق العاصمة السورية عند هجرتهم الأخيرة قبل غزو القدس وتدمير الهيكل من قبل الجيش الروماني ٧٠م.**

تحت عنوان (تقديم) بكتاب ترجمة المخطوطات لسهيل زكار: الإيسينيين ذكرهم المؤرخ والفليسوف اليهودي فيلون السكندري في حوالي عام عشرين للميلاد بقوله: (لم تتخلف سورية الفلسطينية عن إبداع تفوق أخلاقي سامي ففي هذه البلاد يعيش قسم مهم من السكان اليهود بالذات يضم كما يقال أكثر من أربعة ألاف عضو يدعون بالإيسينيين إسمهم كما أعتقد مشتق من الإغريقية ويعني (القداسة) وقد سموا به لأنهم قد كرسوا أنفسهم تماماً لخدمة الرب لا من خلال تقديم القرابين وإنما بعزمهم على التسامي بأفكارهم والشيء الأول الذي يذكر عن هؤلاء الناس أنهم يعيشون في القرى وقد هجروا المدن تخلصاً من الجور والظلم الذي إنصب عليهم هناك).

ولقد قال مثل قوله عدد من مؤرخي القرن الميلادي الأول مثل بليني الأكبر ويوسيفيوس بن كربون بالإضافة للكثير من سلوكهم التقي الأخلاقي المثالي.

وبخريطة بر الشام كما كان يسمى قبل التقسيم الدولي في بداية القرن العشرون نجد أن وادي قمران وسهول وبرية الأردن هو إمتداد جغرافي مع دمشق (العاصمة السورية) فهما منطقة جغرافية واحدة متصلة كان يعيش بقراها طائفة الإيسينيين الحوارية المعتزلة المهاجرة التي يقدر أعضائها بأربعة ألاف إنسان ومركز قيادتهم بربوة قمران وكهوفها بالقرب من البحر الميت.

ولذا فدمشق قمران ودمشق العاصمة السورية هما مسميات دمشقية لوادي واحد وبرية واحدة فكلتا الدمشقين هاتان دمشق واحدة.

جبعدين ومعلولا: تقع بلدة جبعدين ومعلولا على بعد ٥٠كم من مدينة دمشق تقريباً. وتتربع جبعدين في أحضان جبل سنير. ولتسميتها رواية تقول ان أشخاصا متعبدين أقاموا في هذا المكان وسكنوا الكهوف والمغاور الصخرية على مقربة من عين الماء في وسط القرية والتي كانوا يدعونها (جب) فاشتهر المكان بهم

واخذ تسميته ب(جب عابدين) ثم تحولت إلي (جبعدين). يربو عدد السكان على ستة آلاف نسمة تقريبا **يتكلمون اللغة العربية والآرامية.**

ولعلها هي كانت مما تبقي من بقايا طائفة اليهود الحوارية التي آمنت بالمسيح ابن مريم كما قلنا ثم هاجرت بعيدة عن القدس عند الضربة القاضية لها من قبل الرومان عام سبعين ميلادية. ولعلهم هم الذين تركوا مخطوطاتهم وكتبهم بكهوف قمران وأقاموا كهوف مصطنعة بجبال جبعدين ومعلولا كما سيظهر بالصور الآن.

فبهما العديد من الكهوف والمغاور المحفورة في الصخور هي من صنع يدي ساكنيها ولكن الأدوات التي كانوا يستخدمها فُقدت وأُتلفت بعبث العابثين دون إدراك لأهميتها الأثرية والتاريخية.

وجبعدين ومعلولا بهما نفس المعالم والتضاريس والخصائص الدمشقية التي تشير إلى وحدة تاريخها وقصتها مع أهل دمشق قمران البحر الميت.

فاللغة الآرامية والعادات والتقاليد والتاريخ والقدم وسكنى الكهوف والمغاور هي العامل المشترك لتاريخ واحد قد بدت واضحة تقارب معالمه في كتابنا هذا.

تقع جبعدين ومعلولا خلف الجدار الصخري المرتفع باحضانه وبين تلاله التي تحيط بها من كل صوب وتعتبر هذه التلال والجدار الصخري الحصن المنيع الذي يحميهما من هجمات الأعداء والطامعين وتسهل الدفاع عنهما. ترتفعا فوق سطح البحر ١٥٠٠ م واكتشف فيهما عدة أديرة وقد زالت معالمها بأيدي العابثين يضاف إلى ذلك عدم الرعاية والاهتمام من الجهات المسؤولة. واكتشفت فيها مدافن أثرية تعود للعهد البيزنطي.

جبعدين أهلها مسلمين أما معلولا فخليط من المسلمين والمسيحيين. وتمتاز جبعدين بمدخلها الوحيد ويطلق عليه اسم الفج وهو شرخ من الجدار الصخري بعرض عدة أمتار توسع وتحسن ليستوعب دخول السيارات الكبيرة. القريتين تعتبرا من القرى السياحية الهامة في جبال سوريا وبها الوسائل والخدمات التي تخدم وتستهوي السياح والزوار لتكونا من المصايف بجوهما وطبيعتهما الجميلة اضافة لأهميتهما التاريخية.

إجادة اللغة الآرامية تحدثاً بين سكان جبعدين ومعلولا القريبتين جداً من دمشق يجعل الأمر يبدو ويكأن الله سبحانه قد ادخر قوماً يجيدون لغة المسيح عليه السلام عندما يترل بالمنارة البيضاء بدمشق عند أحداث الساعة الكبرى. وهناك محاولات الآن لتعليم ونشر الأرامية كتابةً كذلك بين سكان جبعدين ومعلولا). انتهى.

* **وقد أطلنا النفس في نقل هذه النقول عن مخطوطات قمران لعدة أسباب** أولها وأهمها أنها مخطوطات ترجع إلى الفترة ما بين ٢٠٠ق.م [أي مائتي سنة قبل ولادة المسيح عليه السلام] إلى ٧٠م [أي سبعين سنة بعد ولادة المسيح] وقد أثبت الباحث آنفاً أنها تخص الحواريين الذين آمنوا بالمسيح عليه السلام من بني إسرائيل واعتزلوا سائر اليهود الذين كفروا بعيسى عليه السلام واحتفظوا في كهوفهم بمخطوطات العهد القديم وشروحهم عليها ومخطوطات تراتيل الحمد التي تعود للمسيح عليه السلام كما بيّن الكاتب.

وهي قطعاً المخطوطات التي لم تطالها أيدي التحريف وفيها كل ما يحاول إخفاءه وتحريفه كل من اليهود والنصارى ويتوافق مع القرآن والسنة. وبهذا يتجلى لنا قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ **مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ** هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [آل عمران:٢-٤].

فليس من عجب إذاً هذا التوافق بين التوراة والإنجيل وبين القرآن فما جاء القرآن إلا مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل والحمد لله رب العالمين.

وها هي هذه المخطوطات التي قدر الله تعالى لها أن تبقى محفوظة طيلة هذه القرون الطويلة بعيدة عن أيدي التحريف تبين جلياً أن هدم القدس وتشريد وتشتيت اليهود سيكون بعد ٤٠ سنة من آخر لقاء بين الحواريين ومعلمهم ومرشدهم ونبيهم عيسى عليه السلام [وهو اللقاء الذي رفع بعده إلى السماء] وهو ما كان بالفعل نحو عام ٧٠م إلى ٧٣م كما هو ثابت تاريخياً كما مرّ فيكون على هذا عمر سيدنا عيسى عليه السلام حين رفع كان لا يتجاوز الرابعة والثلاثين سنة وهو الموافق للحديث المذكور من أن عمره هو ٣٣ سنة فبأي حديث بعده يؤمنون؟!!.

وبعد هذا يتبين أن قول الدكتور عدنان: ((وهو غلط من ناحيتين: الناحية الأولى ليس لدينا نص يُعتمد لا من كتاب الله ولا من صحيح السنة. نص معتمد أن عيسى ولى وهو ابن ثلاثة وثلاثين أو أربعة وثلاثين. غير صحيح. هذا في مأثورات الإسرائيليين)). فضلاً عن إنكار مسألة الرفع نفسها من أساسها بدعوى أنها أساطير الأولين وتخريفات الإسرائيليين يصدق فيه هذا قوله تعالى: {ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} [النجم:٣٠]. وقوله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ} [يونس:٣٩]. فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين.

رابعاً:

قول الدكتور عدنان: ((على أنّا لو سلمنا بهذا المشهور وهو أشهر الأقوال مشهور عند الإسرائيليين وحتى عند مؤرخي المسلمين أنه تولى عليه السلام وهو ابن أربع وثلاثين تقريباً. لو أخذنا بهذا الكهولة لغة أيها الإخوة في أرجح الأقوال كما في متن اللغة كما في كتب ومعجمات اللغة هي ما بعد الثلاثين. ما بعد الثلاثين يُقال له كهل أيها الإخوة فعيسى نعم تولى كهلاً)) هذا الكلام أحرى أن يقال فيه: هذا لا موضع فيه للاعتراض البتة لا من قريب ولا من بعيد.

لأن كلامه هذا من الأساس لا يقدم ولا يؤخر ولا يبطل الاستدلال لأنه بتسليم كونه تولى [بحسب تعبير الدكتور] وهو ابن ثلاث وثلاثين أو أربع وثلاثين وعلى التسليم حينها بكونه قد تولى كهلاً على اختيار الدكتور أن الكهولة هي ما بعد الثلاثين لا يغير من الأمر شيئاً لأنه عليه السلام عندما سيترل ويعود ثانية سيكون بنفس هذا العمر على ما سبق فعودته حينها هي في ذات السن الذي اعتبره الدكتور سن الكهولة فيبقى الاستدلال قائماً بأنه سيكلم الناس في كهولته التي سيستكملها في آخر الزمان وتكون الآية دالة على أنه سيستكمل كهولته في آخر الزمان ووجه الاستدلال على ذلك من الآية سيتجلى معنا بما سيأتي في سادساً بإذن الله تعالى.

ملاحظة:

ذكر الدكتور عدنان في كلامه آنف الذكر أن الكهولة هي ما بعد الثلاثين معقباً على ذلك بقوله: ((في أرجح الأقوال)) وهذا يعني أن في المسألة أقوالاً أخرى وهو كذلك إلا أن اعتباره ما ذهب إليه من أن الكهولة ما بعد الثلاثين هو أرجح الأقوال فيه نظر فقد رجح غيره خلاف ذلك ويتضح ذلك من النقول التالية:

أ/ قال عالم اللغة والنحو وأستاذ سيبويه الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى عام ١٧٠هـ) في كتابه "العين" [وهو أول معجم في العربية]:

(الكَهْلُ: الذي **وَخَطَهُ الشَّيْب** ورأيتَ له بَجالةً). انتهى. والذي **وخطه الشيب هو من يظهر ويعم فيه الشيب** الذي هو بياض الشعر [قيل إذا استوى البياض والسواد وقيل إذا فشا الشيب وشاع في الرأس] الذي يضفي على صاحبه الوقار والتبجيل.

وقد قال الآلوسي (المتوفى عام ١٢٧٠هـ) في تفسيره: (وعيسى عليه الصلاة والسلام رُفع وهو ابن ثلاث وثلاثين قيل وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. وقيل: رُفع وهو ابن أربع وثلاثين **وما صح أنه [أي عيسى] عليه الصلاة والسلام وخطه الشيب**). انتهى.

فيكون بهذا عيسى عليه السلام عند رفعه وهو ابن ثلاث وثلاثين على المشهور [وهو ما تقوى بالحديث وبما جاء في مخطوطات قمران كما سبق] لم يبلغ سن الكهولة على تفسير الخليل بن أحمد الفراهيدي للكهل.

ب/ وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى عام ٣٩٣هـ) في كتابه "تاج اللغة وصحاح العربية":

(الكَهْلُ من الرجال: الذي **جاوزَ الثلاثين ووَخَطَهُ الشَيْبُ**). انتهى. وهذا هو نفس التعريف الذي ذكره الرازي (المتوفى عام ٦٦٦هـ) في مختار الصحاح. **وهذا يفيد أن الكهل ما اجتمع فيه شرطان**: تجاوز سن الثلاثين وظهور الشيب. وعلى هذا لا يكون من تجاوز الثلاثين بمجرده كهلاً بل إذا تجاوز ذلك إلى حد ظهور وشيوع الشيب في رأسه فيعود المعنى إلى ما ذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي في النقل الأول.

ج/ قال الأديب اللغوي أبو منصور الثعالبي (المتوفى عام ٤٢٩هـ) في كتابه "فقه اللغة وسر العربية" في الباب الرابع عشر في أسنان الناس [أي أعمارهم]:

(ثم ما دام **بين الثلاثين والأربعين فهو شاب**. ثم هو كهل إلى أن يستوفي الستين). انتهى.

د/ وقال الإمام في اللغة ابن سيده (المتوفى عام ٤٥٨هـ) في كتابه"المحكم والمحيط الأعظم":

(الكَهْلُ: الرجل **إذا وخطه الشيب** وَرَأَيْتَ لَهُ بجالة، **وَقيل**: هُوَ من أَرْبَعَة وَثَلَاثِينَ إِلَى إِحْدَى وَخمسين). انتهى. وهذا يفيد اعتماده القول الأول الذي مرده للخليل الفراهيدي كما ذكرنا. وتصديره للقول الثاني بقوله (وَقِيل) يوحي بالتضعيف أو كونه على الأرجح غير معتمد.

هـ/ وقد ذكر الاختلاف المفسر الفقيه ابن عطية الأندلسي (المتوفى عام ٥٤٢هـ) في تفسيره "المحرر الوجيز" حيث قال عند تفسيره لآية {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا} [آل عمران:٤٦]:
(**واختلف الناس في حد الكهولة** فقيل: **الكهل ابن أربعين سنة**. وقيل: ابن خمس وثلاثين. وقيل: ابن ثلاث وثلاثين. وقيل: ابن اثنين وثلاثين. وهذا حد أولها. وأما آخرها فاثنتان وخمسون ثم يدخل سن الشيخوخة). انتهى.

والظاهر هو اعتماد ابن عطية للقول الأول حيث قال في تفسير سورة المائدة في قوله تعالى: {تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً} [المائدة:١١٠]:
(**والكهولة من الأربعين إلى الخمسين**. وقيل هي من ثلاثة وثلاثين). انتهى.

و/ وجاء في تفسير القرطبي:
(وقيل: المعنى ويكلم الناس صغيراً وكهلاً. وروى ابن جريج عن مجاهد قال: الكهل الحليم. قال النحاس [هو أبو جعفر النحاس النحوي اللغوي المفسر الأديب (المتوفى عام ٣٣٨هـ)]: هذا لا يعرف في اللغة **وإنما الكهل عند أهل اللغة من ناهز الأربعين**). انتهى.

ز/ وفي كتاب "التوقيف على مهمات التعريف" للإمام المناوي (المتوفى عام ١٠٣١هـ):
(الكهل: **من وخطه الشيب**. ذكره الراغب. وقال الحرالي [هو أبو الحسن التجيبي الأندلسي المتوفى عام ٦٣٧هـ]: الكهولة سن من أسنان أرابيع الإنسان. **وتحقيق حده أنه الربع الثالث** الموتر لشفع متقدم سنه من الصبا والشباب. فهو خير عمره يكون فيه عمره ألف شهر بضع وثمانون سنة **من حد نيف وأربعين إلى ستين** إذا قسم الأرباع لكل ربع إحدى وعشرون سنة: إحدى وعشرون سنة صبا وإحدى وعشرون شباب وإحدى وعشرون كهولة وإحدى وعشرون شيخوخة فذلك بضع وثمانون). انتهى.

* ومما سبق وتحديداً من كلام الخليل الفراهيدي [إمام أئمة اللغة وأقدمهم] في تفسير الكهل بمن وخطه الشيب ومما رجحه النحاس وابن عطية من أنه من سن الأربعين **يكون كلام الحرالي الأخير هو الأقرب للصواب** وذلك بتقسيم العمر إلى أربعة مراحل كل مرحلة عمرية مقدارها ٢١ سنة: المرحلة الأولى مرحلة الصبا من سن سنة إلى سن ٢١. والمرحلة الثانية مرحلة الشباب من سن ٢٢ إلى ٤٣. **والمرحلة الثالثة مرحلة الكهولة من سن ٤٤ إلى ٦٥**. والمرحلة الرابعة مرحلة الشيخوخة من سن ٦٦ إلى ٨٧. فهذا هو الأقرب لتفسير الكهل بمن وخطه الشيب إذ شيوع الشيب في الرأس والمقارن للبجالة والوقار غالباً يبدأ من بعد الرابعة والأربعين والله تعالى أعلم.

وهذا ما رجحه وصححه الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري [**العلامة المحدث الفقيه الأصولي المفسر الجليل قدس الله سره ورضوان الله عليه**] في كتابه "البرهان" فقال في تحقيق معنى الكهل كلاماً نفيساً يحسن ذكره وهو قوله:

(أن الكهل حقيقة من بلغ أربعين سنة. مأخوذ من قولهم: اكتهل النبت إذا تم طوله وظهر نوره. قال الأعشى:

يضاحك الشمس منها كوكب شرق ** نؤزر بعميم النبت مكتهل

أي منتهاه في الحسن والتمام.

ولا شك أن سن الأربعين هو نهاية أَشُد الإنسان ووقت استواء قوته وكمال عقله. قال الله تعالى: {حَتَّى إِذَا **بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً** قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي} الآية. وورد عن مجاهد تفسير الكهل بالحليم وهو تفسير باللازم غالباً كما قال أبو حيان قال: لأن الكهل يقوى عقله وإدراكه وتجربته فلا يكون في ذلك كالشارخ [الشارخ هو الشاب كما في مختار الصحاح] أهـــ). انتهى.

وعليه استخلاصاً مما سبق في تفسير معنى الكهولة فنحن أمام افتراضين إما أن يكون السن الذي بلغه المسيح عليه السلام قبل رفعه قد بلغ حد الكهولة بتجاوزه عمر الثلاثين [وهو القول الأضعف على ما مر] وإما أنه لم يبلغه على القول القائل بأن الكهولة ما بعد الأربعين [وهو القول الأقوى بما سبق].

وعلى التسليم بالقول الأول على أنه الأرجح بحسب ادعاء الدكتور عدنان فغاية هذا الكلام يفيد أن عيسى عليه السلام قد تحدث إلى بني إسرائيل كهلاً قبل أن يُرفع وسيُحَدِّثهم ثانية كهلاً عند عودته فلا تعارض مع الاستدلال بالآية على هذا.

وعلى القول الثاني الذي تبين معنا قوته ورجحانه بتفسير إمام اللغة الأول الخليل بن أحمد الفراهيدي يكون الاستدلال بالآية لا مراء فيه.

وفي الحالتين في المقابل يكون قول الدكتور عدنان عن الاستدلال بالآية: ((هذا لا موضع فيه للاستدلال البتة لا من قريب ولا من بعيد)). وقوله: ((ثم إن الآية لم تُشِر لا من قريب ولا من بعيد إلى هذا المعنى)) كلام في غير محله. وفي النقطة التالية مزيد البيان والتوضيح والتأكيد على ذلك بإذن الله تعالى.

خامساً:

قول الدكتور عدنان: ((وإنما أُتي بقوله وكهلاً للإحتراس والإحتراز لأنه حين قال يكلم الناس في المهد سيظن ظان بل سيظن ظانون كثيرون كثر من الناس أنه ربما لُبِس بشيطان. سكنه جنّي والعياذ بالله فهو ينطق على لسانه. علماء البلاغة يسمون هذا الاحتراس. إحتراساً وإحترازاً أيها الإخوة من خطور هذا الخاطر الرديء بقلب أحدهم (!!) قال تعالى {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ} قال {وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ} ليس عن شبهة إبليسية أو شبهة من تلبس جني. هذا اسمه الإحتراس لا علاقة له بما أرادوا وبما ذهبوا إليه)). انتهى. يدعونا للتساؤل **هل الشياطين أو الجن لا يتلبسون الكهل من الناس؟!** أَمَا وأن الإجابة قطعاً هي كلا بل يتلبسون الكهل كما يتلبسون الشاب كما يتلبسون الشيخ كما يتلبسون الرضيع فكيف ينتفي احتمال التلبس إذاً بهذا الاحتراس؟!!.

وبمعنى آخر إذا سلمنا أن الله سبحانه وتعالى لما علم أن قوله عن عبده ونبيه عيسى عليه السلام: {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ} قد يَنتج عنه أن يَظن ظان بل ظانون كثيرون أنه ربما لُبس بشيطان فهو ينطق على لسانه فأراد أن ينفي هذا الظن عن عبده ونبيه **فإن قوله بعدها {وَكَهْلًا} في الحقيقة لن ينفي هذا الظن ولن يغير منه شيئاً فالشيطان أو الجني الذي سيظن الظانون أنه تلبسه فهو ينطق على لسانه في المهد هو نفسه الذي ينطق على لسانه كهلاً فأين الاحتراس المزعوم إذاً؟!!** فلو كان الأمر للاحتراس والاحتراز لجاء القرآن بما يقطع هذا الظن من جذوره لا بما يَبقى معه الظن قائماً.

وهل الذين عاصروا هذه المعجزة وهذا الحدث وعاينوه ورأوا بأنفسهم رضيعاً في المهد يتكلم فتطرق إلى أذهانهم أن جنياً يتلبسه وهو الذي ينطق على لسانه هل إن قيل لهم أنه سيتكلم كهلاً أيضاً سينصرف من ذهنهم هذا الوهم هكذا بسهولة بمجرد إخبارهم بأنه سيتكلم كهلاً أيضاً؟!!!.

اللهم إلا أن يقال أن المقصودين من هذا الاحتراس وهذا الاحتراز ليسوا هم مَن عاصر الحدث من بني إسرائيل وإنما المقصودون به هم المخاطبون بالقرآن ممن أُخبروا فيه بهذا الأمر وخوطبوا بالآية وحينها يتجلى لنا ما يقطع ببطلان هذا التوجيه وانتفائه من الأساس بأمرين: **الأول** أن هذا القول وهذه البشارة كما أخبر القرآن في الموضع الأول في آية سورة آل عمران جاءت ضمن حديث **حدث في الماضي وقد حدث بين طرفين لا ثالث لهما الطرف الأول هو الملائكة المبشرين بهذه البشارة والطرف الثاني هو السيدة مريم عليها السلام** التي وجهت لها البشارة وهذا يتجلى من سرد كامل الآيات الواردة في ذلك كما يلي:

حيث قال تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِذْ **قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ** إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * **وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا** وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران:٤٤-٤٧].

فالحديث إذاً [الذي ورد فيه مقولة وكهلاً] كان من الملائكة لمريم عليها السلام ودار بينهما فقط فمن هذا الذي كان يستمع للبشارة مع السيدة مريم عليها السلام وبالتالي من المحتمل أنه سيظن أن كلام عيسى عليه السلام المبشر به كلام جني تلبس به فأرادت الملائكة أن تحترس له وتحترز له من هذا الظن فقالت وكهلاً؟!!. ثم هي في سياق البشارة فمن الذي سيخطر بباله أصلاً أن الملائكة جاءت تبشرها بمولود سيتلبسه جني ينطق على لسانه في المهد؟! أيُّ بشارة في ذلك؟!!.

إن الذي لا مفر منه أنه لا أحد. فهو كلام وحوار دار في الماضي ونقله لنا القرآن بين الملائكة المرسلة بالبشارة من ربها وبين مريم عليها السلام فقط فلا يبقى مع ذلك وجه للقول بأن الملائكة قالت هذه الكلمة (وكهلاً) احتراساً واحترازاً من أن يظن ظان بل ظانون كثر أن ذلك من تلبس الجن فقد تبين أن الكلام كان موجهاً فقط للسيدة مريم دون من سواها من البشر وعليه يكون يقيناً لا معنى لهذا الظن الذي جال ببال الدكتور وهو غير محتمل لا من قريب ولا من بعيد.

فإن أراد أحد أن يرقع كلام الدكتور فيقول لعل الملائكة قالته للسيدة مريم عليها السلام احتراساً واحترازاً لها هي نفسها من أن يخطر ببالها هذا الظن فهذا فضلاً عن أنه لا يحتمله كلام الدكتور ولا نظنه يقول أو سيقول به فهو كلام ساقط فمَن تحادثها الملائكة وتبشرها بمولود من غير أب بقدرة الله تعالى وإعجازه ثم

تصفه لها بأنه وجيه عند الله تعالى في الدنيا والآخرة ومن المقربين وأنه من معجزاته أنه سيتكلم في المهد فهل سيخطر ببالها حينها أنه سيتكلم بتلبس الجن؟!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

وقد نبهنا إلى أن كلمة يبشرك التي تصدَّرت المشهد كفيلة بألا يخطر هذا الخاطر ببال أي أحد فالكلام في سياق البشارة والامتنان فما الذي سيجعل هذا الخاطر يخطر بالبال؟!!

هذا من جهة ومن جهة أخرى يأتي **الأمر الثاني** في بطلان توجيه كلمة كهلاً على أنه للاحتراس في حق الظانين وأيضاً في بطلان حتى هذا الاحتمال [أو قل الترقيع] الأخير من أنه احتراس في حق مريم عليها السلام: أن هذا القول وهذه البشارة كما أخبر القرآن في الموضع الثاني في آية سورة المائدة جاءت ضمن **حديث بين طرفين لا ثالث لهما أيضاً الطرف الأول هو الله جل جلاله والطرف الثاني هو عيسى عليه السلام نفسه** الذي يوجَّه له الحديث والكلام وهذا يتجلى من سرد كامل الآيات الواردة في ذلك كما يلي:

{**يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ** مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى** ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ **تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا** وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} [المائدة:١٠٩،١١٠].

فالحديث إذاً هنا [الذي ورد فيه مقولة وكهلاً] مُوجَّه من الله تعالى مباشرة لرسوله عيسى عليه السلام لا لأحد سواه وهذا الحديث سيكون يوم القيامة يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتم. وهذا الحديث الموجه لعيسى عليه السلام صريح في تذكيره بما أنعمه الله تعالى عليه ومنها حديثه في المهد.

وقطعاً لا معنى للاحتراس هنا فهذا الحديث كما ذكرنا سيكون يوم القيامة ثم هو خطاب مباشر لعيسى نفسه عليه السلام فلا يبقى مع ذلك وجه للقول بأن الله تعالى سيقول هذه الكلمة (وكهلاً) احتراساً واحترازاً من أن يظن ظان بل ظانون كثر أن ذلك من تلبس الجن فقد تبين أن الكلام سيكون موجهاً فقط لعيسى عليه السلام دون من سواه من البشر.

ومن الجلي أنه سيحدثه عما كان وقع له فعلياً في الدنيا فلا مجال أيضاً لكون الاحتراس هو لعيسى نفسه .بمعنى أن قوله تعالى له (وكهلاً) في هذا الموقف يوم القيامة احتراساً واحترازاً له من أن يخطر بباله هو عليه السلام حينها أنه لما تكلم في المهد لم يكن هو الذي تكلم بل ربما كان ملبوساً بجني فأراد الله تعالى أن يبعد عنه هذا الخاطر فقال له جعلتك تتكلم في المهد وكهلاً!!.

بل المسلم به وهو الظاهر من سياق الآيات **أنه تعالى يُذكره بما أنعم عليه في الدنيا من نعم** ليسأله هل أدى حق شكرها كما قال تعالى: {ثُمَّ **لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**} [التكاثر:٨]. وتمهيداً للسؤال الآخر الذي أخبرتنا الآيات التالية أن الله تعالى سيسأله له وهو السؤال الذي في قوله تعالى بعد هذه الآية بنحو خمس آيات [تحدثت عن نصرة الحواريين له وقصة المائدة التي أنزلها الله تعالى عليهم آية على صدق نبيه عيسى]: {**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى** ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * **قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ** لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [المائدة:١١٦-١١٩].

وهذا كله يوم القيامة بدلالة قوله تعالى في البداية في تحديد السياق الزمني الذي سيدور فيه هذا الحديث: {**يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ**} وهو يوم القيامة. وقوله في النهاية: {**هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**} وهو يوم القيامة يوم الحساب. وهو اليوم الذي قال تعالى فيه كما أسلفنا: {ثُمَّ **لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**}.

على أن المفسرين قالوا أن الله تعالى إنما سيعدد نعمه هذه يوم القيامة على عبده ونبيه عيسى عليه السلام .بمسمع من قومه ومن بُعث إليهم من بني إسرائيل تنبيهاً لهم على كذبهم وقبح قولهم في ادعاء ألوهيته [ممن ألهوه] وفي قبح قول الطائفة الأخرى فيه من أن ما فعله من خوارق كان سحراً [وهو قول الذين كفروا منهم].

وهذا لا مجال معه أيضاً للقول بالاحتراس حينها في حق أولئك أولاً لأن هذا الحديث هو يوم القيامة بعد أن تكشفت الحقائق للجميع وبعد معاينة البعث والنشور والحشر والحساب. فالجميع في هذا الموقف

صاروا متيقنين من صدق ما جاءهم به الرسل وأن ما جاءوهم به من خوارق كان فعلاً من قبيل المعجزات. ومن ثم ما كان من كلام عيسى في المهد بات واضحاً لهم أنه كان من معجزاته شأنه شأن إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ..الخ. فهم قطعاً ليسوا في حاجة حينها لبيان أن ذلك ليس من شبهة إبليسية مما يستدعي الاحتراس بكلمة كهلاً.

وثانياً وكما هو واضح فالله تعالى ابتدأ حديثه [باعتبار ما سيكون يوم القيامة وأُخبرنا به سلفاً لا أنه حدث في الماضي كما أسلفنا] بقوله تعالى: {اذْكُرْ **نِعْمَتِي** عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ} ثم ذكر نعمة التأييد بروح القدس ثم مباشرة **نعمة التحدث في المهد** فمن هو هذا الأحمق الذي سيخطر بباله بعد هذا [وفي هذا الموقف تحديداً] أن هذا ربما من فعل جني تلبسه في الوقت الذي يقول الله تعالى فيه **أن هذا من نعمتي عليك** يا عيسى حتى يستلزم الأمر أن يحترس الله تعالى له بقوله وكهلاً؟!!!! ومن هو هذا الأحمق الذي سيجتمع في ذهنه تلبس عيسى بشيطان ينطق على لسانه وهو في نفس الوقت مؤيد بروح القدس؟!!! ومن هو هذا الأحمق الذي لن يفيد معه في طرد هذه الشبهة الإبليسية عنه التنبيه إلى أن عيسى مؤيد بروح القدس الذي هو جبريل عليه السلام في حين يفيد معه في طرد هذه الشبهة التنبيه إلى أن عيسى سيكلم الناس كهلاً؟!!!.

وعليه فلا يبقى بعد هذا البيان أي معنى لهذا الظن الذي جال ببال الدكتور وهو غير محتمل لا من قريب ولا من بعيد وأن كلمة كهلاً قطعاً لا علاقة لها بما أراده الدكتور وبما ذهب إليه.

** وبالتالي لا يبقى إلا أن كلمة كهلاً هنا ليس لها إلا أحد أمرين لا علاقة لهما بما أراده الدكتور عدنان وبما ذهب إليه: **الأول** ما قاله بعضهم من أنها تفيد طول عمره وتبشير مريم عليها السلام بأن مولودها هذا سيمتد به العمر ويكبر إلى أن يصل سن الكهولة. **والثاني** ما ذكره أصحاب هذا الاستدلال من أنها للتبشير والإشارة إلى أنه ستكون له معجزة ربانية يشهدها الناس كافة من خلال أنه سيبقى ليكلم الناس في كهولته في آخر الزمان.

والاحتمال الأول ضعيف لما سيأتي ولما أنه يغني عنه تبشيرها قبلها بأنه سيكون وجيهاً في الدنيا وهذا قطعاً يستلزم أن يعيش إلى سن الرجولة فهو السن الذي تظهر فيه وجاهة المرء بين أقرانه.

وعلى هذا يبقى احتمال صحة الاستدلال بالآية قائماً بل وسيتبين معنا مزيد وجاهته وقوته من خلال النقطة التالية والأخيرة بإذن الله تعالى.

سادساً وأخيراً:

نأتي الآن بعون الله تعالى إلى بيان قوة ووجاهة هذا الاستدلال مضافاً لكل ما سبق. فمما يقويه ويبين وجاهته ما يلي:

١. ورود كون عيسى عليه السلام سيكلم الناس كهلاً سواء كبشارة للسيدة مريم من الملائكة كما في سورة آل عمران أو كامتنان من الله تعالى على عيسى كما في سورة المائدة **جاء في سياق سرد معجزات وخوارق عيسى عليه السلام التي تمتع بها واختص بها مما يقوي أن كلامه في الكهولة سيكون خارقاً للعادة** ككلامه في المهد وكإحياء الموتى وغيرها من خوارقه عليه السلام.

وهذا يتجلى في آية المائدة التي توضح أن الله تعالى سيمتن على عبده ونبيه عيسى عليه السلام **بما أنعم عليه من معجزات وخوارق فكان منها أنه امتن عليه بنعمة الكلام في الكهولة** وحيث أن هذا سيكون يوم القيامة فلا معنى للقول بأنها بشارة لبلوغه سن الكهولة ولا معنى أيضاً بأن يكون ذلك من قبيل الامتنان عليه ببلوغ سن الكهولة فعيسى عليه السلام ليس وحده في ذلك.

فسياق الآيات يبين أن الله تعالى سرد عليه أهم النعم وتحديداً النعم الكبرى التي اختص بها وتميز بها وإلا فمن المعلوم أنه {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}. ومجرد نعمة الوصول إلى سن الكهولة [خاصة لو سلمنا أن الكهولة هي ما فوق الثلاثين فقط] ليست من النعم الكبرى التي تميز بها عيسى عليه السلام عن غيره.

فالظاهر إذاً أنها من ضمن خوارقه وخصوصياته التي اختُص بها وأُنعم بها عليه - عليه وعلى رسولنا أفضل الصلاة وأزكى وأتم والسلام وعلى جميع الأنبياء والمرسلين- ولا تكون كذلك إلا بنزوله مجدداً من السماء آخر الزمان بعد ارتفاعه إليها وعيشه فيها طيلة هذه الفترة الممتدة المديدة **ليكلم الناس كهلاً خارقاً للعادة كما كلمهم في المهد خارقاً للعادة.**

ولهذا يقول الغماري في كتابه "البرهان":
(تنبيه: اشتملت هذه الآية والتي قبلها على نكتتين [أي إشارتين] لطيفتين:

(الأولى) الإخبار بأن عيسى عليه السلام يكلم الناس كهلاً.

وقد قال المفسرون: إن هذا وعد من الله بأنه سيعيش إلى سن الكهولة. وهو معنى صحيح.

لكن في الآية معنى آخر لم يعرجوا عليه فيما علمت وهو الإشارة إلى أن كلامه كهلاً يأتي على خلاف المعتاد المعهود. فإن الناس بتكلمون كهولاً وشباناً ليس في ذلك ما يدعو إلى العجب.

ولكن العجيب في شأن عيسى عليه السلام أن يرفع شاباً ويغيب مئات السنين في عالم لا تجري عليه الأغيار الجثمانية ثم يترل ويكلم الناس بعد ذلك كهلاً. لا جرم أن هذا أمر غريب استحق لغرابته أن ينوه الله به في آيتين من كتابه بطريق البشارة تارة والامتنان تارة أخرى. ولذا قابله في كلتا المرتين بأمر لا يقل عنه غرابة وهو كلامه في المهد). انتهى.

٢. ما قاله الغماري بعد كلامه السابق مبيناً النكتة [الإشارة] الثانية التي اشتملت عليها الآية حيث قال:
((النكتة الثانية) التعبير بالناس حيث قال تعالى: {وَيُكَلِّمُ **النَّاسَ**} ولم يقل: ويكلم بني إسرائيل أو قومه كما هو المعهود في كل رسول أنه يكلم قومه الذين أرسل إليهم خاصة للإشارة إلى أن الذين يكلمهم عيسى ليسوا قومه فحسب بل هم وغيرهم ممن يترل عليهم آخر الزمان.

واقرأ قوله تعالى في سورة آل عمران في شأن البشارة بعيسى عليه السلام: {وَرَسُولًا **إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**} وانظر كيف خص رسالته بقومه فقط لأنه لم يكن مرسلاً إلى غيرهم.

ثم قابله بقوله تعالى: {وَيُكَلِّمُ **النَّاسَ** فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا} تجد بينهما تخالفاً في الخصوص والعموم مع أنهما في سياق البشارة والتنويه بعيسى عليه السلام.

فما هذا التخالف والله أعلم إلا للنكتة التي أبديناها وللإشارة إلى أن كلامه في حالتي طفولته وكهولته ليس بوصف كونه رسولاً.

فتأمل هذا جيداً واحفظه فإنه من أسرار الكتاب الكريم وهو مما فتح الله به عليّ فالحمد لله حمداً كثيراً). انتهى.

وتتقوى هذه اللفتة والإشارة من الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري بقوله تعالى: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا **وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**} [الأنبياء:٩١]. **فبنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ستتحقق المعجزة وتتجلى الآية للعالمين جميعاً وليس فقط لبني إسرائيل.**

٣. إن أول ما تكلم به عيسى عليه السلام في المهد هو قوله (إني عبد الله) مؤكداً على كونه عبداً لله تعالى وأحد أنبيائه كما قال تعالى: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ** آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} [مريم:٢٩،٣٠].

ولما كان جوهر سبب عودته آخر الزمان هو ليؤكد لأهل الكتاب الذين انحرفوا فيه وزعموا وادعوا أنه إله أو ابن الله فمن الطبيعي أن أهم ما سيؤكد عليه وسيتكلم به في كهولته عند نزوله آخر الزمان هو نفس ما أكد عليه في المهد {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم:٢٩-٣٣]. **ولهذا والله تعالى أعلم ربط بين كلامه في المهد وكلامه في الكهولة لأن الغرض واحد في الحالتين وهو إثبات عبوديته لله تعالى ونفي شبهة الربوبية والألوهية عن نفسه.**

وبذلك ومن كل ما سبق يتبين لنا رصانة وقوة هذا الاستدلال وقد أطلنا النفس في هذا الدليل رغم كونه غير قطعي ولا مجمع على القول به لا لشيء سوى لبيان أنه وجه محتمل بل واحتماله والقول به هو الأوجه على ما سبق والأهم لبيان أن حسم المسألة على النحو الذي يحسمه الدكتور غير سديد ورحم الله تعالى علماءنا الذين كانوا يقولون: رأيي خطأ يحتمل الصواب ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب. لا كما يفيده كلام الدكتور: رأيي هو الصواب ورأي غيري أساطير الأولين.

٧/ قال الدكتور متابعاً عرض أدلة القائلين بعقيدة رفع عيسى عليه السلام حياً إلى السماء بجسده وروحه في الدقيقة [١٦:٣٧ – ٢٠:٥٠]:

((نأتي الآن إلى أقوى أدلتهم وهي الآية الكريمة الجليلة التي تلوهما من سورة آل عمران {قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} أيها الإخوة. قالوا الله يقول {مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} صرّح بأنه يرفعه إليه يرفعه إليه [التكرار من الدكتور] فلو كان يرفعه روحاً أو نفساً فقط لما كان في هذا وجه اختصاص وامتياز. كل الأرواح ترفع في البداية لكن ماذا يُفعل بها بعد ذلك اختلاف على أَزْيَد ربما من عشرات الأقوال. تقصى ابن قيم الجوزية في "الروح" على ما أذكر أكثر أطرافها أقوال كثيرة ماذا يُفعل بالنفوس أو الأرواح بعد أن تعود من السماء الله أعلم. أقوال كثيرة جداً. فليس فيه وجه اختصاص ولا امتياز لعيسى إن كان الرفع بالروح فلابد أن يكون بالروح والبدن لابد أن يكون بالروح والبدن [التكرار من الدكتور]. وفسروا كلمة متوفيك وهي ضد ما أرادوا ضد مقصودهم تماماً والترتيب يعاكس قصدهم والترتيب يعاكس قصدهم [التكرار من الدكتور]. الله لم يقل: إني رافعك ومتوفيك. إنما قال: متوفيك. والوفاة إذا أُطلقت تنصرف إلى ماذا؟ إلى الموت هذا معروف إذا ما أطلقت في حق الإنسان وما من قرينة زائدة أيها الإخوة فتنصرف إلى الموت توفية الموت توفية الموت [التكرار من الدكتور] {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} {حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} هذه هي الوفاة وهذه هي التوفية تنصرف إلى الموت فقالوا لا الآية فيها تقديم وتأخير. والتوفية هنا بمعنى آخر. اخترعوا معنًى جديداً ثالثاً (!!) لا تعرفه العربية (!!) وأعلنا قبل سنين نتحدى في كل أدبيات العرب شعراً ونثراً أن تأتونا بالتوفية بحيث تعني أن الإنسان يقبض روحاً وبدناً. مستحيل العرب لم تعرف هذا لذلك أصاب المحز الإمام المجدد المفسر الطاهر ابن عاشور رحمة الله تعالى عليه في التحرير والتنوير قال: فتفسير الوفاة أو التوفية بأنها أخذ واستيفاء الروح والبدن جملة قال: إحداث معنى جديد في العربية لم تعرفه اللغة. اللغة لا تعرف هذا أين هذا في العربية أين هذا في العربية [التكرار من الدكتور] وسنتحدث بعد ذلك حين نكر على أدلتهم بالإدحاض أيها الإخوة وبيان تهافتها بتحقيق المقام في التوفية. على كل حال أتوا بمعنى جديد قالوا التوفية ليس بمعنى الموت وطبعاً ليس بمعنى النوم إنما بمعنى أخذه تاماً وافياً روحاً وبدناً. قالوا والآية من باب المقدم والمؤخر كما رووا عن قتادة بن دعامة السدوسي قالوا فيها تقديم وتأخير إيه يعني قالوا أصل الآية: إني رافعك ومتوفيك. كان يعجز الله أن يقول هذا (!!) إني رافعك ومتوفيك. فذهب يقول إني متوفيك ورافعك. شيء عجيب جداً. تكلفات باردة من أجل ماذا؟! من أجل أن تصح عقيدة هي من أسس الإعتقاد النصراني. وِيل ديورانت بعد أن تحدث عن المسيح وعن القيامة وعن الصعود وبعدين عن عقيدة الرجعة والعهد المليوني العهد الألفي يعني ميللينيوم الألفي السعيد قال: ولولا عقيدة رجعة أو عودة عيسى ما قامت المسيحية. هذا من أعظم أسس الديانة النصرانية أن تعتقد أنه سيعود. قالّك وأنتم تعتقدون ذلك

ليس محمدهم هو الذي سيعود قال عيسى يسوع هو الذي سيعود وليس محمد. محمد المرسل رحمة للعالمين ليس محمد هو الذي يعم دينه العالمين يسوع حين يعود يعم دينه العالمين حتى وإن زعمتم أنه دين محمد لكن يسوع وليس محمد ..وليس .. انتبهوا ما شاء الله هذه عقائد جيدة تخدم الإسلام وتخدم القرآن وتخدم قرارات اعتقادنا. لا لا لا. تخدم أعظم ما خدمت به النصرانية أعظم ما خدمت به النصرانية)).

الرد:

أولاً:

وَصَفَ الدكتور عدنان الآية المذكورة وهي قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [آل عمران:٥٥]. بأنها أقوى أدلة القائلين برفع عيسى عليه السلام حياً إلى السماء والأمر ليس كذلك **وإنما أقوى أدلتهم هو الإجماع** المستند إلى القرآن والأحاديث والروايات والأخبار المتواترة الواردة في ذلك.

أما الإجماع فالدكتور عدنان نفسه مسَلِّم به ومُقِرٌّ أن الأمة سنة وشيعة مجتمعة متفقة على ذلك طيلة قرون فقد قال نصاً في أول خطبته هذه في الدقيقة [٤:٤٦ – ٥:١٤] : ((عبر القرون **والمسلمون على اختلاف طوائفهم** تقريباً سنة وشيعة وغير ذلكم يُدرسون ويُعلمون أن المسيح عيسى ابن مريم – عليه وعلى رسولنا الصلوات والتسليمات وعلى كل جميعاً – رُفع إلى السماء وافياً تاماً بروحه أو بنفسه وبدنه)). انتهى. ومقرٌ أيضاً أن خرق هذا الإجماع لم يحدث إلا في مطلع العصر الحديث.

والإجماع الذي يستسهل الدكتور خرقه والخروج عليه [بل والتهجم على أهله] لا يجوز بحال من الأحوال لأحد من المسلمين أن يضرب به عرض الحائط. **وخارق الإجماع على ضلال مبين** وسيقف بين يدي الله تعالى يوم القيامة بلا حجة تجيز له ذلك ولن يشفع له أنه تأول النصوص القرآنية الثابتة والأحاديث المتواترة بفهمه الخاص مخالفاً فهم الأمة ومخالفاً إجماع الأئمة المجتهدين وعلماء المسلمين طيلة العصور الماضية إلى مطلع العصر الحديث.

ففي القرآن: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى **وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ** نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء:١١٥].

قال الإمام أبو بكر الجصاص الحنفي (المتوفى عام ٣٧٠هـ) في كتابه "أحكام القرآن":

(وقرن اتباع غير سبيل المؤمنين إلى مباينة الرسول فيما ذكر له من الوعيد **فدل على صحة إجماع الأمة لإلحاقه الوعيد بمن اتبع غير سبيلهم**). انتهى.

وقال المفتي والمفسر أبو السعود العمادي (المتوفى عام ٩٨٢هـ) في تفسيره عن هذه الآية:

(**وفيها دلالةٌ على حجية الإجماع وحُرمة مخالفته**). انتهى.

وفي القرآن أيضاً: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ **أُمَّةً وَسَطًا** لِتَكُونُوا **شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**} [البقرة:١٤٣].

قال الإمام أبو بكر الجصاص الحنفي في كتابه "أحكام القرآن":

(قوله تعالى [وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس] قال أهل اللغة **الوسط العدل** وهو الذي بين المقصر والغالي. **وقيل هو الخيار**. **والمعنى واحد لأن العدل هو الخيار**.

قال زهير:

هُمْ **وَسَطٌ** يَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ ** إذَا طَرَقَتْ إحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

وقوله تعالى [لتكونوا شهداء على الناس] معناه ... وقيل **لتكونوا حجة فيما تشهدون كما أن النبي صلى الله عليه وسلم شهيد بمعنى حجة** دون كل واحد منها. قال أبو بكر وكل هذه المعاني يحتملها اللفظ وجائز أن يكون بأجمعها مراد الله تعالى فيشهدون على الناس بأعمالهم في الدنيا والآخرة ويشهدون للأنبياء عليهم السلام على أممهم بالتكذيب لإخبار الله تعالى إياهم بذلك **وهم مع ذلك حجة على من جاء بعدهم في نقل الشريعة وفيما حكموا به واعتقدوه من أحكام الله تعالى**.

وفي هذه الآية دلالة على صحة إجماع الأمة من وجهين:

أحدهما وصفه إياها بالعدالة وأنها خيار وذلك يقتضي تصديقها والحكم بصحة قولها وناف لإجماعها على الضلال.

والوجه الآخر قوله [لتكونوا شهداء على الناس] بمعنى الحجة عليهم كما أن الرسول لما كان حجة عليهم وصفه بأنه شهيد عليهم ولما جعلهم الله تعالى شهداء على غيرهم فقد حكم لهم بالعدالة وقبول القول لأن شهداء الله تعالى لا يكونون كفاراً ولا ضلالاً ...

فأما إذا أريد بالشهادة الحجة فذلك حجة على من شاهد وهم من أهل العصر الثاني وعلى من جاء بعدهم إلى يوم القيامة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم حجة على جميع الأمة أولها وآخرها ولأن حجة الله إذا ثبتت في وقت فهي ثابتة أبداً ... كذلك أهل كل عصر لما كانوا شهداء الله من طريق الحجة وجب أن يكونوا حجة على أهل عصرهم الداخلين معهم في إجماعهم وعلى من بعدهم من سائر أهل الأعصار.

فهو **يدل على أن أهل عصر إذا أجمعوا على شيء ثم خرج بعضهم عن إجماعهم أنه محجوج بالإجماع المتقدم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد شهد لهذه الجماعة بصحة قولها وجعلها حجةً ودليلاً** فالخارج عنها بعد ذلك تارك لحكم دليله وحجته ... **فدل ذلك على أن الإجماع في أي حال حصل من الأمة فهو حجة الله عز وجل غير سائغ لأحد تركه ولا الخروج عنه)**. انتهى ببعض اختصار.

وفي الحديث: (لا تجتمع أمتي على ضلالة). انتهى. قال الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام":

(..إمام الحرمين ذكر حديث **(لا تجتمع أمتي على ضلالة) من جملة أدلة حجية الإجماع** وقال: إنه حديث آحاد. **والصواب أنه متواتر معنوي** إذ قد ورد معناه عنه صلى الله عليه وآله وسلم من حديث عمر وابنه وابن عباس وأبي هريرة وأنس وأبي مالك الأشعري وأبي بصرة الغفاري وحذيفة وأبي ذر ومعاذ وعرفجة وابن مسعود وأبي سعيد ومعاوية ورجل من الصحابة وأسامة بن شريك والحرث الأشعري وسمرة بن جندب وأبي قرصافة.

وعن أبي مسعود موقوفاً وله حكم الرفع.

ورواه عن عمر: سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن الزبير وغير واحد من الصحابة والتابعين ممن حضروا خطبته بالجابية.

ورواه عن أبي هريرة: عبد الله بن السائب وعبيد الله التيمي وغيرهما.

وهكذا رواه عن كل صحابي واحد أو أكثر وهلم. وقد استوفيت طرقه وألفاظه في كتابي "الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج"). انتهى.

ومن المعلوم أن الأدلة عموماً على أربعة أنواع:

١) أدلة قطعية الثبوت قطعية الدلالة.

٢) أدلة قطعية الثبوت ظنية الدلالة.

٣) أدلة ظنية الثيوت قطعية الدلالة.

٤) أدلة ظنية الثبوت ظنية الدلالة.

وأقوى هذه الأدلة على الإطلاق هي النوع الأول قطعي الثبوت قطعي الدلالة.

ومعنى كون الدليل قطعي الثبوت أي ثبتت نسبته للمُشَرِّع ثبوتاً لا مجال فيه للتشكك ولا يكون ذلك إلا إذا وصلنا بالتواتر كالقرآن والسنة المتواترة لأن التواتر يفيد القطع بصحة المنقول واليقين بصدوره من المشرِّع صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

ومعنى كون الدليل قطعي الدلالة أي دلّ على معنى معين صريح لا يحتمل التأويل ولا يحتمل إلا معنى واحداً وفهماً واحداً ومراداً واحداً ومقصوداً واحداً لا غير.

وهذا الأمر متحقق في الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان والتي يستند عليها الإجماع في المسألة **فهي أحاديث متواترة** وهي بالتالي **قطعية الثبوت يقطع بثبوتها أمران: أولهما التواتر وثانيهما الإجماع على فحواها**. وهي أحاديث بطبيعة الحال لا تحتمل تأويلاً **فهي قطعية الدلالة قطعاً**.

قال الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه "البرهان":

(اعلم أنه **قد تواتر عن النبي** صلى الله عليه وسلم **تواتراً لا خلاف فيه ولا نزاع** أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان حاكماً بهذه الشريعة المحمدية فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقتل الدجال ولا يقبل إلا الإسلام ويمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه). انتهى.

ويقول أيضاً:

(ورد نزول عيسى عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة بن أسيد والنواس بن سمعان وعبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله ومجمع بن جارية وأبي امامة وعثمان بن أبي العاص وواثلة بن الأسقع وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مغفل وعائشة وسمرة بن جندب وأنس وأبي سعيد الخدري وعمران بن حصين وابن عباس وأوس بن أوس وثوبان وعبد الرحمن بن سمرة ونافع بن كيسان الثقفي وكيسان بن عبد الله بن طارق ونافع بن عتبة وأبي برزة وعمرو بن عوف وبعض الصحابة وأبي الدرداء.

ومن مرسل جبير بن نفير الحضرمي والحسن وعروة بن رويم التابعين.

وهذا غير الموقوفات والمقطوعات وهي في هذا الباب لها حكم الرفع كما تقرر في علوم الحديث). انتهى.

ثم يسرد الأحاديث ثم يقول:

(فهذه **ستون حديثاً** يرويها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم **ثمانية وعشرون صحابياً وثلاثة تابعين** بألفاظ مختلفة وأسانيد متعددة **كلها تصرح بنزول عيسى عليه السلام تصريحاً لا يحتمل تأويلاً ولا روغاناً** فهل يجوز للمتعلم قبله العالم أن يشطب على هذه الأحاديث بجرة قلم؟!!). انتهى.

فالذي يخالف الإجماع بعد كل ذلك هو الأحرى بأن يُقال في شأنه ما قاله الدكتور عدنان: ((شيء عجيب جداً)).

ثانياً:

قول الدكتور عدنان: ((قالوا التوفية ليس بمعنى الموت وطبعاً ليس بمعنى النوم إنما بمعنى أخذه تاماً وافياً روحاً وبدناً)). انتهى. يوحي بعدم القول بوفاة النوم مطلقاً وهذا غير صحيح بل هو أحد أوجه التفسير للتوفي في الآية وقد قاله الربيع بن أنس كما هو مسطور في كتب التفسير.

ثالثاً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((وفسروا كلمة متوفيك وهي ضد ما أرادوا ضد مقصودهم تماماً)). انتهى. فإن تفسير متوفيك لا يقدم ولا يؤخر ولا يغير من الأمر شيئاً أياً كان هذا التفسير.

فحتى تفسير معنى متوفيك بوفاة الموت كما يريد الدكتور عدنان وعلى الرغم من أنه غير مسلم به على الإطلاق فإن ذلك على التسليم به لا يتعارض مع القول برفع عيسى عليه السلام وعودته آخر الزمان بل غاية ما يؤدي إليه أن الله تعالى في تلك اللحظة التي حاول اليهود فيها الإمساك به وقتله عليه السلام لم يمكنهم الله تعالى من ذلك بل توفاه [سواء بالموت أو بالنوم] ثم رفعه إلى السماء وهو هناك الآن إلى أن يأذن الله تعالى بعودته ثانية ونزوله آخر الزمان.

وبالتالي فقوله هذا لا محل له من الإعراب وفي غير محله قطعاً وسيتجلى معنا ذلك لاحقاً بإقرار الدكتور عدنان نفسه كما سيأتي بإذن الله تعالى.

رابعاً:

قول الدكتور: ((والترتيب يعاكس قصدهم. الله لم يقل: إني رافعك ومتوفيك)). انتهى. وقوله: ((قالوا والآية من باب المقدم والمؤخر كما رووا عن قتادة بن دعامة السدوسي قالوا فيها تقديم وتأخير إيه يعني قالوا أصل الآية: إني رافعك ومتوفيك. كان يعجز الله أن يقول هذا (!!) إني رافعك ومتوفيك. فذهب يقول إني متوفيك ورافعك)).انتهى. كلام مردود بما يلي:

أ/ إن **التقديم والتأخير هو أسلوب من الأساليب البلاغية المستخدمة في اللغة العربية** ومن الطبيعي أن يكون مستخدماً في القرآن الكريم الذي جاء بلغة العرب مستخدماً أساليبهم البلاغية {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ **قُرْآنًا عَرَبِيًّا** لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف:٢].

والواو حرف عطف لا يستلزم الترتيب الزمني للفعل أو للحدث فلو قال قائل: يزورني اليوم خالد وعمر. فإن هذا لا يعني بالضرورة أن خالد سيسبق بالزيارة قبل عمر. فقد يسبق عمر وقد يسبق خالد وقد يحضران معاً وسوية في وقت واحد.

وكذا لو قال قائل: اليوم سأزور أصدقائي وسأذهب إلى الشاطئ. فإن هذا لا يعني بالضرورة أنه سيذهب للشاطئ بعد زيارته للأصدقاء بل قد يذهب للشاطئ أولاً ثم يقوم لاحقاً بزيارة أصدقائه.

ولتتيقن من أن العطف لا يستلزم الترتيب الزمني للأحداث تأمل الأحداث التاريخية التي يسردها القرآن لما حدث لليهود مع نبيهم موسى عليه السلام وكيفية ترتيبها في سورة البقرة حيث يقول تعالى:

{وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * **وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى** كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * **وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ** فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا **وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ** نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ** فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [البقرة:٥٣-٦٠].

ثم تأمل نفس الأحداث مع اختلاف تسلسلها وترتيبها في سورة الأعراف حيث يقول تعالى:

{وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى **إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ** فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ **وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى** كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * **وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ** وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ **وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا** نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ} [الأعراف:١٦٠-١٦٢].

فلو كان العطف للترتيب الزمني للأحداث لكان القرآن متناقضاً وحاشاه.

فالأحداث في سورة البقرة تبدأ (١) بالتظليل بالغمام وإنزال المن والسلوى ثم (٢) دخول القرية ثم (٣) استسقاء موسى وضربه الحجر وخروج الاثنتي عشرة عيناً.

في حين الأحداث في سورة الأعراف تبدأ (١) باستسقاء موسى وضربه الحجر وخروج الاثنتي عشرة عيناً ثم (٢) التظليل بالغمام وإنزال المن والسلوى ثم (٣) دخول القرية.

بل لو تأملنا آية واحدة وحدثاً واحداً منها وهو حدث دخول القرية لوجدنا اختلافاً في ترتيب العطف. ففى سورة البقرة: {**وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ**} وفى سورة الأعراف: {**وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا**}.

وفي هذا يقول أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) في كتابه "البرهان في علوم القرآن":

(ومنها أن يقع التقديم في موضع والتأخير في آخر واللفظ واحد والقصة واحدة **للتفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب** كما في قوله تعالى {**وَادْخُلُوا الْبَابَ** سُجَّدًا **وَقُولُوا حِطَّةٌ**} {**وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ** سُجَّدًا}). انتهى.

وما هذا إلا تأكيد على أن العطف لا يستلزم بالضرورة الترتيب الزمني وإنما مجرد سرد الأحداث والوقائع بغض النظر عن تسلسلها وترتيبها الزمني.

وفي القرآن: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} [النساء:١٦٣]. ولم يقل ويعقوب والأسباط وأيوب وهارون وداود وسليمان ويونس وعيسى تماشياً مع الترتيب الزمني للموحى إليهم.

والسؤال هنا للدكتور عدنان: هل كان يعجز الله أن يقول: وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وأيوب وهارون وآتينا داود زبوراً وأوحينا إلى سليمان ويونس وعيسى. فذهب يقول: وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً؟!.

وجوابه هنا هو الجواب نفسه على اعتراضه هناك: ((كان يعجز الله أن يقول هذا: إني رافعك ومتوفيك. فذهب يقول إني متوفيك ورافعك)).

وفي القرآن: {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ} [الشورى:٣]. ولم يقل يوحي إلى الذين من قبلك وإليك تماشياً مع الترتيب الزمني للموحى إليهم.

والسؤال هنا للدكتور عدنان: هل كان يعجز الله أن يقول: كذلك يوحي إلى الذين من قبلك وإليك. فذهب يقول: كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك؟!.

وجوابه هنا هو الجواب نفسه على اعتراضه هناك: ((كان يعجز الله أن يقول هذا: إني رافعك ومتوفيك. فذهب يقول إني متوفيك ورافعك)).

وفي القرآن أيضاً: {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} [آل عمران:١٩٥]. والهجرة تأتي بعد الإخراج من الديار لا قبله ولكنه تعالى قال: هاجروا وأخرجوا من ديارهم و لم يقل أخرجوا من ديارهم وهاجروا.

والسؤال هنا للدكتور عدنان: هل كان يعجز الله أن يقول: فالذين أخرجوا من ديارهم وهاجروا. فذهب يقول: فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم؟!.

وجوابه هنا هو الجواب نفسه على اعتراضه هناك: ((كان يعجز الله أن يقول هذا: إني رافعك ومتوفيك. فذهب يقول إني متوفيك ورافعك)).

وفي القرآن أيضاً: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} [النجم:٤٣،٤٤]. والإماتة تأتي بعد الإحياء لا قبله ولكنه تعالى قال: أمات وأحيا و لم يقل أحيا وأمات.

والسؤال هنا للدكتور عدنان: هل كان يعجز الله أن يقول: وأنه هو أحيا وأمات. فذهب يقول: وأنه هو أمات وأحيا؟!.

وجوابه هنا هو الجواب نفسه على اعتراضه هناك: ((كان يعجز الله أن يقول هذا: إني رافعك ومتوفيك. فذهب يقول إني متوفيك ورافعك)).

ومثل هذا قول الكفار فيما أخبر الله تعالى عنهم في القرآن: {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} [المؤمنون:٣٧]. {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية:٢٤].

فهل كانوا يموتون ثم يحيون؟!!

وفي القرآن: {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى} [طه:١٢٩]. وكلمة "أَجَلٌ" في الآية ليست معطوفة على كلمة "لِزَامًا" بل معطوفة على كلمة "كَلِمَةٌ" ولهذا جاءت مرفوعة مثلها. وأصل الآية ولولا كلمةٌ سبقت من ربك وأجلٌ مسمى لكان لزاماً.

والسؤال هنا للدكتور عدنان: هل كان يعجز الله أن يقول هذا: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً. فذهب يقول: ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى؟!.

وجوابه هنا هو الجواب نفسه على اعتراضه هناك: ((كان يعجز الله أن يقول هذا: إني رافعك ومتوفيك. فذهب يقول إني متوفيك ورافعك)).

وفي القرآن: {يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} [آل عمران:٤٣]. والسجود قطعاً بعد الركوع.

والسؤال هنا للدكتور عدنان: هل كان يعجز الله أن يقول هذا: يامريم اقنتي لربك واركعي واسجدي مع الساجدين. فذهب يقول: يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين؟!.

ورده هنا هو الرد نفسه على اعتراضه هناك: ((كان يعجز الله أن يقول هذا: إني رافعك ومتوفيك. فذهب يقول إني متوفيك ورافعك)).

وفي القرآن أيضاً: { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يونس:٣٨]. والترتيب الزمني الطبيعي أن يدعوا من استطاعوا من دون الله ثم يأتوا بسورة مثله لا العكس.

والسؤال هنا للدكتور عدنان: هل كان يعجز الله أن يقول: قل ادعوا من استطعتم من دون الله فأتوا بسورة مثله إن كنتم صادقين. فذهب يقول: فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين؟!.

وجوابه هنا هو الجواب نفسه على اعتراضه هناك: ((كان يعجز الله أن يقول هذا: إني رافعك ومتوفيك. فذهب يقول إني متوفيك ورافعك)).

وعليه فلا مانع من أن يكون قوله تعالى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران:٥٤،٥٥]. بمعنى أن اليهود قد مكروا وأرادوا قتل عيسى عليه السلام فَبَشَّر الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام بأنه لن يمكنهم من قتله وأنه سيتوفاه وفاة طبيعية في آخر الزمان وأنه إلى ذلك الحين سيرفعه إلى السماء وينجيه من شرهم إلى حين نزوله وعودته عليه السلام.

وبناءً عليه فلما كان عليه السلام مهدداً بالقتل من اليهود **ناسب أن يبتدئ الله تعالى بطمأنة نبيه** عيسى عليه السلام بأنه سيموت كسائر البشر لكنه لن يموت مقتولاً بل بوفاة طبيعية ثم بيّن له أنه سيرفعه إليه ويطهره وينجيه من الذين كفروا من غير أن ينال منه اليهود أو يمسوه بسوء.

أي أن الترتيب هنا ليس لغرض الترتيب الزمني للأحداث **وإنما للمناسبة في ذلك** على نحو ما وضحناه بدليل الأمثلة السابقة من القرآن نفسه الدالة على أن العطف بحرف العطف الواو قد يأتي خلافاً للترتيب الزمني وهذا من الفصاحة لأنه من أساليب العرب البلاغية في التقديم والتأخير.

ولزيادة تأكيد وتوضيح المعنى وأن التقديم والتأخير مع العطف قد يأتي **كأسلوب بلاغي لمناسبة السياق** نذكر المثال الأخير التالي:

قال تعالى في سورة الأنعام: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ **نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**} [الأنعام:١٥١]. وقد جاء الترتيب مغايراً في سورة الإسراء حيث قال تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ **نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ**} [الإسراء:٣١].

قال المفسرون أن الآية في سورة الأنعام جاءت لتخاطب الفقراء بدليل قوله تعالى {مِنْ إِمْلَاقٍ} التي تفيد أن الفقر موجود فعلاً في هؤلاء الآباء **فناسب أن يبدأ بطمأنتهم على رزقهم قبل رزق أبنائهم** لأن رزقهم وهم في هذه الحالة من الفقر أهم من رزق أبنائهم فجاء الترتيب: {نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ}. وأما في سورة الإسراء فقد كان الخطاب موجهاً للأغنياء بدليل قوله تعالى: {خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ} التي تفيد أن الفقر غير موجود فإن الخشية لا تكون إلا مما لم يقع بعد فتكون هذه الآية في حق الآباء الذين يخافون أن يأتي الفقر بسبب الأبناء **فناسب أن يبدأ الله تعالى هنا بطمأنة الآباء على رزق أبنائهم قبل رزقهم هم** لأنهم مشغولون بالتفكير في رزق أبنائهم أما هم فهم أغنياء غير محتاجين فجاء الترتيب: {نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ}.

فكذلك في آيتنا لما كان الخطاب موجهاً لعيسى عليه السلام حالة كونه مهدداً بالقتل مِن قِبَل اليهود **ناسب أن يبتدئ الله تعالى بطمأنته على أن موته سيكون بالوفاة الطبيعية لا بالقتل** كما سبق أن أشرنا فجاء الترتيب: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}. وبهذا يتبين معنا أن كلام الدكتور عدنان وقوله: ((والترتيب يعاكس قصدهم. الله لم يقل: إني رافعك ومتوفيك)) وكذلك قوله: ((كان يعجز الله أن يقول هذا: إني رافعك ومتوفيك. فذهب يقول: إني متوفيك ورافعك)) هو قطعاً كلام غير سديد وفي غير محله.

ب/ ومما يندى له الجبين ويحق لنا معه توجيه أشد اللوم والعتاب للدكتور عدنان قوله منكراً على أصحاب هذا القول والتوجيه والتفسير للآية: ((شيء عجيب جداً. تكلفات باردة (!!))) خاصة إذا ما علمنا أن هذا القول قاله كل من قتادة بن دعامة الدوسي [كما قاله الدكتور عدنان نفسه] (المتوفى نحو عام ١١٧هــ) وهو حافظ العصر وقدوة المفسرين والمحدثين كما وصفه الذهبي في سير أعلام النبلاء.

قال الذهبي في سِيره: (قال معمر: وسمعت قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً. وعنه قال: ما سمعت شيئاً إلا وحفظته). انتهى. وقال أيضاً: (قال أبو هلال: سألت قتادة عن مسألة، فقال: لا أدري. فقلت: قل فيها برأيك. قال: ما قلت برأي منذ أربعين سنة. وكان يومئذ له نحو من خمسين سنة. قلت: فدل على أنه ما قال في العلم شيئاً برأيه). انتهى. وقال أيضاً: (قال أحمد بن حنبل: كان قتادة عالماً بالتفسير وباختلاف العلماء ... ثم وصفه بالفقه والحفظ وأطنب في ذكره وقال: قلما تجد من يتقدمه. وعن سفيان الثوري قال: وهل كان في الدنيا مثل قتادة). انتهى.

أَمِثْل هذا يقال في تفسيره وتأويله للآية أنه يتكلف تكلفات باردة!! ومن أجل ماذا من أجل خدمة النصارى في معتقداتهم؟!!.

والأدهى والأمر أن نعلم أن هذا أيضاً هو قول ترجمان القرآن وحبر الأمة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما ففي الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي:
(وَأخرج اسحق بن بشر وَابْن عَسَاكِر من طَرِيق جَوْهَر عَن الضَّحَّاك عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ} يَعْنِي رافعك ثمَّ متوفيك فِي آخر الزَّمَان). انتهى.

فهل من الأدب أن نقول لابن عباس رضي الله تعالى عنه وعن أبيه إن كلامك تكلفات باردة؟!!!.

فرحم الله تعالى علماءنا الذين كانوا يقولون: رأيي خطأ يحتمل الصواب ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب. لا كما يفيده كلام الدكتور: رأيي هو الصواب ورأي غيري تكلفات باردة.

خامساً:

قول الدكتور عدنان: ((والوفاة إذا أُطلقت تنصرف إلى ماذا؟ إلى الموت هذا معروف إذا ما أطلقت في حق الإنسان وما من قرينة زائدة أيها الإخوة فتنصرف إلى الموت توفية الموت [التكرار من الدكتور] {اللَّهُ يَتوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفرِّطُونَ} {حَتَّى يَتوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} هذه هي الوفاة وهذه هي التوفية تنصرف إلى الموت ... اخترعوا معنىً جديداً ثالثاً (!!) لا تعرفه العربية (!!) وأعلنا قبل سنين نتحدى في كل أدبيات العرب شعراً ونثراً أن تأتونا بالتوفية بحيث تعني أن الإنسان يقبض روحاً وبدناً. مستحيل العرب لم تعرف هذا)). انتهى. هو أيضاً كلام مردود بما يلي:

أ/ هذا الكلام بعينه رد عليه الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه "البرهان" فقال رداً على صاحبه:

(وأقول غفل عن أن هذه الآيات التي أوردها قد ذُكر بجانبها ما يصرفها إلى الموت ولولا ذلك لصُرفت إلى معنى آخر من معاني التوفي المتواطئة.

فالآية الأولى [قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ] ذُكر فيها ملك الموت صريحاً.

والآية الثانية [إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ] والثالثة [وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ] ذُكر فيهما الملائكة الذين يحضرون الميت لتبشيره أو تخويفه ويُسمون أعوان ملك الموت.

والآية الرابعة [تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا] حَذف صاحب الفتوى أولها لحاجة في نفسه ونحن نذكرها قال تعالى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} فقد ذُكر فيها الموت صريحاً أيضاً كالآية السادسة [حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ].

والآية الخامسة [وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى] حَذف منها أيضاً قرينة الموت وأصلها هكذا {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى

مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} فذِكرُ التوفي مِن قَبْل بلوغ الأشد والشيخوخة قرينة ظاهرة على أن المراد به الموت.

والآية السابعة [تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ] قرينتها أنها دعاء لأن من المعلوم لكل واحد أن الإنسان يدعو أن يموت على الإسلام إذ العبرة بالخاتمة كما جاء في الحديث الصحيح: (إنما الأعمال بالخواتيم).

وهكذا لا تجد في القرآن آية ذكر فيها التوفي مراداً به الموت إلا وتجد فيها قرينة تدل على ذلك.

وتحقيق المسألة على وجه الإيجاز: أن مادة التوفي موضوعة في اللغة لمعنى واحد: هو قبض الشيء واستيفاؤه.

وهذا المعنى قدر مشترك بين: قبض الروح بالنوم أو الموت وقبض الدَّيْن وقبض الأجر على عمل ما وغير ذلك من المعاني التي يطلق عليها لفظ التوفي.

فهو من قبيل المشترك المعنوي والقاعدة فيه: أنه إذا أُريد فرد معين من أفراده قُيِّد اللفظ بما يدل على ذلك الفرد.

وعلى هذا الأسلوب جاء القرآن الكريم فإنه تارة أراد بالتوفي خصوص الموت فَقَيَّد اللفظ بالقرينة الدالة عليه كالآيات السابقة. وتارة أراد خصوص النوم فقيده أيضاً كقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ} الآية. وقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} الآية. وتارة أراد الأجر والجزاء كقوله تعالى: {ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ} وقوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ}.

فإذا جاء اللفظ مجرداً عن القرينة لم يجز أن يُدَّعَى أن هذا المعنى أظهر فيه من ذاك بل يُحمَل على أصل المعنى الذي هو القدر المشترك ويُترك ما عداه إلى أن يقوم على تعيينه دليل). انتهى.

ب/ وأما قول الدكتور عدنان: ((اخترعوا معنىً جديداً ثالثاً (!!) لا تعرفه العربية (!!) وأعلنا قبل سنين نتحدى في كل أدبيات العرب شعراً ونثراً أن تأتونا بالتوفية بحيث تعني أن الإنسان يقبض روحاً وبدناً. مستحيل العرب لم تعرف هذا)). انتهى. فهو كلام عجيب غريب بل هو من أغرب الغرائب وأعجب

العجائب أولاً لأن هذا القول هو قول من هم أئمة في الدين من جهة وهم أعلم بالعربية منا فهم لم يتعلموها تعلماً كالدكتور عدنان وإنما هي لغتهم ولهجتهم التي نشأوا عليها يتحدثون بها بالسليقة فهم قطعاً أعلم بها من الدكتور عدنان وغيره.

وقد ذكر هذا القول ونسبه لقائليه أبو حيان الأندلسي (المتوفى عام ٧٤٥هـ) في تفسيره البحر المحيط فقال:

(وقيل: متوفيك: قابضك من الأرض من غير موت. قاله الحسن، والضحاك، وابن زيد، وابن جريج، ومطر الوراق، ومحمد بن جعفر بن الزبير. مِن: تَوفَّيتُ مالي على فلان إذا استوفيته). انتهى.

وأبو حيان هذا هو نحوي عصره ولغويه كما قاله الجلال السيوطي في كتابه "حسن المحاضرة". بل قال عنه التاج السبكي الصغير (المتوفى عام ٧٧١هـ) في كتابه "طبقات الشافعية الكبرى": (**شيخ النُّحَاة** الْعَلَم الْفَرد وَالْبَحْر الَّذِي لم يعرف الجزر بل الْمَدّ. **سِيبَوَيْه الزَّمَان** والمبرد إِذا حمي الْوَطِيس بتشاجر الأقران. **وَإِمَام النَّحْو** الَّذِي لقاصده مِنْهُ مَا يَشَاء. **ولسان الْعَرَب** الَّذِي لكل سمع لَدَيْهِ الإصغاء. **كعبة علم** تُحج وَلَا تَحج ويُقصد من كل فج). انتهى. فهو إذاً من أساطين اللغة العربية.

فلو كان هذا القول مخترعاً حقاً ولا تعرفه العربية لأنكره أبو حيان الذي هو سيبويه زمانه وشيخ النحاة ولسان العرب وكعبة العلم.

وكيف ينكره وهو صادر من أهل اللغة نفسها؟!!.

فقد تبين أنه قول سيد التابعين في زمانه الحسن البصري (المتوفى عام ١١٠هـ) الذي ترجمه الزركلي (المتوفى عام ١٣٩٦هـ) في كتابه "الأعلام" بقوله:

(الحسن بن يسار البصري أبو سعيد: تابعي كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء **الفصحاء** الشجعان النساك. وُلد بالمدينة وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب. واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية. وسكن البصرة وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري **أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء** وأقربهم هدياً من الصحابة. **وكان غاية في الفصاحة** تتصبب الحكمة من فيه). انتهى.

هذا من جهة وثانياً من جهة أخرى فإن في الأدبيات العربية ما يشهد لصحة هذا التأويل من حيث اللغة ومن ذلك ما ذكره أبو حيان في كلامه آنف الذكر: (من: **تَوفَّيتُ مالي** على فلان إذا استوفيته). انتهى. فتوفيت مالي بمعنى قبضته وافياً كاملاً وكذلك توفى الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام فقبضه إليه وافياً كاملاً بجسده وروحه.

ويقول أبو منصور الأزهري الهروي أحد الأئمة في اللغة والأدب (المتوفى عام ٣٧٠هـ) في كتابه "تهذيب اللغة" وهو من مشاهير أوائل معاجم اللغة العربية:

(والوفاة: المنية. وتوفي فلان وتوفاه الله إذا قبض نفسه. وقال غيره: توفي الميت بمعنى: استيفاء مدته التي كتبت من عدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا. ويقال: **توفيت المال** منه واستوفيته إذا أخذته كله. **وتوفيت عدد القوم** إذا عددتهم كلهم.

وأنشد أبو عبيدة لمنظور الوبري:

إن بني الأدرم ليسوا من أحد

ولا **توفاهم** قريش في العدد

أي: لا تجعلهم قريش تمام عددهم ولا تستوفي بهم عددهم.

ومن هذا قول الله جل وعز: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [الزمر:٤٢]. أي: يستوفي مدد آجالهم في الدنيا. وقيل: يستوفي تمام عددهم إلى يوم القيامة.

وأما توفي النائم فهو استيفاء وقت عقله وتمييزه إلى أن نام. وقال الزجاج في قوله تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} [السجدة:١١]. هو من: توفية العدد. تأويله: أن يقبض أرواحكم أجمعين فلا ينقص واحد منكم. كما تقول: قد استوفيت من فلان وتوفيت منه ما لي عليه. تأويله: لم يبق عليه شيء). انتهى.

وفي أدبيات العرب الشعرية جاء التوفي بغير معنى الموت ومن أمثلة ذلك إضافة للبيت السابق لأبي عبيدة ما يلي:

قال الشاعر الصحابي الزبرقان بن بدر (المتوفى عام ٤٥هـ):

وَمِنْ رَهْطِ كَنادِ **تَوَفَّيْتُ ذِمَّتي** ** وَلَمْ يَثْنِ سَيْفِي نَبْحُها وَهَرِيرُها

وقالت الشاعرة البكرية العدنانية الخرنق بنت بدر (المتوفاة عام ٥٠ ق.هـ) وهي من الشهيرات في الجاهلية وأخت طرفة بن العبد لأمه:

عَدَدنا لَهُ خَمساً وَعِشرينَ حجَّةً ** فَلَمّا **تَوَفّاها** اِستَوى سَيِّداً ضَخما

وقال الشاعر أعشى همدان (المتوفى عام ٨٣ هـ) وهو من شعراء الدولة الأموية وأحد الفقهاء القراء:

وَفي أَربعينَ **توَفَّيْتُها** ** وعَشرٍ مَضَتْ لي مُسْتَبْصَرُ

وفي صحيح الإمام مسلم:

(وحَدَّثَنِي أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ حَدَّثَنَا حَمَّادٌ حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: (لَمَّا أَتَى عَلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَقَدْ أَعْيَا بَعِيرِي قَالَ: فَنَخَسَهُ، فَوَثَبَ فَكُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْبِسُ خِطَامَهُ لِأَسْمَعَ حَدِيثَهُ، فَمَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: بِعْنِيهِ، فَبِعْتُهُ مِنْهُ بِخَمْسِ أَوَاقٍ، قَالَ: قُلْتُ: عَلَى أَنَّ لِي ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: وَلَكَ ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ أَتَيْتُهُ بِهِ، فَزَادَنِي وُقِيَّةً ثُمَّ وَهَبَهُ لِي). حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاق حَدَّثَنَا بَشِيرُ بْنُ عُقْبَةَ عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَافَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ أَظُنُّهُ، قَالَ: غَازِيًا وَاقْتَصَّ الْحَدِيثَ وَزَادَ فِيهِ قَالَ: (يَا جَابِرُ **أَتَوَفَّيْتَ الثَّمَنَ؟**) قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: (لَكَ الثَّمَنُ وَلَكَ الْجَمَلُ لَكَ الثَّمَنُ وَلَكَ الْجَمَلُ)). انتهى.

فهل اخترع النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين معنى جديداً للتوفي لا تعرفه العربية؟!!!!.

ومن الطريف واللطيف ذكره استئناساً أننا لو فتحنا المصحف الشريف على الآية ٥٥ من سورة آل عمران والتي قال تعالى فيها لعبده ونبيه عيسى عليه السلام: {إِنِّي **مُتَوَفِّيكَ**} لوجدنا في نفس الصفحة من المصحف بعد آيتين فقط من هذه الآية وتحديداً الآية رقم ٥٧ قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ **فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ**} وكأنها إشارة ربانية وتذكير وتنبيه رباني إلى أن التوفية والتوفي والوفاة معناها الأصلي هو المعنى اللغوي وهو الاستيفاء وكأنها إشارة إلى أن معنى قوله تعالى لعبده ونبيه عيسى

عليه السلام: {إِنِّي **مُتَوَفِّيكَ**} أي إني مستوفٍ أجلك في آخر الزمان ومستوفيك بروحك وبدنك الآن إلى السماء مستوفٍ بذلك أيامك على الأرض إلى أجل مسمى إلى حين ميعاد عودك إليها ثانية في آخر الزمان. فسبحان الذي قال وقوله الحق: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد:٢٤]. صدق الله العظيم.

وبعد كل هذا فإنه لا يلتفت لقول الدكتور عدنان ولا لقول ابن عاشور الذي نقل كلامه الدكتور عدنان ولا لقول غيرهما من أبناء العصر الحديث في أن التوفي بمعنى القبض والأخذ الوافي والكامل هو معنى مخترع لا تعرفه العربية.

وبعد ذلك أيضاً فإنه من الطريف قول الدكتور عدنان: ((وأعلنا قبل سنين نتحدى في كل أدبيات العرب شعراً ونثراً أن تأتونا بالتوفية بحيث تعني أن الإنسان يقبض روحاً وبدناً)). انتهى. فقبض الإنسان روحاً وبدناً خاص بعيسى عليه السلام وحده من دون كل البشر فلا يوجد إنسان غيره أصلاً قبض روحاً وبدناً حتى يطالب الدكتور عدنان أو غيره بورود هذا المعنى في حق الإنسان في كل أدبيات العرب شعراً ونثراً؟!!!.

فكيف يمكن أن يرد هذا المعنى في غير القرآن في كل أدبيات العرب شعراً ونثراً وهو لم يتحقق إلا في حق عيسى عليه السلام وحده فقط ولم نعلم به إلا بعد نزول القرآن؟!!!. فأي منطق بعد هذا في تحدي الدكتور عدنان؟!!!.

فمن الطبيعي أن لا يكون هذا المعنى مذكوراً إلا في القرآن الكريم فقط فإنكار هذا المعنى بعد ذلك لعدم وروده في كل أدبيات العرب أشبه بأن ننكر أن التوفي من معانيه التوفي بالنوم ونتحدى أن يأتي أحد في كل أدبيات العرب شعراً ونثراً أن يأتينا بالتوفي بحيث يعني توفي النوم!!.

ج/ إن قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمر:٤٢]. مع قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأنعام:٦٠]. يفند كلام الدكتور عدنان وينسفه نسفاً إذا ما فهمنا وجه العلاقة بين وفاة الأنفس حين الموت ووفاة الأنفس حين النوم.

فالقاسم المشترك بين الوفاة للأنفس حين الموت والوفاة للأنفس حين النوم هو القبض والأخذ حيث يقبض الله الأرواح إليه حين الموت وحين النوم فيمسك الله تعالى عنده أرواح التي قضى عليها الموت واستكملت أجلها فلا يردها لأجسادها فيحدث الموت ويرسل أرواح الأنفس التي لم تستكمل أجلها فيردها لأجسادها لتستكمل أجلها فيحدث الاستيقاظ من النوم.

فالله تعالى يقبض نَفْسَ النائم ويردها عليه ويقبض نَفْسَ الميت ويمنعها من الرد عليه. وفي حالة الموت يكون القبض مقترناً باستيفاء الأجل ومن هنا جاء معنى الوفاة وحدوث التوفي. وفي حالة النوم يكون القبض مقترناً باستيفاء التصرف واستيفاء العمل فقط دون استيفاء الأجل فيبقى معنى الوفاة والتوفي قائماً.

مع ملاحظة أن قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} يؤكد أن يتوفى ليس بمعنى يميت وإلا صارت الآية: الله يميت الأنفس حين موتها ويميت التي لم تمت في منامها !!. وهذا واضح السقوط. والمعنى الصائب ليتوفى هنا أي يقبض فهي دليل على معنى الوفاة أي القبض لا الموت والله تعالى أعلم.

وبهذا يتبين أن الوفاة ما هي إلا المعنى اللغوي وهو القبض والأخذ الوافي ولهذا يُقال توفيتُ مالي من فلان إذا قبضته وأخذته وافياً كما مر. فتكون الوفاة بالموت قبض الروح وافية مستوفية أجلها وتكون الوفاة بالنوم قبض النفس وافية مستوفية التصرف والعمل إلى أجل مسمى وهو حين استيقاظه ليستأنف حياته الطبيعية.

وعليه يكون تفسير الوفاة في حق عيسى عليه السلام هو بنفس المعنى اللغوي السابق لا يخرج عنه مستحدثاً معنى جديداً في اللغة كما قال الدكتور عدنان فتكون وفاة عيسى على هذا المعنى قبضه وافياً بروحه وجسده مستوفياً التصرف والعمل على هذه الأرض إلى أجل مسمى وهو حين نزوله وعودته ثانية للأرض.

د/ العجيب هو إصرار الدكتور عدنان هنا أن التوفي هنا في هذه الآية يصرف إلى أصله وهو الموت لأن الوفاة إذا أطلقت تنصرف إلى الموت على حد كلام الدكتور عدنان [وسبق الرد على هذا] في حين أنه عندما تحدث عن معنى الرفع المذكور في نفس الآية عند قوله تعالى: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} فإنه ناقض نفسه

وأولّ الرفع إلى الرفع المعنوي رفع المكانة مع أنه على قاعدته فإن الرفع إذا أطلق فينبغي أن لا يصرف إلا إلى أصله وهو الرفع الحسي المكاني من مكان منخفض إلى مكان مرتفع.

والفرق الجوهري بين تأويل الدكتور عدنان وفريقه لمعنى الرفع في الآية وبين تأويل القائلين بالرفع لمعنى الوفاة فيها أن الأحاديث المتواترة تقف مع تأويل الوفاة إلى المعنى اللغوي وتوجب صرفها إلى هذا المعنى دون الموت الحقيقي على نحو ما سبق في حين أن هذه الأحاديث المتواترة نفسها تتعارض مع تأويل الدكتور عدنان وفريقه للرفع إلى المعنى المجازي المعنوي فهي تثبت الرفع الحقيقي الظاهري إلى السماء وتوجب صرف اللفظ إليه {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

سادساً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((قالوا التوفية ليس بمعنى الموت وطبعاً ليس بمعنى النوم)). انتهى. يوحي أن المفسرين متفقين على عدم القول بوفاة النوم وهذا غير صحيح فهناك من المفسرين من ذهب في تأويل الآية إلى القول بوفاة النوم وهو ما ذهب إليه الربيع بن أنس وفسر قوله إني متوفيك في الآية بمعنى إني منيمك ورافعك إلي في نومك استشهاداً بقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ} أى ينيمكم. واستشهاداً أيضاً بقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ} الآية. كما هو مسطور في كتب التفسير.

على أن الصحيح كما قاله القرطبي في تفسيره هو القول برفع عيسى عليه السلام إلى السماء حياً بلا وفاة نوم ولا وفاة موت لما دلت عليه الأحاديث المتواترة والقرآن قبل ذلك على ما سيأتي معنا بإذن الله تعالى من أنه عليه السلام لم يمت بل رفعه الله تعالى إليه ونجاه من كيد ومكر اليهود الذين أرادوا قتله. ولأنه لما كان النوم أخو الموت كما في الحديث وقد نفى القرآن وكذلك الأحاديث عن عيسى عليه السلام الموت كان الراجح أنه رفع حياً بلا نوم أيضاً والله تعالى أعلم.

سابعاً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((شيء عجيب جداً. تكلفات باردة من أجل ماذا؟! من أجل أن تصح عقيدة هي من أسس الإعتقاد النصراني. وِيل ديورانت بعد أن تحدث عن المسيح وعن القيامة وعن الصعود وبعدين عن عقيدة الرجعة والعهد المليوني العهد الألفي يعني ميللينيوم الألفي السعيد قال: ولولا عقيدة رجعة أو عودة عيسى ما قامت المسيحية. هذا من أعظم أسس الديانة النصرانية أن تعتقد أنه سيعود. قالّك وأنتم تعتقدون ذلك ليس محمدهم هو الذي سيعود قال عيسى يسوع هو الذي سيعود وليس محمد. محمد

المرسل رحمة للعالمين ليس محمد هو الذي يعم دينه العالمين يسوع حين يعود يعم دينه العالمين حتى وإن زعمتم أنه دين محمد لكن يسوع وليس محمد ..وليس .. انتبهوا ما شاء الله هذه عقائد جيدة تخدم الإسلام وتخدم القرآن وتخدم قرارات اعتقادنا. لا لا لا. تخدم أعظم ما خدمت به النصرانية أعظم ما خدمت به النصرانية)). انتهى. فهو كلام متناقض ينقض آخرُه أولَه.

فالدكتور يبدأ كلامه بأن عقيدة المسلمين في عودة المسيح عليه السلام تتوافق مع ما يعتقده النصارى ثم يستدل بكلام ويل ديورانت الذي يثبت اختلاف النصارى جوهرياً فيما يعتقدونه في هذه المسألة مع ما يعتقده المسلمون حيث يؤكد ديورانت أن عودة عيسى أو يسوع كما يسمونه سيعود ليعم دينه هو العالمين لا دين الإسلام. أي دين النصارى هو الذي سيعم العالمين. ثم يؤكد ديورانت على هذا الخلاف الجوهري بينهم كنصارى وبيننا كمسلمين بقوله كما ينقله الدكتور عدنان: (حتى وإن زعمتم أنه دين محمد). أي أننا نحن النصارى نعتقد خلاف ما تزعمونه يا مسلمون من أن الدين الذي سيعم هو دين نبيكم [سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين] بل نعتقد أن الدين الذي سيسود ويعم العالمين هو دين يسوع.

وشتان بين الاعتقادين اعتقاد يعتقد ألوهية المسيح عليه السلام وأنه سيترل آخر الزمان رباً وإلهاً يحكم بدين التثليث دين النصارى المحرَّف واعتقاد يعتقد ببشرية المسيح عليه السلام وأنه سيترل آخر الزمان ليرد على النصارى تثليثهم وتحريفهم لما جاء به المسيح مؤكداً على أنه عبد الله وحاكماً بدين خاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

فالعجيب أنه يستدل على دعواه هذه بكلام ديورانت رغم أنه يذكره في سياق الرد على المسلمين ودعواهم أن دين الإسلام هو الذي سيعم العالمين عند عودة المسيح عليه السلام فهو يرد علينا ولا يستشهد بعقيدتنا فلماذا إذاً يرد علينا وعلى عقيدتنا ديورانت إذا كانت هذه العقيدة تخدم عقيدته؟!!.

فكيف يقال بعد ذلك أن عقيدة عودة المسيح عند المسلمين تخدم أعظم ما خدمت به النصرانية على حد تعبير الدكتور عدنان رغم أنهما عقيدتان متضادتان بتأكيد ديورانت الذي يستشهد بكلامه الدكتور عدنان؟!!.

وأما كون الذي سيأتي آخر الزمان هو عيسى عليه السلام وهو نبي النصارى وليس هو نبينا سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فهذا أدعى لإثبات صحة دين الإسلام وإقامة الحجة بذلك على النصارى لأن الذي سيقر بذلك هو نبيهم نفسه الذين يزعمون اتباعه. فتكون شهادته عليه السلام بذلك عند عودته على غرار وشهد شاهد من أهلها. فهي بذلك أعظم خدمة وأقوى حجة بلا ريب لدين الإسلام وأنه دين الحق لا دين التثليث دين النصارى المحرف.

وإذا سلمنا أن مجرد عقيدة عودة المسيح عليه السلام في آخر الزمان رغم اختلاف السبب الذي سيأتي من أجله والدين الذي سيأتي به هو خدمة للنصرانية بل أعظم خدمة تخدم النصرانية فمن باب أولى أن تكون عقيدة المسلمين أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً أدعى أن يقال فيها أنها تخدم أعظم ما خدمت به النصرانية أعظم مما تخدمه به عقيدة عودة المسيح عليه السلام لأن دين النصارى على ما هو عليه الآن قائم في الحقيقة على عقيدة ألوهية المسيح لا على عودته. وأعظم ما يخدم ذلك هو موافقتهم في اعتقاد إحيائه للموتى لأن ذلك بحسب اعتقاد النصارى وزعمهم لا يكون إلا لمن كان إلهاً بزعمهم فهذه الخوارق والتسليم بها يدعم شبهة ربوبية المسيح عند النصارى وهم يستغلونها في إثبات عقيدهم الباطلة.

فهذا أدعى بحسب منهج الدكتور عدنان أن ننفي أيضاً هذه الخوارق عن عيسى عليه السلام ونؤول ما جاء فيها في القرآن كما فعل المتنبئ القادياني الكذاب فنؤول إحياء الموتى على سبيل المثال بأنه إحياء القلوب الميتة الغافلة عن الله وعن حقيقته وعن حقيقة بشرية عيسى عليه السلام حتى لا تتوافق عقيدتنا مع عقيدة النصارى وحتى لا تخدم شبهة الربوبية عندهم!!!.

فما يمكن أن يَرُدَّ به الدكتور عدنان على هذه النقطة هو ما يُرَدُّ به على كلامه سواء بسواء.

هذا من جهة ومن جهة أخرى وإذا كان من المعلوم أن القرآن الكريم حرص على دحض انحرافات النصارى وتحريفاتهم لدين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ودحض كذبهم وما افتروه في معتقداتهم الباطلة ودينهم المحرف فنفى القرآن عقيدة ألوهية المسيح ونفى عقيدة التثليث ونفى عقيدة الصلب فالسؤال الذهبي والجوهري الآن للدكتور عدنان ومن يوافقه هو: طالما أنه لولا هذه العقيدة عقيدة رجعة أو عودة عيسى عليه السلام لما قامت المسيحية بحسب كلام ديورانت الذي نقله الدكتور عدنان مستشهداً به

فلماذا القرآن لم ينف في المقابل هذه العقيدة عقيدة رجعة أو عودة عيسى لو كانت عقيدة باطلة وكاذبة نفياً صريحاً مباشراً مثلما نفى عقيدة ألوهية المسيح وصلبه؟!!!.

والذي لا مفر منه أن هذا يؤكد جلياً على أن هذا الجزء من اعتقاد النصارى بعودة المسيح في آخر الزمان وأنه الآن حي في السماء إلى حين عودته ورجعته هو اعتقاد صحيح موافق للحق. والقرآنُ مُقرٌّ له مثل إقراره لاعتقادهم في المسيح أنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيصير طيراً. وأن الباطل والكذب فيما يعتقده النصارى هو فقط ما أنكره وبَيَّن كذبه القرآن من اعتقاد ألوهية المسيح وأنه قُتل وصُلب وأنه سيعود رباً وإلهاً ينصر عقيدة التثليث الباطلة.

وبهذا يظهر جلياً للأعمى قبل كل ذي عينين سليمتين أن كلام الدكتور عدنان واستشهاده بكلام ديورانت هو الأحرى بأن يوصف بقوله ((شيء عجيب جداً. تكلفات باردة)).

٨/ قال الدكتور متابعاً ذكر أدلة القائلين بعودة المسيح عليه السلام في الدقيقة [٢٠:٥٧ – ٢٤:١٨]:
((أيضاً من أقوى وأظهر ما استدلوا به قول الحق سبحانه وتعالى في سورة النساء: {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} مرة أخرى صرح بأنه رفعه إليه إذاً هو مرفوع ونأخذها قالوا على وجهها مرفوع روحاً وبدناً إلى السماء الثانية على حسب اعتقاد المسلمين في حديث المعراج. {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}. {وَإِنْ مِنْ} إن هنا نافية بمعنى ما. ما من أحد {مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا} وفيها قسم {لَيُؤْمِنَنَّ} لام القسم هنا. الله يقسم. يقسم على إيمان هذا الكتابي هذه لام القسم {إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} قالوا اختلف العلماء في مرجع الضمير طبعاً {إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} هنا القول تقريبا الذي تسالم عليه معظم المفسرين عبر الأعصار المتعاقبة الضمير المجرور {إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} أي بعيسى {قَبْلَ مَوْتِهِ} اختلف هنا المفسرون منهم من قال {قَبْلَ مَوْتِهِ} أي قبل موت عيسى وهذا يساعد الذين يعتقدون بعقيدة رجعة عيسى وعودة عيسى. {قَبْلَ مَوْتِهِ} أي قبل موت عيسى. عجيب أهل الكتاب أكثرهم كفرة به كيف يؤمنون به؟ قالّك حين يعود لأنه سيعود فلا يبقى كتابي إلا آمن به وهكذا هي العقيدة النصرانية وهكذا هي العقيدة اليهودية لكن ليس في المسيح عيسى ابن مريم إنما في مسيحهم أيها الإخوة. عودوا إلى الإصحاح الحادي عشر من سفر أشعياء من سفر أشعياء [التكرار من الدكتور] من واحد إلى عشرة

ستقرؤون عقيدة اليهود في المسيح النتظر وعودته كيف يعود. يعود أيها الإخوة يتسالم البشر بل الكائنات كلها على وجه البسيطة على وجه الأرض فلا يسوؤون ولا يسيئون ولا يجرمون أيها الإخوة والأخوات بل يكون معرفة الرب في قلب كل الناس كالماء في البحر. يعني الدين واحد والمسيحيون يقولون بهذا والمسلمون للأسف ينسبون إلى الرسول أنه قال هذا. تكون الملة ملة واحدة والقرآن يكذب هذا تماماً {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} القرآن يقول سنن إلهية ستقوم الساعة والناس مختلفون. لن يأتي يوم. لم يمر يوم ولن يأتي يوم يتطابق الناس فيه كلهم على عقيدة واحدة لا على سبيل الاقتناع ولا على سبيل الإكراه والإلجاء أيها الإخوة أو حتى على سبيل آخر تتدخل فيه يد الغيب بأن تميت كل غير الموحدين وغير المسلمين كما تقول الأحاديث عن أبي هريرة وكما يقول سفر أشعياء وسوف أقف بكم على هذه المسألة)).

<u>الرد:</u>

<u>أولاً:</u>

إن الآية التي ذكرها الدكتور عدنان واصفاً إياها بأنها من أقوى وأظهر ما استدل به القائلون بعقيدة الرفع والنزول والعودة الثانية للمسيح عيسى عليه السلام هي فعلاً كذلك **<u>فهي آية صريحة قطعية تكفي وحدها للاعتقاد الجازم بأن الله تعالى قد أنجى نبيه عيسى عليه السلام من مكر اليهود ومحاولتهم النيل منه وقتله وصلبه وأن الله تعالى لم يُمَكّنْهم من ذلك بل رفعه من بين أيديهم إليه إلى سمائه وموضع كرامته وضيافته إلى حين يأذن بنزوله ثانية إلى الأرض</u>** فيؤمن به حينها أهل الكتاب جميعاً من اليهود ومن النصارى بعد أن يقتل المسيح الكذاب الذي ينتحل شخصيته ويوهم أتباعه أنه المسيح الموعود وبمجرد نزول المسيح الحق عيسى ابن مريم عليه السلام وقتله للدجال سيؤمن به حينها أهل الكتاب ويصبح الدين واحداً وهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للناس جميعاً وهو دين الإسلام.

فالآية وحدها صريحة في ذلك فكيف وقد أيدتها ودعمتها الأحاديث التي تواترت على نفس المعنى ونفس المضمون؟! وأكد على ذلك الإجماع على هذا المعنى وهذا المضمون وهذا كله أدعى لاعتبار أي تأويل للآية على غير ظاهرها الجلي والصريح أحرى أن يقال فيه أنه تكلفات باردة وتأويلات لا معنى لها. وسيأتي معنا لاحقاً بإذن الله تعالى بيان ذلك في حينه.

ثانياً وأخيراً:

وأما اعتراض الدكتور عدنان على ما جاء من أن الملة ستكون في عهد عيسى عليه السلام بعد نزوله في آخر الزمان ملة واحدة بقوله: ((والقرآن يكذب هذا تماماً {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} القرآن يقول سنن إلهية ستقوم الساعة والناس مختلفون. لن يأتي يوم. لم يمر يوم ولن يأتي يوم يتطابق الناس فيه كلهم على عقيدة واحدة لا على سبيل الاقتناع ولا على سبيل الإكراه والإلجاء أيها الإخوة أو حتى على سبيل آخر تتدخل فيه يد الغيب بأن تميت كل غير الموحدين وغير المسلمين كما تقول الأحاديث عن أبي هريرة وكما يقول سفر أشعياء)). انتهى. فهو اعتراض متهافت وسقطة عجيبة من الدكتور عدنان.

فهو يستدل على أنه لن يأتي يوم يتطابق فيه الناس كلهم على عقيدة واحدة بقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * **إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ** وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود:١١٨،١١٩]. مع أن الآية صريحة في عكس مراده فهي لم تقل الناس كلهم لا يزالون مختلفين بل استثنت من هذه القاعدة بعض من لن ينطبق عليهم قانون وسنة الاختلاف بقوله تعالى {**إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**} أي أن هناك من سيرحمهم الله تعالى وينجيهم من الاختلاف وعليه فإن التسليم بأن الناس في عهد عيسى عليه السلام عند عودته في آخر الزمان سيكونون على ملة واحدة لا يختلفون عليها لا يتعارض مع الآية لأنهم سيكونون حينها من هذه الفئة التي استثناها الله عز وجل وهي فئة {**إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**} فهؤلاء إذاً هم ممن رحمهم الله تعالى من الاختلاف وذلك بنزول عيسى عليه السلام موحداً لهم وهادياً ومجتثاً لأسباب الفرقة والاختلاف في الدين لأن نزوله وعودته وحدها فضلاً عن قتله الدجال آية لا تملك لها الأعناق إلا أن تخضع وتؤمن وتسلم لرب العالمين وتدين بالإسلام دين الحق والصدق.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فمن العجب العجاب قول الدكتور عدنان: ((لم يمر يوم ولن يأتي يوم يتطابق الناس فيه كلهم على عقيدة واحدة ... حتى على سبيل آخر تتدخل فيه يد الغيب بأن تميت كل غير الموحدين وغير المسلمين)). انتهى مختصراً. إذ كيف غفل الدكتور عدنان عن أن **هذا قد حدث بالفعل في الماضي في قصة طوفان نوح عليه السلام** الذي أغرق كل من على الأرض من الكافرين و لم يبق طيلة فترة الطوفان إلا نوح عليه السلام ومن آمن معه على ظهر السفينة فها هو مثال حي فيما مضى تدخلت فيه يد الغيب بأن تميت كل غير الموحدين بما فيهم ابن نوح كما قال تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا

عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ **إِلَّا مَنْ رَحِمَ** وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} [هود:٤٢،٤٣]. فكان نوح عليه السلام ومن آمن معه في السفينة من فئة {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ}.

واللافت للنظر أن قصة طوفان نوح عليه الصلاة والسلام هذه وقول نوح عليه السلام آنف الذكر: {لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ **إِلَّا مَنْ رَحِمَ**} قد جاء في نفس السورة سورة هود التي جاء فيها قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * **إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**}.

وهكذا يتبين معنا جلياً أن قول الدكتور عدنان: ((لم يمر يوم ولن يأتي يوم يتطابق الناس فيه كلهم على عقيدة واحدة)) هو الكلام الذي يكذبه القرآن تماماً لا ما جاء في الأحاديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين.

٩/ قال الدكتور واصفاً بعض أحاديث الصحيحين بأنها أحاديث خرافية وكذب في الدقيقة [٢٩:٠٥ – ٣١:٤١]:

((واحد يقولي يا أخي اربأ على ظنك يا أخي اتق الله جننتنا أنت تصف حديثاً في الصحيحين بأنه خرافي وكذب. نعم. نعم سأقف بكم اليوم واذهبوا وتحدوا بهذا من شئتم أحاديث كذب واضح أنها كذب وهي في الصحيحين بالله عليكم بالله عليكم وعليكن وكل من بلغه هذا الكلام أو سمعه هل تعتقدون أن النبي فعلاً أجاب بهذا الجواب عن ذاكم السؤال واسمعوا النبأ وله علاقة بموضوعنا: روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس بن مالك طبعاً بن قوسين واحد يقولك شوف بنتقد البخاري ومسلم ويسكت عن الشيعة لا أسكت لا أسكت لا عن الشيعة ولا عن السنة الشيعة لديهم مثل هذا يا إخواني الكثير الكثير وهم يعتقدون بالدجال وبالمهدي وبعودة عيسى عقيدة كعقيدة أهل السنة وأقوى لأن المسائل مترابطة عندهم كما هي مترابطة لدينا المهدي والدجال وعيسى. جريمة أن تنكر هذه العقيدة. عقيدة. نفس الشيء ما أقوله هنا أقوله هناك نفس الشيء. على كل حال اسمعوا لهذا الحديث المخرج في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين قال: سأل رجل الرسول عليه الصلاة وأفضل السلام يا رسول الله متى الساعة؟ متى الساعة متى القيامة. فنظر عليه الصلاة وأفضل السلام إلى غلام صغير منهم من أزد شنوءة القبيلة هذه المشهورة فقال: إنْ عُمِّرَ هذا .. إنْ الله كَتَبْلُه عُمْر .. لم يدركه الهَرَم حتى تقوم الساعة. معناها النبي يقطع بأن الساعة ستقوم في أقل ربما من تسعين سنة. هذا غلام ابن عشر سنوات ابن بضع عشرة سنة إنْ عُمِّر وكان له عمر لن يدركه الهَرَم قبل أن يهرم تقوم الساعة. عجيب يا رسول الله أنت قلت هذا. والله يا والله العظيم يقشعر قلبي من الداخل أقسم بالله العظيم. لكن طبعاً اذهبوا إلى الشراح عاد

إلى ابن رجب وفتح الباري وسوف ترون التكلفات الباردة التي لا معنى لها النبي أفصح من نطق بالضاد وحديثه واضح يقول قبل أن يموت هذا قبل أن يهرم هذا الساعة تقوم. صحيح يا رسول الله أنت قلت هذا. والله حاشاه والله الذي لا إله إلا هو حاشاه لأنه هو الذي بلغنا قول الله تعالى {ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً} {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا} ويقولون يا عدنان تشكك في الصحاح أنا لا أريد من يشكك في قرآني في ديني يا أخي)).

الرد:

أولاً:

إن الدور الحقيقي للعلماء المحققين هو أنهم إذا مروا بحديث مشكل فإنهم يبذلوا أقصى جهدهم وأقصى ما في وسعهم لتجميع روايات الحديث المختلفة بل وكل ما يتعلق بموضوع الرواية من نصوص لكي يصلوا إلى ما يحل الإشكال أو يعطي احتمالات تصلح لأن تكون موضحة أو مفسرة للحديث موضع الإشكال ولا يرضون برد الحديث بمجرد استشكال فيه دون بذل الجهد والوسع وبذل الطاقة وإعمال العقل في محاولة إيجاد التأويل المناسب وهو ما لا يقدر عليه إلا العلماء المهرة.

أما رد الحديث من البداية جملة وتفصيلاً لوجود إشكال فيه أو في جزء منه فهذا يحسنه كل أحد لأنه لا جهد فيه ولا عناء وليس هو من التحقيق العلمي والمهارة الفكرية في شيء خاصة عند ورود الحديث برواية الثقات ثقة عن ثقة أو وروده بعدة طرق مختلفة تقوي بعضها بعضاً فرد الحديث في هذه الحالة إن كان فيه حل الإشكال القائم في أصل الحديث فهو يطرح إشكالاً أصعب يصعب على العقل قبوله إذ يصعب تصور تواطئ عدة رواة مختلفين على اختلاق نفس الكذبة.

ثانياً:

القصة التي في الحديث المشار إليه لها عدة روايات متقاربة منها ما رواه البخاري في صحيحه قال:
(حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن أنس: أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله **متى الساعة قائمة؟** قال: (ويلك وما أعددت لها؟) قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله. قال: (إنك مع من أحببت) فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: (نعم). ففرحنا يومئذ فرحاً

شديداً فمر غلام للمغيرة وكان من أقراني فقال: (إن أُخِّر هذا فلن يدركه الهرم **حتى تقوم الساعة**)). انتهى.

ومنها ما رواه الإمام مسلم في صحيحه قال:
(وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يونس بن محمد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: **متى تقوم الساعة؟** وعنده غلام من الأنصار يقال له محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن يَعِش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم **حتى تقوم الساعة**).

وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد يعني ابن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزي عن أنس بن مالك أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال: **متى تقوم الساعة؟** قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيهة ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال: (إِنْ عُمِّر هذا لم يدركه الهرم **حتى تقوم الساعة**) قال: قال أنس: ذاك الغلام من أترابي يومئذ). انتهى.

والاستشكال الذي استشكله الدكتور عدنان من هذا الحديث يزول إذا علمنا أن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها قد وضحت وشرحت وحلت ما في هذا الحديث من إشكال وذلك في حديثها الذي في صحيحي البخاري ومسلم.

فقد قال البخاري في صحيحه:
(حدثني صدقة أخبرنا عبدة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه: **متى الساعة؟** فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: (إِنْ يعش هذا لا يدركه الهرم **حتى تقوم عليكم ساعتكم**). **قال هشام: يعني موتهم**). انتهى.

وهذه الرواية وضحت أن القصة الواردة في الحديث الذي استشكله الدكتور عدنان صحيحة من حيث الأصل وأن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين قد أجاب السائل عن الساعة بالإشارة إلى أصغر الحاضرين مبيناً أنه لن يبلغه الهرم **حتى تقوم على السائل ساعته لأنه حتماً سيكون في عداد الأموات ومن مات فقد قامت قيامته وجاءته ساعته.**

وبذلك انحل إشكال عدم قيام الساعة إلى الآن كما في ظاهر رواية البخاري **لأن المقصود من الساعة ليس هو قيام الساعة المعهودة بل ساعة الحاضرين من الصحابة ومعهم السائل وذلك بموتهم وهو ما يتأكد من خلال الرواية التي عند أبي يعلى في مسنده.**

فقد روى أبو يعلى في مسنده قال:
(حدثنا هدبة بن خالد حدثنا مبارك قال سمعت الحسن عن أنس أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: **متى الساعة؟** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما إنها قائمة فماذا أعددت لها؟) قال: ما أعددت لها كبيراً إلا أني أحب الله ورسوله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فأنت مع من أحببت ولك ما احتسبت). ثم قال: (**تسألوني عن الساعة!** والذي نفسي بيده **ما على الأرض نفس منفوسة اليوم تأتي عليها مئة سنة**). قال: فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (**أين السائل عن الساعة؟**) فجيء بالرجل ترعد فرائصه فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غلام من دوس يقال له سعد فقال: (إن يعش هذا لا يهرم **حتى تقوم الساعة**) قال أنس: وأنا يومئذ قدر الغلام). انتهى.

وشبيه بهذه الرواية ما رواه مسلم في صحيحه قال:
(حدثني هارون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر قالا حدثنا حجاج بن محمد قال قال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت بشهر: (**تسألوني عن الساعة** وإنما علمها عند الله وأقسم بالله **ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة**). انتهى.

وفي رواية أخرى رواها أيضاً أبو يعلى في مسنده:
(حدثنا سفيان بن وكيع بن الجراح حدثنا أبي عن جدي عن قيس بن وهب الهمداني: عن أنس بن مالك قال: كان أجرأ الناس على مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب أتاه أعرابي فقال: يا رسول الله **متى الساعة؟** فلم يجبه حتى أتى المسجد فصلى فأخف الصلاة ثم أقبل على الأعرابي وقال: **أين السائل عن الساعة؟** ومرّ سعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنْ هذا عُمِّر حتى يأكل عمره **لم يبق منكم عين تطرف**). انتهى.

وعليه فلا ينبغي المجازفة برد حديث منسوب للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين بمجرد استشكال فيه حتى يتم تجميع جميع روايات الحديث فما قد يُشكل في رواية

قد تفسره وتوضحه وتبينه رواية أخرى وكذلك ما قد تُجمله رواية قد يأتي تفصيله في رواية أخرى وما قد تعممه رواية قد تخصصه أخرى وهكذا.

وأيضاً قد يخطئ أحد رواة الحديث في فهم المقصود مما سمعه فيرويه بالمعنى بحسب فهمه هو لا بحسب مراد النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فيرويه على نحو خاطئ إذ الفهوم تتفاوت فتأتي رواية من طريق آخر فتكشف لنا أصل الحديث ووجهه الصحيح فتزيل الإشكال الذي في الرواية الأخرى كما في حالة الحديث الذي بين أيدينا والذي استشكله الدكتور عدنان ورده جملة وتفصيلاً.

فالظاهر أن الرسول أجاب السائل بعد أن أشار لأصغر غلام عنده أياً كان هذا الغلام بما يفيد السائل أن هذا الغلام لن يبلغ سن الهرم حتى تقوم على السائل والحاضرين ساعتهم هكذا بتخصيص الحاضرين بلفظ يفيد ذلك كأن يكون: (حتى تقوم ساعتكم) على نحو رواية أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها لكن أحد رواة الحديث ونقلته فَهِم من اللفظ قيام الساعة على العموم فذكر اللفظ على نحو (حتى تقوم الساعة) فوهم وأوهم. أو قد يكون لفظ الحديث كما في رواية أبي يعلى: (لم يبق منكم عين تطرف). ففهم أحد الرواة ونقلة الحديث أن ذلك بسبب قيام الساعة لا بسبب موهم هم على وجه الخصوص فذكر الرواية التي فيها (تقوم الساعة) هكذا على وجه العموم.

ووقوع الخطأ في الفهم من رواة الأحاديث ومن ثم الخطأ في رواية ألفاظ الحديث يقع كثيراً وهو ما لا يدركه ويفطن إليه إلا العلماء ولهذا كان الرجوع أولاً وأخيراً هو للعلماء ولهذا قال تعالى كما سبق وأن نبهنا: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ **لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ** مِنْهُمْ} [النساء:٨٣]. ولهذا أيضاً جاء في الحديث: (نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلّغه كما سمع فرُبّ مُبلَّغ **أوعى من سامع**).

ويؤكد ذلك ويجليه ما ذكره أبو يعلى في مسنده ففي مجمع الزوائد للهيتمي:
(وعن نعيم بن دجاجة قال: كنت جالساً عند علي إذ جاء أبو مسعود فقال علي: قد جاء فَرُّوخ فجلس فقال علي: إنك تفتي الناس؟ قال: أجل وأُخبرهم الساعة أن الآخر شر قال: فأخبرني هل سمعت منه شيئاً؟ قال: نعم سمعته يقول: (لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف). فقال علي: أخطأَتْ استُك الحفرة وأخطأْتَ في أول فتياك **إنما قال ذاك لمن حضره يومئذ**. هل الرخاء إلا بعد المائة؟.- رواه أبو يعلى ورجاله ثقات). انتهى.

فقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين يقصد من حضره من الصحابة أنهم سيفنون قبل مرور مائة سنة عليهم ولن يبق منهم أحد بعدها على قيد الحياة ففهم هذا أن الكل سيفنى. ونحو هذا ما ذكره الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما.

ففي صحيح مسلم:
(حدثنا محمد بن رافع وعبد بن حميد قال محمد بن رافع حدثنا وقال عبد أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أخبرني سالم بن عبدالله وأبو بكر بن سليمان أن عبدالله بن عمر قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته فلما سلم قام فقال: (أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن **على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**). قال ابن عمر: **فوهل الناس** في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يبقى **ممن هو اليوم** على ظهر الأرض أحد) يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن). انتهى. **ووهل الناس أي غلطوا وأخطاوا في فهم المراد**. وينخرم ذلك القرن أي ينقضي بموت أهله.

وبهذا يتبين أن الدكتور عدنان قد أخطا عندما رد الحديث جملة وتفصيلاً ونفى أصل القصة بالكلية وقد قال الله تعالى في حق الكفار: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا **لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**} [يونس:٣٩]. ولكن الدكتور عدنان قد أحاط بالروايات علماً واطلع على تأويل الرواية بما سبق ولكنه مع ذلك وصفها بالكذب الواضح ووصف كلام العلماء في بيان تأويلها بالتكلفات الباردة التي لا معنى لها فهل بعدما سبق هي كذلك حقاً؟!!!.

ثالثاً وأخيراً:

إن الدكتور عدنان يريد بهذا المثال الذي ضربه من خلال هذا الحديث والذي هو عنده كذب واضح يريد أن يبرر رفضه للأحاديث الواردة في نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان وقتله للمسيح الدجال حتى وإن كانت تلك الأحاديث واردة في البخاري ومسلم فقد أورد أنموذجاً لحديث مروي في البخاري ومسلم وهو كذب واضح على حد تعبير الدكتور. إلا أنه شتان بين الأمرين ففضلاً عن أنه قد تجلى معنا آنفاً أن نموذج الحديث الذي اعتبره الدكتور كذباً واضحاً ليس كذلك فإنه على التسليم بصحة ذلك فلا مجال معه لتكذيب أحاديث الدجال ونزول المسيح عيسى عليه السلام في آخر الزمان لأنها أحاديث بلغت في مجموعها حد التواتر مدعومة بالإجماع على اعتقاد ما جاء فيها من أشراط الساعة الكبرى وعلى رأسها نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان وقتله للمسيخ الدجال وقانا الله تعالى شر فتنته وكل فتنة مضلة

وهذا خلافاً للنموذج الذي طرحه الدكتور عدنان فهو حديث آحاد وأحاديث الآحاد تحتمل ما لا تحتمله الأحاديث المتواترة من حيث الثبوت والتسليم بمضمونها.

ولا شك أن رفض الأحاديث التي بلغت حد التواتر والمدعمة بنصوص قرآنية صريحة على ما سيأتي والمؤيدة كذلك بالإجماع المشار إليه سابقاً يفضي بنا إلى القبول بالتشكيك في القرآن الكريم رغم وصوله إلينا بالتواتر فالتواتر بمنهجية الدكتور عدنان لم يعد دليلاً على الصحة وعلى الثبوت القطعي بل صار محلاً للنقاش والأخذ والرد والقبول والرفض.

وعليه فقول الدكتور عدنان: ((أنا لا أريد من يشكك في قرآني في ديني يا أخي)). انتهى. أدعى لرفض كلام الدكتور لأنه هو الذي يفضي شاء أم أبى إلى التشكيك في القرآن لأن طريق وروده إلينا وطريق ورود أحاديث عودة عيسى عليه السلام هو طريق واحد وهو طريق التواتر. وإن كان الفارق أن القرآن قد ورد إلينا بالتواتر اللفظي وأحاديث عودة المسيح عليه السلام وردت إلينا بالتواتر المعنوي أي بألفاظ مختلفة والمعنى واحد فهذا لا يغير من الأمر شيئاً لأن التواتر هو التواتر وهو نقل الخبر بلفظه أو بمعناه من خلال مجموعة يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب فكيف بتواطئهم على نفس الكذبة تحديداً؟!!.

وإذا أردنا أن نضرب مثالاً لما يفضي إليه كلام الدكتور من التشكيك في القرآن نضربه بنفس مثاله الذي أورده وهو الحديث الذي ذكره الدكتور عدنان واعتبره كذباً واضحاً على ما سبق فلو غضضنا الطرف عن الروايات آنفة الذكر التي وضحت المراد فإن من الاحتمالات التي يحتملها الحديث أن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إنما أراد المبالغة في بيان قرب الساعة وقرب قيامها حتى لتكاد يكون موعدها قبل بلوغ ذلك الغلام سن الهرم على نحو المبالغة ليس إلا. على منوال العرب في أساليبها عندما تريد المبالغة في المعنى. وهذا كقول أحدنا إن بيني وبين مسكن فلان خطوتين وهذا على نحو المبالغة والإشارة الرمزية إلى قرب المسافة لا على سبيل مسافة الخطوتين الحقيقية الفعلية.

وهكذا يكون الحديث من هذا القبيل أيضاً وهذا الاحتمال ليس مجرد تكلفات باردة فقد جاء ما يقويه ففي الحديث كما عند البخاري:

(حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا أبو حازم سمعته من سهل بن سعد الساعدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**بعثت أنا والساعة كهذه من هذه أو كهاتين**). وقرن بين السبابة والوسطى). انتهى.

وفي رواية عند مسلم:
(وحدثنا أبو غسان المسمعي حدثنا معتمر عن أبيه عن معبد عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**بعثت أنا والساعة كهاتين**). قال: وضم السبابة والوسطى). انتهى.

وهذا المعنى بعينه مذكور في القرآن في قوله تعالى: {**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ** وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر:١]. وسورة القمر مكية **ورغم ذلك فها قد مرّ إلى الآن ١٤٣٥ عام على الهجرة النبوية الشريفة ولما تقم الساعة بعد فهل هذه الآية أيضاً كذب واضح؟!!!.**

وهل إذا أولناها [هي والحديث (بعثت أنا والساعة كهاتين)] على نحو المبالغة في تقريب موعد الساعة ليس أكثر نكون قد تكلفنا لإثبات صحة الآية تكلفات باردة؟!!.

إن مما لا مفر للدكتور عدنان منه أن يُقِرَّ أنه يستطيع من شاء أن يقول على غرار كلام الدكتور عدنان وليعذرني الدكتور في تقمص أسلوبه المتهكم:
اذهبوا إلى الشراح عاد وسوف ترون التكلفات الباردة التي لا معنى لها. النبي أفصح من نطق بالضاد وحديثه واضح يقول بعثت أنا والساعة كهاتين. والقرآن أفصح من نطق بالضاد وآيته واضحة يقول اقتربت الساعة. يعني المفروض بضعة عشرات من السنين وتقوم. بضعة مئات يا أخي لكن أكثر من ألف عام ولم تقم؟ عجيب. كذب واضح أنه كذب. بالله عليكم بالله عليكم وعليكن وكل من بلغه هذا الحديث أو سمعه هل تعتقدون أن النبي فعلاً قال بعثت أنا والساعة كهاتين؟! صحيح يا رسول الله أنت قلت هذا؟!. والله حاشاه والله الذي لا إله إلا هو حاشاه. بالله عليكم بالله عليكم وعليكن وكل من بلغه الآية أو سمعها هل تعتقدون أن الله تعالى فعلاً قال اقتربت الساعة. صحيح يا الله أنت قلت هذا. والله حاشاك والله الذي لا إله إلا هو حاشاك. أكثر من ألف عام حتى الآن ولم تقم الساعة وأنتم تقولون قال الله اقتربت الساعة. ويقولون يا فلان تشكك في الصحاح وفي القرآن أنا لا أريد من يشككك في نبيي يا أخي أنا لا أريد من يشككك في ربي وصدقه وعلمه يا أخي. !!!!.

١٠/ قال الدكتور في معرض استرساله في الحديث عن أحاديث الصحيحين وأن فيهما أخطاءً ومصائب قال في الدقيقة [٣٢:١٥ - ٣٢:٥٥].:

((والحمقى أيها الإخوة وهم كثيرون كثيرون في هذه الأمة ممن ينتحلون اسم العلم والعلماء والمشيخة يوقعون في وهل الناس أن الحديث إذا كان في الصحيحين انتهى النبي قاله حتماً. من أين لكم يا أخي يا أخي من أين لكم أنه قاله هل قال هذا النبي حتماً قالك وحديث الآحاد وإن لم يفد علماً لا تؤخذ منه عقيدة ولكن إن احتفت به قرائن أو حفت به قرائن قد يفيد الاعتقاد قد يفيد العلم مثل ماذا قالك كونه مخرج في الصحيحين يا سلام من أين أتيتم بهذه القاعدة التي لا معنى لها؟!)).

الرد:

أولاً:

إن مما يندى له الجبين كثرة ما يستخدمه الدكتور عدنان من غمز ولمز في حق علمائنا القائلين بعودة المسيح عليه السلام أشرنا إلى بعضه على نحو العتاب سابقاً فهم يدّعون دعاوى عريضة أعرض من الغبراء وبتشبثون بأذيال شبهات الدليل ويتكلفون تكلفات باردة وها هو الآن يتوج لمزه لهم بوصفهم بالحمقى **لا لشيء سوى لأنهم يقولون أن حديث الآحاد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تدل على صحته ومن هذه القرائن كونه مخرج في الصحيحين**.

ولا أدري ما أقول خاصة وأن العلماء الذين قالوا بذلك هم في الحقيقة جبال في العلم فليسوا بيقين ممن ينتحلون اسم العلم والعلماء والمشيخة فضلاً عن أن يكونوا من الحمقى!!.

فأحد هؤلاء هو الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري الذي سبق أن نقلنا قول الدكتور عدنان نفسه فيه ووصفه له بقوله: ((**العلامة المحدث الفقيه الأصولي المفسر الجليل عبد الله بن الصديق الغماري قدس الله سره ورضوان الله عليه!!**)). انتهى.

فها هو في كتابه "البرهان" الذي أشرنا إليه مراراً يقول في معرض رده على من زعم أن حديث أبي هريرة [الذي فيه أن عيسى عليه السلام سيترل في آخر الزمان حكماً عدلاً وأنه يقتل الخترير ويكسر الصليب وتكون الدعوة واحدة هي دعوة الإسلام] هو حديث آحاد ومن ثم لا يفيد عقيدة رد على ذلك الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري بقوله:

(ولو سلمنا جدلاً أن حديث أبي هريرة آحاد كما تزعم الفتوى فيجب الاعتماد عليه في هذه المسألة لأمور). انتهى.

ثم شرع في ذكر هذه الأمور الموجبة للاعتماد على حديث أبي هريرة وكان آخرها قوله:
(الثالث: **أن خبر الآحاد يفيد العلم عند القرينة على المختار كما تقدم. وحديث أبي هريرة قد احتفت به قرائن منها كونه مخرجاً في الصحيحين**. ومنها وروده من طرق. ومنها تسلسله في بعض الطرق بالأئمة الحفاظ المتقنين فقد رواه البخاري عن علي بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وهؤلاء بحور العلم وأطواد الرواية الواحد منهم يقوم مقام عدد كثير من غيرهم). انتهى.

فأي الوصفين بعد هذا هو الوصف الحقيقي الذي يرتضيه الدكتور عدنان في حق الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري؟ هل هو العلامة المحدث الفقيه الأصولي المفسر الجليل أم أحد الحمقى وهم كثيرون في هذه الأمة ممن ينتحلون اسم العلم والعلماء والمشيخة؟!!!.

ثانياً وأخيراً:
وأما تساؤل الدكتور عدنان عن هذه القاعدة متهكماً بقوله: ((يا سلام من أين أتيتم بهذه القاعدة التي لا معنى لها؟!)). انتهى. فلعل في النقل التالي من كلام ابن الوزير اليماني (المتوفى عام ٨٤٠هـــ) في كتابه "الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم" ما يجيبه على هذا التساؤل.

حيث يقول الإمام ابن الوزير اليماني ما نصه:
(وإن اعترف المعترض بالحقّ وأقرّ أنّ **كلام أهل كلّ فنّ مقدّم في فنّهم على غيرهم مُعتمَد فيه على تحقيقهم** فلا شكّ أنّه قد **اشتهر عند كل منصف ما لأهل الحديث من العناية التّامّة في معرفته والبحث عن علله ورجاله وطرقه والاختلاف الكثير الواقع بينهم كثير منه الدّال على عدم تقليد بعضهم في الحديث لبعض وعدم المتابعة لمجرّد العصبيّة** بحيث لو كانوا في القلّة في حدّ يمكن تواطؤهم على التّعصّب **لوجب ترجيح كلامهم وقبول قولهم في فنّهم** كيف وهم من الكثرة في حدّ لا يمكن معه تواطؤهم على ذلك لاختلاف أزمانهم وبلدانهم وأغراضهم وأديانهم!. ومع ذلك فقد اشتهر عن أئمتهم القول بصحّة مسند ((صحيحي البخاري ومسلم)). وادّعى غير واحد من ثقاتهم انعقاد الإجماع على ذلك. وخبر الثّقة في رواية الإجماع واجب القبول كما هو المنصور المصحّح في موضعه من كتب الأصول.

وعلى تسليم أنّه ليس بمقبول وأنّ ذلك الإجماع غير صحيح فلا أقلّ من أن يكون ما ادّعي الإجماع على صحّته **قول جماهير نقاد علم الحديث وأئمة فرسان علم الأثر وهذا من أعظم وجوه التّراجيح**. بل أئمة علماء الأصول والغُوَّاص على الدقائق والحقائق من أهل علوم المعقول يقضون بوجوب التّرجيح بأخفّ أمارة وأخفى دلالة تثير أقلّ الظّنّ وتثمر يسير القوّة.

فكيف بما نقّحه وصحّحه إمام الحفّاظ الثّقات والنّقّاد الأثبات: محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجّاج النّيسابوريّ **وانتقياه من ألوف أحاديث صحاح مع تواتر إمامتهما وأمانتهما ونقدهما ومعرفتهما**. فلو لم يتابعهما غيرهما لكان التّرجيح بهما كافياً والتّعويل على قولهما واجباً. كيف **وقد خضعت لهما رقاب النّقّاد! وأطبق على تصحيح دعواهما أئمة علماء الإسناد!**). انتهى.

١١/ قال الدكتور في معرض استرساله في الحديث عن منهجه في رد الأحاديث قال في الدقيقة [٣٣:١٢ - ٣٤:٥٤].:

((وعلى فكرة واضح جداً أحاديث كثيرة أخرى. يروي الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة يقول عليه الصلاة وأفضل السلام: إني لأرجو أن أدرك عيسى ابن مريم. قال ممكن المهدي والدجال كله هذا بسرعة بسرعة ويطلع عيسى وأنا أسلم عليه ياأخي هذا عيسى. فإن عجل بي الموت فمن أدركه منكم. يخاطبكم أنتم أم يخاطب أصحابه؟ طبعاً أصحابه. لا تقل لي: لا النبي قال منكم. يا سلام. وهذه تعم. تعم؟ هو يقولك أنا تقريباً سأدركه لكن ممكن يعجل بي الموت. فإن عجل بي الموت فمن أدركه منكم فليقرئه مني السلام. يعني يجزم بأن أصحابه - طبعاً مثل حديث أنس في الصحيحين - سيدركون المسيح. يا أخي هذا كذب. حسبنا الله ونعم الوكيل. حسبنا الله ونعم الوكيل على هذه الأحاديث التي تريد فعلاً أن تسلخ هذه الأمة من دينها. تعرفون الحمد لله لطف من الله أن هذه الأمة في جمهورها ومعذرة والله العظيم لكل الناس: جاهلة !!!. أنا لا أفتري معظم الأمة جاهلة!!!. واحد يقولك هذا في البخاري ومسلم؟ لأنه في حياته ما سمعه وفي حياته ما قرأه لأنه أمة لا تقرأ أصلاً. أمة لا تقرأ لكن لو كانت تقرأ وتُنَقِّر وتفتش وتبحث أنا أقول لكم كثير منها لكفر منذ حين!! كما يلحد شبابنا الآن. بدؤوا يقرؤون فلسفة و...[كلمة غير واضحة] ... وتطور وتصميم ومش تصميم بدؤوا يلحدون لأنه الخطاب بائس ونفس الشيء بكرة يفتشون البخاري ومسلم والأحاديث الصحيحة. يقولك اتفضل معناها الحكاية كلها كذب في كذب. كلها كذب في كذب في كذب)).

الرد:

أولاً:

إن الحديث المذكور لم أجده في سنن أبي داود ولا سنن ابن ماجه أما الإمام أحمد فقد رواه فعلاً في مسنده فقال:

(حدثنا محمَّد بن جعفر حدثنا شُعبة عن محمَّد بن زياد **عن أبي هريرة عن النبي** صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام).

حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا شُعبة عن محمد بن زياد **عن أبي هريرة** قال: إني لأرجو إن طالت بي حياة أن أدرك عيسى ابن مريم عليه السلام فإن عجل بي موت فمن أدركه فليقرئه مني السلام). انتهى.

وبحسب الرواية الأولى يكون هذا الكلام بكامله من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين في حين بحسب الرواية الثانية يكون هذا الكلام من كلام أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه لا من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

وما يقال هنا هو ما قلناه سابقاً من أن **الأحاديث بتجميع رواياتها وطرقها وشواهدها المختلفة تتضح مضامينها وتنفك وتنحل إشكالاتها وغوامضها**.

ولهذا وللوقوف على حقيقة الأمر ينبغي تجميع روايات هذا الحديث لتتضح الصورة على النحو التالي:

أ/ رواية المعجم الأوسط للطبراني:

(حدثنا عيسى بن محمد الصيدلاني قال: نا محمد بن عقبة السدوسي قال: نا محمد بن عثمان بن سنان القرشي قال: نا كعب أبو عبد الله عن قتادة عن سعيد بن المسيب **عن أبي هريرة** قال: **قال النبي** صلى الله عليه وسلم: (ألا إن عيسى ابن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول. ألا إنه **خليفتي في أمتي بعدي**. ألا إنه يقتل الدجال ويكسر الصليب وتضع الحرب أوزارها. **ألا فمن أدركه منكم فليقرأ عليه السلام**). قال

أبو هريرة: إني لأرجو أن أكون أول من أُقرأه السلام من أبي القاسم صلى الله عليه وسلم وآكل من جفنته). انتهى.

ب/ رواية السنن الواردة في الفتن للداني:

(حدثنا ابن عفان حدثنا أحمد بن ثابت حدثنا سعيد قال: حدثنا نصر قال: حدثنا علي قال: حدثنا خالد بن حيان عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم قال: **سمعت أبا هريرة** يقول: **قال رسول الله** صلى الله عليه وسلم: (ينزل عيسى ابن مريم فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية. ويهلك اللهُ عز وجل في زمانه الدجال وتقوم الكلمة لله رب العالمين). **قال أبو هريرة**: أفلا تروني شيخاً كبيراً قد كادت أن تلتقي ترقوتاي من الكِبَر إني لأرجو أن لا أموت حتى ألقاه وأحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصدقني. **فإن أنا مت قبل أن ألقاه ولقيتموه بعدي فاقرأوا عليه مني السلام**). انتهى.

ج/ رواية المستدرك على الصحيحين للحاكم:

(حدثنا محمد بن المظفر الحافظ ثنا عبد الله بن سليمان ثنا محمود بن مصفى الحمصي ثنا إسماعيل عن أيوب عن أبي قلابة **عن أنس** رضي الله عنه قال: **قال رسول الله** صلى الله عليه وسلم: (من أدرك منكم عيسى ابن مريم فليقرئه مني السلام صلى الله عليهما وسلم). انتهى.

د/ رواية الفتن لنعيم بن حماد:

(حدثنا أبو معاوية ثنا السيباني عن عمار بن المغيرة **عن أبي هريرة** قال: تُجدَّد المساجد لنزول عيسى ابن مريم فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية. ثم التفت فرآني من أحدث القوم فقال: يا ابن أخي إن أدركته فأقرئه مني السلام). انتهى.

ومن هذه الروايات يتضح أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه كان يبتدئ الحديث بكلام النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فيما أخبر به عن عيسى عليه السلام وأنه كان يوصي من أدركه عند نزوله الموعود أن يقرئه من نبينا السلام وهو ما نقله لنا أيضاً إضافة إلى أبي هريرة الصحابي أنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما كما في رواية المستدرك أعلاه. ثم يتابع الصحابي أبو هريرة متحدثاً عن نفسه متمنياً راجياً رغم كبر سنه رضي الله تعالى عنه وأرضاه أن يدرك هو نزول عيسى عليه السلام فيخبره بما سمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ليصدقه أمام الناس بما سمع وبلّغ. ثم يتابع كلامه أيضاً بوصيته في حال لم

تتحقق أمنيته ورجاءه ولم يدرك نزول عيسى عليه السلام أن يبلغه من أدركه سلامه رضي الله تعالى عنه وأرضاه إضافة إلى سلام النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

وعليه تكون الرواية التي فيها رجاء إدراك زمن عيسى عليه السلام التي في مسند الإمام أحمد الصحيحة هي الموقوفة على الصحابي أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ويكون الراوي الآخر في رواية مسند الإمام أحمد راوي رواية الرفع قد سمع أبا هريرة من أول الحديث ينقل كلام النبي الخاص بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ووصيته لمن أدركه أن يبلغه سلام نبينا صلى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فلما أتبع أبا هريرة حديثه راجياً أن يدركه هو وموصياً إن عجل به الموت ولم يدركه أن يبلغه من يدركه سلامه أيضاً ظن وتوهم هذا الراوي أن هذا الجزء من كلام أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه هو تابع لحديث النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فرواه مرفوعاً على أنه من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

وهذا شبيه بما نقله ابن رجب الحنبلي (المتوفى عام ٧٩٥هـــ) في كتابه "فتح الباري" حيث قال:
(فروى مسلم بن الحجاج في ((كتاب التفصيل)) والبيهقي في ((المدخل)) من رواية ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن عبد الله بن عروة عن عروة أن **الزبير سمع رجلاً يُحدث حديثاً عن النبي** صلى الله عليه وسلم فاستمع الزبير له حتى إذا قضى الرجل حديثه قال له الزبير: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال الرجل: نعم. فقال الزبير: هذا وأشباهه مما يمنعنا أن نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قد لعمري سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا يومئذ حاضر. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم **ابتدأ هذا الحديث فحدثاه عن رجل من أهل الكتاب حدثه إياه فجئت أنت بعد أن قضى صَدرَ الحديث وذَكَرَ الرجل الذي من أهل الكتاب فظننتَ أنه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

وروى مسلم أيضاً في ((كتاب التفصيل)) بإسناد صحيح عن بكير بن الأشج قال لنا بسر بن سعيد: أيها الناس اتقوا الله وتحفظوا في الحديث فوالله لقد رأيتنا **نجالس أبا هريرة فيحدثنا عن رسول الله** صلى الله عليه وسلم **ويحدثنا عن كعب** ثم يقوم. فأسمع **بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب ويجعل حديث كعب عن رسول الله** صلى الله عليه وسلم.

ولو ذكرنا الأحاديث المرفوعة التي أُعِلَّت بأنها موقوفة: إما على عبد الله بن سلام أو على كعب واشتبهت على بعض الرواة فرفعها لطال الأمر). انتهى.

وهذا يفيدك أن علماءنا كما أكدنا مراراً وتكراراً متيقظون ولا يقبلون الأحاديث على علاتها دون تحقيق وتمحيص كما لا يرفضونها جملة وتفصيلاً لمجرد إشكال هنا أو غموض هناك هكذا دون إعمال العقل وبذل الجهد المضني في تجميع الروايات وتتبع الأخبار والنصوص المختلفة وصولاً للحق المنشود القائم على التحقيق العلمي الرصين لا القائم على التهويل والتهويش والتهريج والتهكم والجمل الإنشائية والكلام المزخرف المعسول {كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ **يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً** حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا}.

وهذا ينبغي الرجوع دوماً للعلماء الأثبات المحققين في فهم النصوص والحكم عليها قبولاً ورداً فهم أهل التحقيق لأنهم أعلم بغوامض الروايات فهم يغربلون النصوص ويحققونها فيميزون غثها من سمينها وصحيحها من سقيمها ويجمعون شتات روايات النصوص فيعلمون ما هو مدرج فيها من قول الصحابي مما هو من قول النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

ولتتيقن من ذلك فإن هذا الحديث الذي تناولناه وذكره الدكتور عدنان رافضاً له جملة وتفصيلاً لو أننا عدنا فيه لأقوال العلماء المحققين لوجدنا علامة الهند المحدث محمد أنور شاه الكشميري (المتوفى عام ١٣٥٢هـــ) في كتابه "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" يقول بعد ذكره للحديث بطريقيه المرويين في مسند الإمام أحمد [وسبق إيرادهما آنفاً]:
(ورجال الطريقين رجال "صحيح البخاري" وقد أخرج البخاري بهذا الإسناد أحاديث عديدة في غير موضع من صحيحه فهذا حديث صحيح الإسناد رُوي مرفوعاً وموقوفاً.

ومن أمعن النظر في أحاديث الباب علم أن الإيصاء بإبلاغ السلام وقراءته على عيسى ابن مريم صحيح مرفوعاً وموقوفاً.

وأما الجملة الابتدائية من قوله: إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى بن مريم. فالنظر في أحاديث الباب يحكم بأنها موقوفة لا مرفوعة.

كيف وقد وقع التصريح بوفاة نبينا صلى الله عليه وسلم عند نزول عيسى عليه السلام في أحاديث كثيرة؟ منها ما أخرجه مسلم مختصراً والحاكم في "المستدرك" مطولاً من قوله عليه الصلاة والسلام: (وليأتين قبري حتى يُسلِّم عليّ ولأَرُدَّنَّ عليه). وفي "فتح الباري" للحافظ ابن حجر: ولأحمد من وجه آخر عن أبي هريرة: أقرؤوه من رسول الله السلام). انتهى.

وهذا كلام رصين وقد أثبتناه آنفاً بحمد الله تعالى من خلال تجميع روايات الحديث وشواهده على نحو ما سبق. ولو تاملنا الرواية الأولى المذكورة في (أ/) رواية المعجم الأوسط للطبراني لوجدنا أبا هريرة يصرح عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين قوله: (ألا إنه **خليفتي في أمتي بعدي**). هذا إضافة لما أورده الكشميري آنفاً فصدق القائل في محكم تنزيله عز من قائل سبحانه: {فَاسْأَلُوا **أَهْلَ الذِّكْرِ** إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل:٤٣]. صدق الله العظيم.

ثانياً:
أما قول الدكتور عدنان: ((حسبنا الله ونعم الوكيل على هذه الأحاديث التي تريد فعلاً أن تسلخ هذه الأمة من دينها)). انتهى. فهذا يضاف إلى أعاجيب الدكتور عدنان التي لا تنقضي ولا ينقضي العجب منها إذ لو كان هذا الكلام صحيحاً فكيف غاب عن عقول علماء هذه الأمة بأسرهم أن هذه الأحاديث تسلخ الأمة من دينها فأثبتوها في كتبهم و لم يعقبوا عليها بذرة نكير؟!!.

وإذا كان هذا حال علماء الأمة فكيف يطلب الله تعالى منا بعد ذلك أن نرجع إليهم وهذا حالهم بقوله تعالى: {فَاسْأَلُوا **أَهْلَ الذِّكْرِ** إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل:٤٣]. صدق الله العظيم.

وإذا كان هذا حال علماء الأمة فكيف يصف الله تعالى هذه الأمة بالخيرية بقوله تعالى: {كُنْتُمْ **خَيْرَ أُمَّةٍ** أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران:١١٠].

ومع ذلك فكلام الدكتور عدنان يذكرني بما ذكره الشيخ محمد عوامة في كتابه "أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء" حيث يقول:
(وقد سبقنا إلى هذا الحكم إمام من أئمة العلم بالحديث والفقه هو الإمام أبو محمد عبد الله بن وهب المصري أحد أجلاء تلامذة الإمام مالك في المدينة المنورة والإمام الليث بن سعد في مصر قال رحمه الله: '**الحديث مَضِلَّة إلا للعلماء**'.

وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله: قال ابن عيينة: '**الحديث مَضلَّة إلا للفقهاء**' يريد: أن غيرهم قد يحمل شيئاً على ظاهره وله تأويل من حديث غيره أو دليل يخفى عليه أو متروك أوجب تركَه غيرُ شيء **مما لا يقوم به إلا من استبحر وتفقه**). انتهى.

فالأحاديث تسلخ الأمة من دينها إذا لم نرجع في الحكم عليها قبولاً ورداً إلى العلماء الراسخين في العلم وإذا لم نفهمها بفهمهم امتثالاً لقول الحق سبحانه وتعالى وتحذيره وتنبيهه بقوله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ **لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ** مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء:٨٣]. صدق الله العظيم.

ثالثاً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((تعرفون الحمد لله لطف من الله أن هذه الأمة في جمهورها ومعذرة والله العظيم لكل الناس: جاهلة !!!. أنا لا أفتري معظم الأمة جاهلة!!!.)). انتهى.

فوصفه لمعظم الأمة أنها جاهلة يتنافى مع خيرية هذه الأمة التي أثبتها القرآن على ما سبق ذكره. وفيه ما فيه من التعدي على مقام علماء هذه الأمة ووصفهم بالجهل فهم المعنيون ابتداءً بكلام الدكتور عدنان بدليل أنه ذكره في معرض توصيف القائلين بصحة ما في البخاري ومسلم من أحاديث وخاصة احاديث نزول عيسى ابن مريم عليه السلام ومن المعلوم أن الذين قالوا بهذا وتلقوا هذه الأحاديث بالقبول والتسليم هم علماء الأمة بأجمعهم وطبعاً لا يدخل فيهم من جاء في العصر الحديث وخرج عن الإجماع ممن قالوا بقول الدكتور عدنان فهؤلاء في الحقيقة أحرى أن يوصفوا بالوصف الذي ذكره الدكتور عدنان بقوله: ((ينتحلون اسم العلم والعلماء والمشيخة)). انتهى.

وهنا أراني مضطراً لاستعارة كلمة للشيخ عبد الغفار بن عبد الغني عيون السود (المتوفى عام ١٣٥٠هـ) تليق بهذا المقام وقد ذكرها في كتابه "دفع الأوهام عن مسألة القراءة خلف الإمام" في معرض الرد على من هجم على أفاضل الأمة بعامتها بعلمائها ممن أخذوا بقول الإمام أبي حنيفة في عدم قراءة المأموم خلف إمامه في الصلاة فأقول مقتبساً هذه الكلمة للشيخ عيون السود رحمه الله ببعض تصرف يتوافق مع ما نحن بصدده من التعقيب على تجهيل معظم هذه الأمة:

(فالعجب العجب من هذا القائل الذي لم يعض على العلم بضرس قاطع كيف تجارت به الأهواء حتى **تجرأ على تجهيل الألوف المؤلفة بل الملايين من المسلمين بمجرد وهم ظنه فهماً** فأراش سهماً من أطرافه ورمى به هذه الجموع على اختلاف طبقاتهم سبحانك هذا بهتان عظيم.

لم يعلم هذا القائل أن في هذه الجموع **الأئمة الفخام والعلماء الأعلام والبررة الأخيار** والعباد والزهاد والصالحين...

أوَلم يسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلّ في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب).

أوَلم يعِ ما رواه أحمد بسند حسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا **ويعرف لعالمنا**)...

أوَلم يتفطن إلى أن قوله هذا يشوش على الناس ويشككهم في أمر علماء الدين الذين أفنوا أعمارهم في خدمته وربما يدعوهم ذلك إلى الاستخفاف بهم.

والاستخفاف بهم من النفاق لقوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه الطبراني والترمذي وحسّنه: (ثلاث **لا يستخف بهم إلا منافق**: ذو الشيبة في الإسلام **وذو العلم** وإمام مقسط). انتهى من كلام الشيخ عيون السود ببعض تصرف واختصار.

رابعاً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((واحد يقولك هذا في البخاري ومسلم؟ لأنه في حياته ما سمعه وفي حياته ما قرأه لأنه أمة لا تقرأ أصلاً. أمة لا تقرأ لكن لو كانت تقرأ وتُنَقِّر وتفتش وتبحث أنا أقول لكم كثير منها لكفر منذ حين!! كما يلحد شبابنا الآن)). انتهى.

فهذا أيضاً من العجب العجاب بل إن شئت فقل هو الطامة الكبرى لأن مؤداه لأمرين أحلاهما مر:

أولهما أنه وفق كلام الدكتور عدنان هذا فإن هذا الدين في حقيقته قائم على أسس هشة وباطلة وعلى خرافات وأساطير وهذه الحقيقة المرة غائبة عن معظم هذه الأمة الجاهلة لأنها لا تقرأ حقيقة دينها ولو قرأت لاكتشفت ذلك بنفسها ولكفرت منذ حين!!!. سبحانك هذا بهتان عظيم.

وثانيهما أن القراءة بدل أن تكون وسيلة للعلم صارت بقدرة قادر وفق مؤدى كلام الدكتور عدنان وسيلة للكفر!!! فمن يقرأ وينقّر ويفتش ويبحث سيكفر ويلحد **فهل هذه دعوة للقراءة أم للتنفير منها؟!! وهل هي دعوة للاطمئنان إلى هذا الدين أم التشكك فيه؟!!**.

أليست طامة كبرى أن الأمة التي أول ما أنزل عليها قوله تعالى: {**اقْرَأْ** بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * **اقْرَأْ** وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق:١-٥]. حتى باتت تعرف بأمة اقرأ ومع ذلك لو كانت تقرأ وتُنَقِّر وتفتش وتبحث كثير منها لكفر منذ حين!!!.

إن الشباب الذي يلحد الآن كما يقول الدكتور عدنان **سبب إلحاده في الحقيقة هو أنه لا يقرأ** ولا ينقر ولا يفتش ولا يبحث لا لأنه يقرأ وينقر ويفتش ويبحث. فهو يستمع إلى إشكال هنا وشبهة هناك فيتشكك في دينه فيكفر ويلحد دون أن يكلف نفسه عناء العودة لكتب علمائنا الأثبات ليطلع على ردودهم فهم لم يتركوا شبهة إلا وردوها ولا استشكالاً ولا غموضاً إلا وقد بينوه وجلوه لنا بما لا مزيد عليه وليس علينا سوى أن نقرأ في أمهات الكتب لا في كتب الوجبات السريعة وللعلماء الأفذاذ لا لأشباه العلماء والمتعالمين.

على أن الدكتور عدنان قال بعد كلامه هذا: ((بدؤوا يلحدون لأنه الخطاب بائس ونفس الشيء بكرة يفتشون البخاري ومسلم والأحاديث الصحيحة. يقولك اتفضل معناها الحكاية كلها كذب في كذب. كلها كذب في كذب في كذب)). انتهى.

فبنفس المنطق بكرة يفتشون شبهات أهل الكتاب والمستشرقين والملحدين حول القرآن فيصلون لنفس النتيجة أن الحكاية كلها كذب في كذب في كذب.

فإذا كان الحل السحري عند الدكتور عدنان للأحاديث التي تدور عليها شبهة هنا أو استشكال هناك هو إنكارها من الأساس لتنحل المشكلة فماذا عن القرآن؟!!!.

ماذا أصنع مثلاً مع آية تقول: {**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ**} [القمر:١]. وها قد مرّ إلى الآن ما يزيد عن ١٤٠٠ عام **ولما تقم الساعة بعد؟!!**. وكل من يتكلف تأويلاً للآية بما لا يتعارض مع طول مدة عدم قيام الساعة إلى الآن يمكن أن يُرد عليه بِرد الدكتور عدنان: تكلفات باردة!!!. **وهذا ما يفضي إليه منهج الدكتور عدنان شاء أم أبى؟!!!.**

فالعيب ليس في ديننا ولا في القراءة ولا في الأحاديث بل في ترك الانتفاع بما عند علمائنا من علوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم الفقه. وإذا كان البعض يظن أن القرآن كفيل بالنجاة فليتأمل ما أخرجه الحاكم في مستدركه حيث قال:

(عن ابن لَبيد الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا أوان ذهاب العلم) قال شعبة – أو قال: «أوان انقطاع العلم» – قالوا: **كيفه وفينا كتاب الله** نُعلِّمه أبناؤنا أبناءهم؟ قال: «ثكلتك أمك ابن لبيد ما كنت أحسبك إلا من أعقل أهل المدينة. أليس اليهود والنصارى فيهم كتاب الله التوراة والإنجيل لم ينتفعوا منه بشيء؟) – قد ثبت الحديث بلا ريب فيه برواية زياد بن لبيد بمثل هذا الإسناد الواضح). انتهى.

وفي مسند الروياني:

(عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (خذ العلم قبل أن يذهب) قالها ثلاثاً. قالوا: **وكيف يذهب العلم يا رسول الله وفينا كتاب الله؟** فغضب غضبا لا يغضبه إلا لله ثم قال: (ثكلتكم أمهاتكم أوَ لم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل فلم يغنيا عنهم شيئاً. **إن ذهاب العلم أن يذهب حملته**) قالها ثلاثاً). انتهى.

وقد سبق أن نقلنا مراراً قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ **لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ** مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء:٨٣]. صدق الله العظيم.

١٢/ قال الدكتور في معرض استرساله في رد الأحاديث قال في الدقيقة [٣٤:٥٥ – ٣٦:٢٤]:.

((بعدين احاديث الدجال وعيسى متى؟ متى ينزل عيسى؟ متى يظهر الدجال الملعون؟ بعد فتح القسطنطينية والحديث واضح جداً جداً جداً جداً. في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان بفتحوا القسطنطينية فبينما هم يقسمون الغنائم إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح – أي الدجال مسيخ الضلالة – إن المسيح قد

خلفكم في أهلكم فيخرجون وهو باطل حتى إذا أتوا الشام – كله هذا في أيام في أسابيع فهم يصطفون لملاقاة العدو – إذ نزل المسيح ابن مريم. والدجال موجود. وين يا بابا؟!! القسطنطينية فتحت من ٥٠٠ سنة انتهينا. أي قسطنطينية وأي دجال وأي عيسى يعود؟!! ما القصة هنا؟!!. في صحيح مسلم قطع الله لسانك. إيه قطع الله لسانك قطع الله عقلك. ليس لي لسان ليس لك مخ ليس لك عقل. حديث صحيح واسمع التأويلات الفارغة!! من باب لعل ولعل. لعل ولعل لا تنفع إيش في موضوع حديث أنس في موضوع فليقرئه مني السلام!! لكن في حديث القسطنطينية لعل القسطنطينية تعود إلى الكفار. لا ياخي لا علل الله هذه الـــ: لعل!!. لا لبى الله هذا الرجاء!! أقسم بالله ياخي. قال ممكن هذه ال.. اسطنبول هذه ترجع للكفار مرة ثانية ويرجع.. من أين لكم أنها تفتح مرتين و.. ما الكلام الفارغ هذا؟!! تكلفات باردة عجيبة!!!!!!!. من أجل تصحيح أحاديث لأنها في الصحاح. كأن النبي قطعاً قالها. النبي ما قالها ولا درى بها وحسبنا الله ونعم الوكيل)).

<u>الرد:</u>

<u>أولاً:</u>

هذه المرة جاء كلام الدكتور عدنان على أوهى ما يكون وبيان ذلك على النحو التالي:

بداية فإن الحديث الذي ذكره الدكتور عدنان ليس من رواية الصحابي النواس بن سمعان وإنما من رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما وعن الصحابة أجمعين.

قال الإمام مسلم في صحيحه:

(حدثني زهير بن حرب حدثنا معلى بن منصور حدثنا سليمان بن بلال حدثنا سهيل عن أبيه **<u>عن أبي هريرة</u>** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يترل الروم بالأعماق أو بدابق. فيخرجُ إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافّوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلْهم. فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً. ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله. ويَفتتح الثلث لا يُفتنون أبداً **<u>فيَفتتحون قسطنطينية.</u>** فبينما هم يقتسمون الغنائم قد عَلّقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خَلَفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل. فإذا جاءوا الشأم خرج. فبينما هم يُعِدّون للقتال يُسَوّون الصفوف إذ

أقيمت الصلاة **فيترل عيسى ابن مريم** صلى الله عليه وسلم فأَمَّهم فإذا رآه عدوُّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يَهلِك ولكنْ يقتله الله بيده فيرِيهم دمَه في حربته). انتهى.

أما استشكاله على الحديث بأن القسطنطينية قد فتحت منذ ٥٠٠ سنة وانتهينا على حد تعبيره ثم تعقيبه بما سماه التأويلات الفارغة من لعل ولعل ولا علل الله هذه الـــ لعل على حد تعبيره. فالجواب عنه ببساطة أن الأمر لا علاقة له بلعل لا من قريب ولا من بعيد فصحيح أن قسطنطينية [التي هي استنبول الآن أشهر وأكبر مدن تركيا حالياً] قد فُتحت على يد الدولة العثمانية منذ ما يزيد على الـــ ٥٠٠ سنة وصارت عاصمة للخلافة العثمانية في حينه إلا أن الأمر اختلف الآن فقد صارت تركيا كلها علمانية منذ أُسقطت الخلافة العثمانية في تركيا على يد كمال أتاتورك والذي عمل على تغريب تركيا حتى أنه غيّر حروف الكتابة التركية التي كانت تكتب بحروف عربية فجعلها تكتب بحروف لاتينية!!.

والجيش التركي بجنرالاته لا يسمحون بتغيير الأسس العلمانية لتركيا. ومن المضحك المبكي أن الحجاب كان ممنوعاً ارتداؤه في جميع مؤسسات الدولة منذ عهد أتاتورك إلى أن تجرأ أردوغان في أكتوبر من السنة الماضية فقط أي في ٢٠١٣م فقرر إنهاء الحظر المفروض على ارتداء الحجاب في المؤسسات الحكومية ومع ذلك فإن هذه اللوائح الجديدة لن تطبق على مؤسسة القضاء أو الجيش!!!.

ومن العجيب بعد ذلك أن يقول الدكتور عدنان بأسلوبه الساخر المتهكم: ((لا علل الله هذه الــ: لعل!!. لا لبى الله هذا الرجاء!! أقسم بالله ياخي)). انتهى. وكأن تركيا الآن لا تزال في أحضان الخلافة الإسلامية العثمانية وثمة من يرجو أن تعود تركيا إلى الكفار!!!.

فالأمر بات واقعاً لا لعل فيه فتركيا الآن علمانية وكل تحالفاتها هي مع أعداء الإسلام بدءاً من كونها عضو في حلف شمال الأطلسي [حلف الناتو] مروراً بالتعاون العسكري والتسليحي القائم إلى الآن بين تركيا وإسرائيل وانتهاءً بسعيها الحثيث والدؤوب على الانضمام إلى دول الاتحاد الأوروبي والله أعلم هل سيتوقف السوء عند هذا الحد أم ماذا يخبئ المستقبل؟.

فأي الأمرين بعد ذلك أحق بالرجاء أن يتحقق الحديث وتفتتح قسطنطينية من جديد لتعود إلى أحضان الأمة الإسلامية أم رجاء الدكتور عدنان وقوله: ((لا لبى الله هذا الرجاء!!)).

فإن كان ثمة لعل يمكن أن تقال في هذا المقام فهي لعل فتح تركيا بما فيها القسطنطينية أو اسطنبول حالياً يتحقق قريباً على ما بشر ووعد الصادق المصدوق وفق هذه الرواية لتعود من جديد لتدافع عن الإسلام ومصالح المسلمين لا عن مصالح حلف الناتو. وعلى هذه الــ (لعل) فنحن نقول للدكتور عدنان الذي لا يتمنى أن تعلل هذه الــ (لعل): بل علل الله تعالى هذه الــ لعل ولبى الله هذا الرجاء على النحو الذي يرضاه الله تعالى ويرتضيه ويرضى به عنا أجمعين اللهم آمين آمين آمين.

ثانياً وأخيراً:

إن من الملاحظ مما سبق أن كل مرة يرد فيها الدكتور عدنان كلام علمائنا في تفسير آية أو شرح حديث بوصفه لكلامهم بالتكلفات الباردة نجد أن التحقيق يثبت العكس وأن كلام الدكتور عدنان هو الحري بهذا الوصف.

ومن تأمل بعد ذلك قول الدكتور عدنان: ((ما الكلام الفارغ هذا؟!! تكلفات باردة عجيبة!!!!!!. من أجل تصحيح أحاديث لأنها في الصحاح. كأن النبي قطعاً قالها. النبي ما قالها ولا درى بها وحسبنا الله ونعم الوكيل)). انتهى. تعجب **هل هكذا يكون التحقيق العلمي الرصين؟!!** وهل بمثل هذه السطحية وهذه المنهجية تحقق الأحاديث؟!! وهل بمثل هذا الكلام الإنشائي والذي هو أحرى بأن يوصف بالكلام الفارغ والدعاوى الفارغة هل بمثل هذا تنبني عقائد أتباعه ومفكريه؟!!.

إن المتأمل بعد ما سبق وما سيأتي لاحقاً بمزيد بيان شافٍ بإذن الله تعالى يتيقن أن هذا النهج ليس نهجاً إصلاحياً للخطاب الديني كما يزعم أصحابه بل هو إفساد لعقائد المسلمين وتشكيك لهم في عقائدهم وثوابتهم التي هم ثابتون عليها طيلة هذه القرون الماضية وإلى أن يشاء الله تعالى. فهؤلاء بانقلابهم على ثوابت الأمة وتسفيههم لها شاؤوا أم أبوا ينطبق عليهم قول الحق سبحانه وتعالى: {وَإِذَا قِيلَ **لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ** قَالُوا **إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** * أَلَا إِنَّهُمْ **هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ **آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ** قَالُوا **أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ** أَلَا إِنَّهُمْ **هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ**} [البقرة:١١-١٣]. صدق الله العظيم.

وقد حذر القرآن من يتبع غير سبيل المؤمنين [[لأنه يراهم سفهاء كما في الآية السابقة كما في كلام الدكتور عدنان بقوله: ((معظم الأمة جاهلة)) وقوله: ((والحمقى أيها الإخوة وهم كثيرون كثيرون في هذه الأمة ممن ينتحلون اسم العلم والعلماء والمشيخة))] حذرهم في قوله تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى **وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ** نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء:١١٥]. صدق الله العظيم.

١٣/ قال الدكتور في معرض حديثه عما يراه دليل بطلان عودة المسيح عليه السلام من القرآن قال في الدقيقة [٣٦:٣٠ - ٣٨:٥٩].:

((أنا أقول لكم اضربوا كشحاً أو ليتاً بل كشوحاً عن هذه الأحاديث فقط مرحلياً لنصف ساعة ثم اقرؤوا الأدلة من كتاب الله. وتوهموا خلو ذهنياتكم أذهانكم من هذه الأحاديث. ليس في كتاب الله آية واحدة أيها الإخوة تصرح بعودة المسيح بل فيه آي وآي وسنن إلهية معبر عنها بلفظ رباني معجز بليغ بديع قاطع ماضٍ أيها الإخوة شافٍ كافٍ أنه مات كشأن إخوانه المرسلين. مش هو نبي مش هو رسول مش ماتوا من قبله؟. وهو أيضاً ماتً. {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} قال زيه زيهم. مش ماتوا؟ الله قال هو مات كمان!!. ولذلك قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ} لا يا عدنان يمكن الله قال إلا عيسى ابن مريم ما احنا لا نقرأ أمة جاهلة!! لا مقالش هذا. الله مقالش. الرواة أبو فلان وأبو علان!! قالوا: آ. ابن مريم استثناء. الله ما قال استثناء قال هذه سنة كونية {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ} قال: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} خلت. انقرضت وبادت وفنيت. مثل ما فنيت الرسل قبل عيسى فنيت الرسل قبل مين؟ قبل محمد. والمقصود مَن أصالة هنا بالذات؟! عيسى!! هذه الآية إشارة إلى عيسى بالذات!!! ثم بعد ذلك إلى مَن قَبل عيسى. لماذا لأن أولى الأنبياء بعيسى محمد عليه السلام!! قال: أنا أولى الناس بابن مريم ليس بيني وبينه نبي. إذاً أول واحد ينضوي تحت هذه الآية عيسى ابن مريم. خلا: مات وفني. لذلك في العتبية كما قال العلامة الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير قال: في جامع العتبية عن الإمام مؤسس المذهب مالك بن أنس رضوان الله عليه قال: مات عيسى عن ثلاث وثلاثين سنة. مات. مات [التكرار من الدكتور للتأكيد]. الله قال: {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي} {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}. مات. بقول الإمام مالك: مات. على كل حال ما في علاقة لزومية بين أنه مات ولن يعود!!. بعضهم يقول مات وسيعود. وبعضهم يقول مات ولن يعود. نحن مع الفريق الثاني. مات ولن يعود)).

الرد:

أولاً:
من الغريب ومن العجيب دعوة الدكتور عدنان هذه أن نضرب عن الأحاديث رغم تواترها كشحاً بل كشوحاً ومن غير المقبول أن نفعل ذلك لا مرحلياً لنصف ساعة فقط ولا حتى لثانية واحدة. وأي عقل هذا الذي يطالب بذلك؟!!. هل تريد أن ألغي عقلي لا لشيء سوى لأسلم لك بما تريده؟!!.

وهل هذه طريقة سليمة ومنهجية علمية رصينة لتحقيق المسائل بشكل علمي رصين؟!!.

إن هذا يذكرني بأحد الكتاب الذي كتب مقالاً سرد فيه الآيات القرآنية التي أنزلها الله تعالى في الصلاة ثم قال: (وخلاصة القول أن الله فرض علينا ثلاثة أوقات تقام فيها الصلاة: صلاة في أول النهار وتسمى الفجر وصلاة في آخر النهار وتسمى الوسطى وصلاة في أول الليل وتسمى العشاء. ولم يترل الله غير هذا إلا ما كان نافلة في الليل. ومن قال غير هذا فقد افترى على الله كذباً وقال على الله ما لم يترل به سلطاناً). انتهى.

ويمكنني أن أضيف من عندي بمنهجية ومنطق الدكتور عدنان: أنا أقول لكم اضربوا كشحاً أو ليتاً بل كشوحاً عن هذه الأحاديث والأخبار التي فيها ذكر أن الصلوات عددها خمس فقط مرحلياً لنصف ساعة ثم اقرؤوا الأدلة من كتاب الله. وتوهموا خلو ذهنياتكم أذهانكم من هذه الأحاديث ستجدون صحة القول أنها فقط ثلاث صلوات لا خمس.

وأزيد أيضاً بمنهجية الدكتور عدنان وأسلوبه: واذهبوا إلى كتب التفاسير أيها الإخوة وسوف ترون تأويل الآيات الوارد فيها ذكر الصلاة التأويلات الفارغة والتكلفات الباردة التي لا معنى لها من أجل أن يجعلوها خمس صلوات وحسبنا الله ونعم الوكيل!!!!!.

فعلى المسلم أن يكون كَيِّساً فطناً وليحذر من هذا المسلك ولينتبه إلى خطورته وقد جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل:
(عن المِقدام بن مَعْدِ يْكَرِبَ الكِندي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيتُ الكتابَ **ومثلَه معه**. ألا إني أوتيت القرآن **ومثله معه**. **ألا يوشك رجل ينثني شبعاناً على أريكته يقول: عليكم**

بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. ألا لا يحل لكم لحمُ الحمار الأهلي. ولا كلُّ ذي ناب من السباع. ألا ولا لُقَطَةٌ من مال معاهد إلا أن يستغنيَ عنها صاحبُها. ومن نزل بقوم فعليهم أن يَقْروهم. فإن لم يَقْروهم فلهم أن يُعقِبوهم بمثل قِراهم)). انتهى.

وفي سنن أبي داود:

(عن العِرْباض بن ساريةَ السُّلَميِّ قال: نزلْنا مع رسول صلَّى الله عليه وسلم خيبرَ ومعه مَنْ معه من أصحابه. وكان صاحبُ خيبرَ رجلاً مارِداً منكَراً فأقبلَ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم فقال: يا محمدُ ألكم أن تذبَحوا حُمُرَنا وتأكلُوا ثمرَنا وتضربُوا نساءنا؟! فغضِب – يعني رسول الله صلَّى الله عليه وسلم – وقال: (يا ابن عَوْفٍ اركَبْ فرَسَك ثم نَادِ: ألا إن الجنة لا تحِلُّ إلا لمؤمنٍ وأنِ اجتمِعُوا للصلاة). قال: فاجتمَعُوا ثم صلَّى بهم النبي صلَّى الله عليه وسلم ثم قام فقال: (أيحسبُ أحدُكم مُتكئاً على أريكته قد يَظنُّ يقولُ: **إنَّ الله لم يُحرِّم شيئاً إلا ما في هذا القرآن ألا وإنِّي والله قد أمَرْتُ وَوعَظْتُ ونَهيتُ عن أشياء إنّها لمثلُ القُرآن أو أكثر** [أي في العدد]. وإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يُحِل لكم أن تَدخُلوا بُيوتَ أهلِ الكتابِ إلاَّ بإذنٍ ولا ضرْبَ نِسائِهم ولا أكلَ ثِمارِهم إذا أعطَوكُمُ الذى عليهم)). انتهى.

وفي سنن أبي داود أيضاً:

(عن عُبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: (لا أُلْفِيَن أحدَكُم مُتَّكئاً على أريكَتِه يأتيه الأمرُ من أمري مِمَّا أمرْتُ به أو نَهَيتُ عنه فيقول: **لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعناه**)). انتهى.

وفي سنن الترمذي:

(عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلاَ هَلْ عَسَى **رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِه فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ الله فَمَا وَجَدْنَا فِيه حَلاَلاً اسْتَحْلَلْنَاهُ. وَمَا وَجَدْنَا فِيه حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ. وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ الله كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ**). انتهى.

وفي مسند أبي يعلى:

(حدثنا أبو الربيع حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن يزيد الرقاشي عن محمد بن المنكدر حدثنا جابر بن عبد الله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عسى أن **يكذبني رجل وهو متكئ على أريكته يَبلغه الحديث عني فيقول: ما قال ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

دع هذا وهات ما في القرآن)). انتهى. **صدقت يا سيدي يا رسول الله فقد جاءنا من يقول عن أحاديثك المتواترة: ((النبي ما قالها ولا درى بها))**.

وعليه فالسنة وخاصة المتواتر منها كالقرآن ركن ركين من أركان هذا الدين فالقرآن نفسه يقول: {وَمَا **آتَاكُمُ الرَّسُولُ** فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر:٧]. وفي القرآن: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ **إِلَى الرَّسُولِ** وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ **لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ** مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء:٨٣]. وقبل هذا وذاك قوله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ **حَتَّى يُحَكِّمُوكَ** فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ **ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**} [النساء:٦٥].

والعجيب أن الدكتور عدنان في هذه الدعوة ما هو إلا مردد لكلام من سبقه فهذه الدعوة بعينها قد أطلقها ودعا إليها صاحب الفتوى التي رد عليها الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه "البرهان" حيث قال الغماري في رده عليها:

(وقوله: ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التي لا ينبغي أن تحكم في القرآن. ينطوي على أمر خطير جداً لأنه يحض على تجاهل السنة ويحرض على عدم الرجوع إليها في تفسير القرآن العظيم. **وليت شعري بماذا يفسَّر كلامُ الله إذا لم يُرجع في تفسيره إلى كلام رسول الله وكلام أصحابه؟!** يقول الله لنبيه: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ **لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**}. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال في القرآن **بغير علم** فليتبوأ مقعده من النار). ثم يجيء الشيخ في آخر الزمان فيقول: يُكتفى في تفسير كلام الله بما يفهمه القارئ **الخالي الذهن من السنة. أي لا علم عنده بها** ولا شعور **فيجعل الجهل شرطاً في التفسير!!**). انتهى.

وفي موضع آخر يقول:

(وقد قال مكحول والأوزاعي وغيرهما: **القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن**. وقال يحيى بن أبي كثير: **السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب قاضياً على السنة**. قال ابن عبد البر: **إنها تقضي عليه وتبين المراد منه** أهـــ. ولهذا كان عمر رضي الله عنه يقول: **خذوا أهل الأهواء بالسنن فإن القرآن ذو وجوه**). انتهى.

ثانياً:

إن قضية عودة المسيح عليه السلام مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقضية رفع عيسى إلى السماء إلى حين نزوله وعودته فهما إذاً وجهان لعملة واحدة. **وقضية رفع عيسى إلى السماء ثابتة في موضعين**: موضع: {**وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [آل عمران:٥٥]. وموضع: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ** وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء:١٥٧،١٥٨].

وإذا ما ضم ذلك لآيتي تكليم عيسى عليه السلام للناس في سن الكهولة على تأويل ذلك حين عودته على ما سبق بيانه إضافة إلى ضم ذلك لما جاء في حق مريم عليه السلام في قوله تعالى: {وَلَمَّا **ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ** مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ **مِنْهُ** يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ **هُوَ** مَا **ضَرَبُوهُ** لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ **هُوَ** إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا **عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ** مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ * **وَإِنَّهُ** لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [الزخرف:٥٧-٦١]. الصريحة في كون ابن مريم عليه السلام علم من أعلام الساعة وأشراطها كان ذلك جلياً في أن قول الدكتور عدنان: ((ليس في كتاب الله آية واحدة أيها الإخوة تصرح بعودة المسيح)). انتهى. ليس له وجه من الصحة حتى إذا ضربنا عن الأحاديث التي تواترت في التصريح بعودة المسيح كشحاً أو حتى كشوحاً كما طلب الدكتور عدنان فكيف إذا جاءت الأحاديث المتواترة تؤكد ذلك وتجليه ولا تُبقي معه مجالاً للشك أو للقيل والقال؟!!.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن في القرآن قوله تعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ **جَاءَ أَشْرَاطُهَا** فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ} [محمد:١٨]. فقد بينت الآية أن للساعة أشراطها وهي علاماتها وأمارات اقترابها. وقد ابتدأ مجيء علاماتها ببعثة النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين لما جاء في الحديث: (بعثت أنا والساعة كهاتين). ويتوالى مجيء أشراطها منذ ذلك الحين ومن ذلك انشقاق القمر في عهده صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [الْقَمَرِ:١]. وأشراطها في توالي واستمرار إلى حين طلوع الشمس من مغربها وإلى قيام الساعة نفسها.

وقد جاء في القرآن الإشارة إلى بعض هذه الأشراط والعلامات وليس كلها كخروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان وخروج الدابة التي تكلم الناس والدخان.

وليس كل شيء مذكوراً في القرآن فقط فقد ذُكر في القرآن مالك خازن النار و لم يذكر في المقابل رضوان خازن الجنة ولكنه مذكور في السنة. وقد ذُكِر الإسراء صراحة في القرآن و لم يُصرَّح بالمعراج وهو مذكور في السنة. وقد صُرِّح في القرآن بأبي البشر آدم عليه السلام و لم يُصرَّح باسم حواء وهو مذكور في السنة.

فعدم ذكر علامة من علامات الساعة في القرآن لا يعني شيئاً فما لم يذكره القرآن من علامات أوكل الله تعالى مهمة ذكره لنبيه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فجاء تفصيل ذكر علامات الساعة في السنة النبوية ومنها علامة خروج الدجال وعلامة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان فيقتل الدجال.

قال ابن كثير في تفسيره:
(وقد أخبر صلوات الله وسلامه عليه بأمارات الساعة وأشراطها وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله كما هو مبسوط في موضعه). انتهى.

فالتحذير من فتنة الدجال مثلاً جاء في سنة النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وقد قال تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ **وَرَسُولَهُ** وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ** * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ** وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ **وَلِلرَّسُولِ** إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال:٢٠-٢٥].

ومن تأمل الآية الأخيرة من قوله تعالى: {**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**} وجدها تتضمن كل فتنة مرت بالأمة في الماضي وستمر عليها في المستقبل فيدخل فيها فتنة الدجال التي أوكل الله تعالى مهمة ذكرها والتحذير منها كغيرها من الفتن لنبيه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

وكثير من الفتن التي تنكوي بها الأمة منذ قرون وإلى يومنا هذا لم يذكرها القرآن كفتنة الاقتتال بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وما سببته هذه الفتنة من انقسام الأمة إلى يومنا هذا إلى سنة وشيعة.

ومن ثم فكما أن فتنة كفتنة قتل ابن بنت رسول الله سيدنا الحسين عليه السلام غير مذكورة في القرآن وذكرت في السنة النبوية وهو ما كان فكذلك فتنة الدجال وقتله على يد عيسى عليه السلام ذكرت في السنة دون القرآن فهو كائن حتماً.

ومن جهة أخرى أيضاً وعلى التسليم أنه ليس في القرآن آية تصرح بتزول المسيح وعودته عليه السلام فليس في المقابل في القرآن آية واحدة تصرح ببطلان هذا الاعتقاد وكفى بهذا دليلاً على صحة ذلك لأن الله تعالى حرص في القرآن على نفي جميع معتقدات أهل الكتاب الباطلة فنفى ما ادعته اليهود من أن عزيراً ابن الله ونفى ما ادعوه وافتروه على الصديقة مريم وبهتانهم لها بهتاناً عظيماً ونفى عقيدة ألوهية المسيح أو أنه ابن الله ونفى عقيدة التثليث كما تزعم النصارى ونفى عقيدة الصلب كما تزعم النصارى وأن اليهود قتلوه وصلبوه كما يزعم اليهود.

ومع ذلك لم ينف القرآن ولا مرة ما يعتقده النصارى في عودة المسيح وأنه الآن في السماء ولا ما يعتقده اليهود في ملكهم المسيح المنتظر وهذا وحده كافٍ شافٍ في أن المسيح آتٍ لا محالة ولهذا لم ينف القرآن ذلك بل جاء بما يفيده ولو تلميحاً على ما سبق ولو كانت عقيدة باطلة لما كان القرآن قد سكت عنها مثلما لم يسكت عن غيرها فهل بعد هذا الدليل من دليل؟!!!.

ثالثاً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((بل فيه آي وآي وسنن إلهية معبر عنها بلفظ رباني معجز بليغ بديع قاطع ماضٍ أيها الإخوة شافٍ كافٍ أنه مات كشأن إخوانه المرسلين)). انتهى.

فقد علق على مثل هذا الكلام الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه "البرهان" فقال:

(وقوله: متى وقف على سنة الله مع أنبيائه. يقال عليه: سنة الله مع أنبيائه مختلفة فمنهم من تسلط عليه أعداؤه حتى قتلوه. ومنهم من أنجاه الله. ثم طرق الإنجاء مختلفة ولكنها متفقة في أن النبي يبقى بعد إنجائه حياً لتقر عينه بهلاك أعدائه. وانظر إلى نوح وإبراهيم وموسى وهود وصالح ولوط ويونس وغيرهم عليهم صلوات الله كيف أبقاهم الله بعد إنجائهم حتى شاهدوا هلكة أعدائهم.

فسنة الله مع أنبيائه تقتضي أن يبقى عيسى بعد إنجائه حياً ليشاهد مكر الله باليهود وتقر عينه بذلك. وهذا نقيض ما يدعيه الشيخ فانظر كيف أتى بما هو دليل عليه وهو لا يشعر؟!!). انتهى.

رابعاً:

وأما قول الدكتور عدنان: (({مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ **قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ** وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} قال زيه زيهم. مش ماتوا؟ الله قال هو مات كمان!!.)). انتهى. فهو كلام مغلوط لا معنى له إذ لا صلة له بالموت أصلاً لا من قريب ولا من بعيد فالآية جاءت رداً على النصارى في ادعائهم ألوهية المسيح عليه السلام فجاءت الآية تخبر أنه عليه السلام ما هو إلا رسول كالرسل السابقين ويأكل الطعام كسائر البشر.

هذا هو السياق الذي جاءت فيه الآيات فمن قرأ الآيات من أولها تيقن من هذا المقصود الذي لا يمت للموت بصلة فقد قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائدة:٧٣-٧٥].

فالسياق واضح فيما ذكرناه والحمد لله رب العالمين. هذا من جهة ومن جهة أخرى فلفظة خلت من حيث اللغة لا تعني الموت إطلاقاً على ما سنذكره في النقطة التالية بعون الله تعالى وإذنه.

خامساً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((ولذلك قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ})). انتهى. وقوله: (({قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} خلت. انقرضت وبادت وفنيت. مثل ما فنيت الرسل قبل عيسى فنيت الرسل قبل مين؟ قبل محمد.)). انتهى. وقوله: ((خلا: مات وفني)). انتهى. فتفسير خلت وخلا بمعنى الموت والفناء هذا حري بأن يقال فيه ما قاله سابقاً متهكماً: اخترعوا معنىً جديداً لا تعرفه العربية(!!). وحري ان يقال فيه أيضاً: نتحدى في كل أدبيات العرب شعراً ونثراً أن تأتونا بلفظة خلا أو خلت بحيث تعني الموت. مستحيل العرب لم تعرف هذا!!.

فخلا وخلت في كل معاجم اللغة العربية بمعنى مضا ومضت ودونكم معاجم اللغة اقرؤوها لتتيقنوا من ذلك وإليكم أمثلة مما جاء فيها:

١) قال عالِم اللغة والنحو وأستاذ سيبويه الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفى عام ١٧٠هـ) في كتابه "العين" [وهو أول معجم في العربية كما سبق أن ذكرنا]:
(وخَلاَ قرن **أي مضى**). انتهى.

٢) وقال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى عام ٣٩٣هـ) في كتابه "تاج اللغة وصحاح العربية":
(وقوله تعالى: {وإنْ مِنْ أُمَةٍ إلاَّ **خَلا فيها نذيرٌ**} **أي مضى** وأُرسل). انتهى.

٣) وقال علامة اللغة والأدب نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ) في كتابه "شمس العلوم":
(**والقرون الخالية: الماضية**. قال الله تعالى: {**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِها أُمَمٌ**}). انتهى.

٤) وأخيراً قال الإمام اللغوي الحجة جمال الدين ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ) في كتابه "لسان العرب":
(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ **خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ**} يَقُولُ: يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ الَّذِي لَمْ أُعاجلهم بِهِ وَقَدْ عَلِمُوا مَا نَزَلَ مِنْ عُقوبَتِنا **بالأُمَمِ الْخَالِيَة** فَلَمْ يَعْتَبِرُوا بِهِمْ). انتهى.
وفيه أيضاً:
(**وَخَلَا الشيءُ خُلُوّاً: مَضَى**. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا **خَلا فِيها نَذِيرٌ**} **أَي مَضَى** وأُرْسِل. **والقُرون الخَالِيَة: هُم المَواضي**. ويُقَالُ: **خَلا قَرْنٌ فَقَرْنٌ أَي مَضى**. وَفِي حَدِيث جَابِرٍ: تَزَوَّجْت امرأَةً **قَدْ خَلا مِنْهَا**. **أَي كَبِرَتْ ومَضى مُعْظَم عُمْرِها**. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: فلمَّا **خَلا سِنِّي** ونَثَرْتُ لَهُ ذَا بَطْني. **تُرِيدُ أَنَّها كَبِرَت** وأَولَدت لَهُ). انتهى.

ويؤكد ذلك أيضاً قوله تعالى: {قَدْ **خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ** فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [آل عمران:١٣٧]. وقوله تعالى: {وَقَدْ **خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ**} [الحجر:١٣]. وقوله تعالى: {**سُنَّتَ اللَّه الَّتِي قَدْ خَلَتْ** فِي عِبَادِهِ} [غافر:٨٥]. **أي مضت لا ماتت وانقرضت وفنيت** فسنن الله تعالى في خلقه باقية لا تموت. ومنه أيضاً قوله تعالى: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي **الْأَيَّام الْخَالِيَة**} [الحاقة:٢٤]. **أي الماضية لا الميتة**.

سادساً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((ولذلك قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ **قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِه**} لا يا عدنان يمكن الله قال إلا عيسى ابن مريم ما احنا لا نقرأ أمة جاهلة**!!** لا مقالش هذا. الله مقالش. الرواة أبو فلان وأبو علان**!!** قالوا: آ. ابن مريم استثناء. الله ما قال استثناء)). انتهى.

فقد تبين معنا ابتداءً أن خلت هنا بمعنى مضت لا بمعنى ماتت فسواء دخل عيسى عليه السلام في الآية أم لم يدخل فليس في الآية إشارة إلى موته عليه السلام لا من قريب ولا من بعيد.

وعلى فرض أن الآية هنا بصدد الحديث عن الموت وفناء الرسل السابقين **فلا مفر فيها من القول بالاستثناء وإلا لدخل في هذا كل رسول أرسله الله تعالى قبل رسولنا** صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين **فيدخل في هذا جبريل رسول الوحي** إلى الأنبياء والذي أرسله الله تعالى إلى مريم يبشرها بعيسى كما قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا **فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا** فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا **أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ** لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا} [مريم:١٦-٢١]. **وكذلك الملائكة التي أرسلت إلى قوم لوط** في قوله تعالى: {قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا **الْمُرْسَلُونَ** * قَالُوا **إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ** مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ * فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ **الْمُرْسَلُونَ** * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ} [الحجر:٥٧-٦٥].

فإذا قال لنا الدكتور عدنان بأسلوبه المتهكم: يا أخي ما هذه التكلفات الباردة ما دخل الملائكة يا أخي الآية واضحة تتحدث عن الرسل الأنبياء من البشر. رددنا عليه بذات أسلوبه: ما احنا لا نقرأ أمة جاهلة**!!** لا مقالش هذا. الله مقالش. **الله ما قال قد خلت من قبله الرسل من البشر قال خلت من قبله الرسل ما قال استثناء** الرسل من الملائكة.

ولكن لما كانت المسائل لا يتم التحقيق فيها بشكل علمي من خلال الأساليب الإنشائية أو التهكمية فالذي لا مفر منه هو القول بأن الآية جاءت في سياق معين فلا ينبغي تحميلها فوق ما تحتمل. والسياق الذي جاءت فيه الآية هو معاتبة المسلمين على ما كان منهم في غزوة أحد لما انقلبت كفة المعركة لصالح المشركين وقتل من المسلمين من قُتل وأشيع بين صفوف المسلمين أن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين قد قُتل فدب الوهن والضعف وحصل التأخر عن القتال في صفوف المسلمين نزلت الآية تذكر المسلمين بأن نبيهم ما هو إلا رسول قد أرسل لمهمة محددة هي الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وهو في هذا كمن سبقه من إخوانه من الرسل فكان عليهم أن يثبتوا على ما جاءهم به من الحق فلا ينبغي لهم أن يتقهقروا وينقلبوا على أعقابهم بموته أو قتله.

قال ابن كثير في سبب نزول الآية:
(قال ابن أبي نجيح عن أبيه أن رجلاً من المهاجرين مر على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه فقال له: يا فلان أشعرت أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد قُتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد صلى الله عليه وسلم قد قُتل فقد بَلَّغ فقاتلوا عن دينكم. فنزل: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}. رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة). انتهى.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فكما قال ابن كثير في تفسيره:
(أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} أي: **له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه**). انتهى.

ولا يستلزم هذا أن كل من سبقه من الرسل قد ماتوا أو قتلوا بل منهم من جاز عليه الموت ومنهم من جاز عليه القتل ومنهم من جاز عليه الرفع.

فاجتثاث الآية من سياقها وتصويرها في معرض الحديث عن موت الرسل السابقين وفنائهم بأجمعهم تحميل للآية ما لا تحتمله لأنه فضلاً عما سبق بيانه في شأن الآية فإن كلمة {خَلَتْ} الواردة في الآية هي بمعنى مضت وسبقت لا بمعنى ماتت وفنيت كما هو مثبت في معاجم اللغة بأسرها وكما دللنا عليه آنفاً.

واستكمالاً لضرورة التنبيه على ضرورة فهم الآيات القرآنية عموماً في إطار السياق الذي جاءت فيه والسياق الذي جاءت من أجله وخطأ الفهم السطحي للآية بعيداً عن المقصود الحقيقي المراد من الآية

وبعيداً عن سياقها فإن استدلال الدكتور عدنان هذا يذكرني **باستدلال شبيه يستدل به القاديانية** أتباع القادياني المتنبئ الكذاب على موت عيسى عليه السلام وهو استدلالهم على ذلك بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ **يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * **أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ** وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النحل:٢٠،٢١].

قالوا: أي كل من اتخذهم الناس آلهة أموات غير أحياء فالآية منطبقة على عيسى عليه السلام!!. وقالوا: وليس الحديث عن الأصنام لأنها لا تموت ولا تبعث!!.

وهذا الاستدلال في الحقيقة ينطبق عليه قول الحق سبحانه وتعالى: {كَذَلِكَ **قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ** قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [البقرة:١١٨].

فكلامهم هذا تماماً كما فعل الكفار لما نزلت آية: {إِنَّكُمْ **وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ** أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [الأنبياء:٩٨]. فقد قال ابن كثير في تفسيره:
(عن ابن عباس قال: جاء عبد الله بن الزبعرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} فقال ابن الزبعرى: قد عُبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير **وعيسى ابن مريم. كل هؤلاء في النار مع آلهتنا**. فنزلت: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**} ، ثم نزلت: {**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**}. رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه "الأحاديث المختارة"). انتهى.

فهؤلاء القاديانية بإسقاطهم الآية الواردة في حق الأصنام على عيسى عليه السلام [الذي هو ممن سبقت لهم من ربهم الحسنى فلا متعلق للآيات بهم لا من قريب ولا من بعيد] سلفهم في ذلك كفار قريش فحقيق بهم قوله تعالى: {**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**}.

وأما استدلالهم على أن الأصنام لا تموت وبالتالي هي غير مقصودة من الآية فالآية لم تقل يموتون بل قالت {أَمْوَاتٌ} وتفسيرها عند المفسرين: أي هذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله تعالى لا حياة فيها ولا روح أصلاً فكيف تكون آلهة؟!.

وأيضاً لو كانت الآية على غير سياقها الوارد في الأصنام فتشمل عيسى عليه السلام بحسب فهم القاديانية فهذا يستلزم أن تشمل الملائكة والجن أيضاً لأن هناك من عبد الملائكة والجن كما قال تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ **لِلْمَلَائِكَةِ** أَهَؤُلَاءِ **إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ** * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ **بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ** أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [الزخرف:٤٠،٤١]. **فهل الجن والملائكة أموات أيضاً؟!!.**

وأما استدلالهم على أن الأصنام لا تبعث أيضاً والآية تقول: {وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} تأكيداً على أن الآية لا تعني الأصنام فهذا دليل على فرط جهل القاديانية فالآية لم تقل أنهم لا يُبعثون بل قالت أنهم لا يشعرون ولا يعلمون متى يُبعثون مُعلمة بذلك أنهم يبعثون كغيرهم من المخلوقات ولكنهم لا يشعرون ولا يعلمون متى ذلك تقريعاً لمن يعبدهم وهذا حالهم ولكن القاديانية قوم يجهلون.

وتأكيداً على ذلك فقد قال أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى عام ٧٧٥هـــ) في كتابه "اللباب في علوم الكتاب":
(قال ابن عباس رضي الله عنه: إنَّ الله تعالى **يبعث الأصنام** لها أرواحٌ ومعها شياطينها فتتبرَّأ من عابديها **فيُؤمرُ بالكلِّ إلى النَّارِ**). انتهى. ويؤيده قوله تعالى: {إِنَّكُمْ **وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**} [الأنبياء:٩٨].

وهكذا يتجلى معنا ضرورة عدم الجمود على ظاهر الألفاظ وإنما الغوص إلى جوهر المعنى المراد والمغزى الحقيقي من الآية حتى لا نقع فيما وقع فيه هؤلاء القاديانية ممن انطبق عليهم قوله تعالى: {**انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا**} [الفرقان:٩].

سابعاً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((هذه سنة كونية {**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ**})). انتهى. فهو كذلك لا يخرج عن اجتثاث الآية من سياقها وتحميلها فوق ما تحتمله ووضع النصوص في غير موضعها الصحيح وهذا يذكرني بما نقله التقي الغزي (المتوفى عام ١٠١٠هـــ) في كتابه "الطبقات السنية في تراجم الحنفية" قال:

(وروي أن أبا حنيفة كان يتكلم في مسألة من المسائل القياسية وشخص من أهل المدينة يتسمع فقال: ما هذه المُقايسة دعوها فإن أول من قاس إبليس. فأقبل عليه أبو حنيفة فقال: يا هذا **وَضَعْتَ الكلام في غير**

موضعه. إبليس رَدَّ على الله تعالى أمره. قال الله تعالى: {إِذْ قُلْنَا لِلمَلائكَة اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدوا إلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ}. وقال تعالى: {فَسَجَدَ المَلائكَةُ كُلُّهم أجْمَعُون * إلا إبليسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدين}. وقال: {إلا إبليسَ أَبَى وَاسْتَكْبَر وَكَانَ مِنَ الكَافِرينَ}. وقال: {أأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً}. فاستكبر ورد على الله أمره. وكل من رَدَّ على الله تعالى أمره فهو كافر.

وهذا القياس الذي نحن فيه نطلب فيه اتباع أمر الله تعالى لأنا نرده إلى أصل أمر الله تعالى في الكتاب أو السنة أو إجماع الصحابة والتابعين فلا نخرج من أمر الله تعالى ويكون العمل على الكتاب والسنة والإجماع فاتبعنا في أمرنا إليها أمر الله تعالى. قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطيعوا الله وأَطِيعوا الرَّسُولَ وَأولِي الأمْرِ مِنْكُمْ} إلى قوله: {وَالْيَومِ الآخِرِ}.

فنحن ندور حول الاتباع فنعمل بأمر الله تعالى. وإبليس خالف أمر الله تعالى ورده عليه **فكيف يستويان؟!**. فقال الرجل: غلطت يا أبا حنيفة وتُبتُ إلى الله تعالى فنور الله قلبك كما نورت قلبي). انتهى.

فمثل هذا في وضع النص في غير موضعه الآية التي استشهد بها الدكتور عدنان فقد جاءت في سياق الإشارة إلى أن كل نفس ذائقة الموت فالآية مرتبطة بما بعدها قال تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ **متَّ** فَهُمُ الْخَالِدُونَ * **كُلُّ نَفْسٍ ذَائقَةُ الْمَوْت** وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [الأنبياء:٣٤،٣٥]. فالخلود المنفي في الآية هو الخلود الذي لا موت معه ولهذا قال: {أَفَإِنْ **متَّ** فَهُمُ الْخَالِدُونَ} أي أئذا مت فهم الخالدون أي بلا موت؟.

ولهذا قال الله تعالى في محكم تنزيله: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ **ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُود**} [ق:٣٤]. وقد فسر هذه الآية حديث ذبح الموت الذي في البخاري وفيه: (يا أهل الجنة **خلود فلا موت**. ويا أهل النار **خلود فلا موت**). انتهى. فهذا هو الخلود أي البقاء الأبدي بلا موت.

وهو ما أكده وبينه بوضوح وجلاء ارتباط آية نفي الخلد بالآية التي تليها: {**كُلُّ نَفْسٍ ذَائقَةُ الْمَوْت** وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً **وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**}.

فهل قال أحد أن عيسى عليه السلام مخلد وأنه بعد نزوله لن يذوق الموت؟!! أو أنه لن يرجع إلى ربه؟!!.

فغاية ما تفيده الآية أن الدنيا ليست دار خلد لأحد بحيث لن يموت فيها أبداً بل كل نفس ذائقة الموت وإلى الله تعالى راجعة وهذا منطبق على عيسى عليه السلام فهو حي إلى حين نزوله آخر الزمان وانقضاء أجله وحينها سيسري عليه قانون الموت كغيره من البشر عليه وعلى رسولنا أشرف الصلوات وأزكى وأتم التسليمات.

ثامناً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((والمقصود مَن أصالة هنا بالذات؟! عيسى!! هذه الآية إشارة إلى عيسى بالذات!!! ثم بعد ذلك إلى مَن قَبل عيسى. لماذا لأن أولى الأنبياء بعيسى محمد عليه السلام!! قال: أنا أولى الناس بابن مريم ليس بيني وبينه نبي. إذاً أول واحد ينضوي تحت هذه الآية عيسى ابن مريم)). انتهى. فقد سبق أن سلمنا بأن الآية تشمل عيسى عليه السلام وكل من سبق ومضى من الرسل وأن معنى خلت من قبله الرسل أي مضت وسبقت من قبله الرسل وأنه ليس من معاني الخلو الموت وبيّنا سياق الآية ومغزاها بما لا مزيد عليه.

ولكن المفاجأة الصادمة أن الدكتور عدنان يستدل على أن الآية تقصد أصالة وبالذات عيسى ابن مريم يستدل على ذلك وياللمفاجأة بما جزم أن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين قاله وهو حديث: (أنا أولى الناس بابن مريم ليس بيني وبينه نبي). والمفاجأة تتضح عندما نذكر الحديث بتمامه. والحديث بتمامه مذكور في مسند إسحاق بن راهويه وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل وفي مسند أبي داود الطيالسي وفي مسند البزار وفي مصنف ابن أبي شيبة.

وذكره بتمامه أيضاً ابن حبان في صحيحه قال:

(أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى قال: حدثنا هُدْبة بن خالد قال: حدثنا هَمام بن يحيى قال: حدثنا قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الأنبياء كلهم إخوة لعَلاَّت. أمهاتهم شتى ودينهم واحد. **وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم**. إنه ليس بيني وبينه نبي. **وإنه نازل**. إذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين مُمَصَّرَيْن [وفي رواية بين ممصرتين والثياب الممصرة هي التي فيها صفرة خفيفة] كأنَّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل. فيقاتلُ الناس على الإسلام فيدقُّ الصليب ويقتلُ الختزير ويضعُ الجزية ويُهلكُ الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام. ويُهلكُ المسيحَ الدجال. وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الأسدُ مع الإبل والنِّمارُ مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم. فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يُتوفى فيُصلِّي عليه المسلمون صلوات الله عليه). انتهى.

فكيف يستدل الدكتور بالحديث جازماً بصحته وفيه ما ينكره بل كل خطبته قائمة على إنكار ما جاء فيه؟!!.

تاسعاً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((لذلك في العتبية كما قال العلامة الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير قال: في جامع العتبية عن الإمام مؤسس المذهب مالك بن أنس رضوان الله عليه قال: مات عيسى عن ثلاث وثلاثين سنة)). انتهى.

فقد علّق الكوثري رحمه الله تعالى [الذي وصفه الدكتور عدنان بالعلامة الكبير] على هذا في تقريظه على كتاب "البرهان" للغماري فقال:

(وليس ما في العتبية من عزو موته وهو ابن ثلاث وثلاثين إلى مالك رضي الله عنه بصالح أن يكون عذراً لمن شذ وقال بموته حيث لا مستند له من الكتاب والسنة والإجماع إزاء تلك الجبال الشواهق من الحجج.

على أن العتبية المعروفة بالمستخرجة اشتهرت بين المالكية بأنها مجمع الروايات المطروحة والمسائل الشاذة. وأن جامعَها كان يُؤتَى بالمسألة الغريبة فإذا أعجبته قال أدخلوها في المستخرجة.

بل قال ابن عبد الحكم رأيت جلها كذباً ومسائل لا أصول لها. فالاغترار بها اغترار في غير محله. إلا أن حب الشذوذ مرض في بعض النفوس). انتهى.

وإذا أراد الدكتور منا أن نسلم بهذا الذي جاء في العتبية فليسلم معنا بما يلي مما جاء فيها عن إمام المذهب أيضاً فقد قال الفقيه المالكي أبو الوليد الباجي الأندلسي (المتوفى عام ٤٧٤هـــ) في كتابه "المنتقى شرح الموطأ":

(وفي "العُتبية" عن مالك قال: بينما النَّاس بِلُدٍّ إذ يسمعون الإقامة – يريد الصّلاة – فتغشاهم غمامة **فإذا عيسى ابن مريم قد نزل**). انتهى.

هذا فضلاً عن أن الإمام مالك روى في موطئه الثابت عنه أكثر من حديث في الدجال الذي ينكره الدكتور عدنان فلا تفيده محاولة إقحام الإمام مالك رضي الله تعالى عنه فيما يعتقده ويروج له. ومن

المعلوم أن الموطأ قد تواترت نسبته ونسبة ما فيه إلى الإمام مالك منذ أن ألفه وإلى يومنا هذا بما لا يقبل الشك ولا يدع مجالا للريب خلافاً لما نسب له في العتبية.

ولعل الإمام مالك رحمه الله تعالى ورضي الله تعالى عنه وأرضاه وعن سائر الأئمة الأربعة قال توفي عيسى عن ثلاث وثلاثين سنة وهو يقصد وفاة القبض والاستيفاء إلى السماء فظن السامع أنه يقصد وفاة الموت.

أو لعل الإمام على بعد هذا الاحتمال ممن يرى أن عيسى عليه السلام قد مات ورفع إلى السماء وسيعود ثانية في آخر الزمان.

لهذا كله فلا يمكن التعويل بحال من الأحوال على هذا المنسوب للإمام مالك لضعفه من جهة ولاحتمال تأويله على ما مر والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال على ما هو معلوم. فضلاً عن مخالفته للثابت المشهور عن الإمام وأتباعه على ما مر أيضاً.

عاشراً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((على كل حال ما في علاقة لزومية بين أنه مات ولن يعود!!. بعضهم يقول مات وسيعود)). انتهى. فهذا أيضاً من المضحكات المبكيات فبعد أن أطال النفس في إثبات موت عيسى عليه السلام وما صرفه من وقت في الاستشهاد بالآيات **نقض كل ما غزله** ببيان أنه حتى على التسليم بأنه مات فالذين قالوا بهذا قالوا أنه مات ورفعه الله إلى السماء وسيعود في آخر الزمان.

على أنه لم يقل بهذا إلا ابن حزم الظاهري. ونُسب إلى وهب بن منبه قوله في تأويل آية {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}: **توفّى الله تعالى عيسى** عليه السلام ثلاث ساعات من النهار **ثم رفعه إليه**.

ومع شذوذ القول برفعه ميتاً فقد تبين بإقرار الدكتور عدنان نفسه أنه لا يتعارض مع القول بنزول عيسى عليه السلام وعودته في آخر الزمان.

وهو ما سبق أن قلنا نصاً بقولنا:

(فحتى تفسير معنى متوفيك بوفاة الموت كما يريد الدكتور عدنان وعلى الرغم من أنه غير مسلم به على الإطلاق فإن ذلك على التسليم به لا يتعارض مع القول برفع عيسى عليه السلام وعودته آخر الزمان بل

غاية ما يؤدي إليه أن الله تعالى في تلك اللحظة التي حاول اليهود فيها الإمساك به وقتله عليه السلام لم يمكنهم الله تعالى من ذلك بل توفاه [سواء بالموت أو بالنوم] ثم رفعه إلى السماء وهو هناك الآن إلى أن يأذن الله تعالى بعودته ثانية ونزوله آخر الزمان.

وبالتالي فقوله هذا لا محل له من الإعراب وفي غير محله قطعاً وسيتجلى معنا ذلك لاحقاً بإقرار الدكتور عدنان نفسه كما سيأتي بإذن الله تعالى). انتهى. وها قد أتى هنا ما أشرنا إليه هناك.

على أن الصحيح **الذي يقتضيه التحقيق العلمي** هو الرفع حياً من غير موت لما سبق معنا ولقول القرطبي في تفسيره:
(والصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس وقاله الضحاك.

قال الضحاك: كانت القصة لما أرادوا قتل عيسى اجتمع الحواريون في غرفة وهم اثنا عشر رجلا فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة، فأخبر إبليس جمع اليهود فركب منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة. فقال المسيح للحواريين: أيكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة؟ فقال رجل: أنا يا نبي الله فألقى إليه مَدْرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه وألقي عليه شبه عيسى فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه. وأما المسيح فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فطار مع الملائكة.

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير **عن ابن عباس** قال: لما أراد الله تبارك وتعالى أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وهم اثنا عشر رجلاً من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال لهم: أما إن منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي. ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم فقال أنا. فقال عيسى: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا. فقال عيسى: اجلس. ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا. فقال نعم أنت ذاك. فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام. قال: **ورفع الله تعالى عيسى** من روزنة كانت في البيت إلى السماء. قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبيه فقتلوه ثم صلبوه. وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به. فتفرقوا ثلاث فرق: قالت فرقة: كان فينا الله ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية. وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية. وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه إليه وهؤلاء المسلمون. فتظاهرت الكافرتان

على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: {فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} يعني الطائفة التي آمنت في زمن عيسى {وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ} يعني الطائفة التي كفرت في زمن عيسى {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا} في زمان عيسى {عَلَى عَدُوِّهِمْ} بإظهار محمد صلى الله عليه وسلم دينهم على دين الكفار {فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}). انتهى.

قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكره رواية ابن عباس هذه من رواية ابن أبي حاتم : (**وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس**. ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية بنحوه. وكذا ذكر غير واحد من السلف أنه قال لهم: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني وهو رفيقي في الجنة؟). انتهى.

وما قاله ابن عباس بحسب هذه الرواية يستحيل أن يكون قد أخذه من أقوال أهل الكتاب أو تأثر فيه بعقائدهم لأن اليهود والنصارى يعتقدون أنهم صلبوا المسيح نفسه عليه السلام لا شبيهه. هذا من جهة ومن جهة أخرى فالذي يؤمن به النصارى أن الحواري الذي كان من حواري عيسى هو من وشى به ودل اليهود عليه في حين رواية ابن عباس تُبرئه من هذه التهمة ومن هذه الخيانة وتفيد أنه تبرع بأن يفدي السيد المسيح عليه السلام بأن يلقى عليه شبهه فقد ظل وفياً له حتى استشهد وقتل مصلوباً على أنه عيسى عليه السلام. **وهذا وحده دليل على أن هذه المرويات ليست من الإسرائيليات في شيء وأن هذه العقيدة ليست عقيدة نصرانية ولا يهودية المصدر كما يروج الدكتور عدنان.**

وأما قول الدكتور عدنان بعد ذلك: (وبعضهم يقول مات ولن يعود. نحن مع الفريق الثاني. مات ولن يعود). انتهى. فهو يقصد من جاء في العصور المتأخرة وشذ عن إجماع الأمة وقد ثبت معنا إلى الآن أن ما نقله الدكتور عدنان من أدلة تدعم شذوذهم هذا هي أدلة واهية ولا تصمد أمام التحقيق العلمي الجاد وهو ما سيتجلى أيضاً فيما سيأتي لاحقاً بإذن الله تعالى وعونه وتأييده وتوفيقه. فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله رب العالمين.

١٤/ قال الدكتور في معرض حديثه عما يراه دليل بطلان عودة المسيح عليه السلام من القرآن قال في الدقيقة [٣٩:٠٢ - ٤٥:٢٣]:.

((احتجوا أيضاً بآية الزخرف {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ}. جميل. ثم احتجوا بأحاديث. أنا وقفت عليكم الآن لأن الجولان في ميدان تقييم هذه الأحاديث ومقارنتها وإبراز ما بينها من تعارض وتنافر وتشاكس وتخالف يطول جداً جداً يحتاج إلى محاضرات. ولعلنا إن يسر الله نفعل هذا قريباً بإذن الله

تعالى. ونتكلم عليها سنداً ومتناً. على أنها في الصحاح بعضها في الصحاح هذه المتخالفة المتشاكسة المتكاذبة!! والمكذبة أيضاً لصريح كلام رب العالمين أيها الإخوة!! سنتحدث عنها وحدها. لكن أنا وقفت بكم عمداً عن قصد على بعض منها لكي تعلموا أيها الإخوة أنها من المحال أن تصح عن سيد الخلق عليه الصلاة وأفضل السلام. تُحدثنا أيها الراوي لا أقول أيها الرسول. أيها الراوي أيها المخرج عن مسيح دجال وعن المسيح ابن مريم بعد فتح القسطنطينية. قد فُتحت القسطنطينية وين؟!! ما في. يقتسمون الغنائم. أيام ما في أيام يظهر هذا وهذا. أين هذا؟!! من أين أتيتم بهذه الأحاديث والمرويات ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. نعود الآن إلى الشطر الآخر من الخطبة كيف نجيب عن أدلتهم وما هي أدلتنا التي ندفع بها معتقدهم أيها الإخوة ونؤكد أن عيسى مات ولن يعود إلى الدنيا. حتماً لن يعود. القرآن يقول حتماً لن يعود!! محال أن يعود!! لماذا؟! أول شيء احتجاجهم بوجيه من المقربين أجبنا عليه سريعاً. أما احتجاجهم إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا. الوفاة بالتأمل في مواقعها والتوفية كالإستيفاء بمعنى واحد أيها الإخوة. الوفاة والتوفية أو الاستيفاء. مواقع هذه المادة في كتاب الله تبارك وتعالى تطلق أصالة على وفاة الموت توفية الموت إن أريد بها غير توفية الموت رأينا قرينة تؤكد هذا فمثلاً يقول الله في الزمر: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} إذاً هذه وفاة إيش؟ الموت. توفية الموت. توفية الموت. واحد يقولي كيف توفية الموت؟ يعني معنى الآية الله يميت الأنفس حين موتها؟ لا. لماذا يسمي الله تبارك وتعالى الموت توفية يجعل الموت من باب التوفية قسماً من أقسام التوفية تعرفون لماذا؟ هذه نكتة عجيبة جداً جداً بفضل الله تبارك وتعالى درءاً لاعتقاد وثني دهري يرى أن الموت إفناء وإعدام إعدام نهائي مطلق. من مات انتهى لا يعود. كما كان يقول الكفار: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع ولا قيامة ولا بعث ما يهلكنا إلا الدهر. انتهى. مفعول الزمان. الله يقول لا الذي يموت يُتوفى {وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ} من قبل أن يبلغوا الأشد. وهو صغير يُتوفى. لماذا؟ لما لم يقل.. لماذا قال يُتوفى؟ إشارة إلى المحفوظية. استوفيت ديني توفيته أخذته تاماً وإشارة إلى أن حقيقة الإنسان في جوهره الروحاني وليس في بدنه الجسماني الترابي الطيني. انتبهوا على عكس ما أراده الدهريون والملاحدة والمشركون والطبائعيون. الله يقول لا. لذلك أنا أتوفاك. كيف تتوفاني البدن في التراب؟! قالك هذا ما في عليه معول. حتى يوم القيامة هناك رأي لعلماء العقيدة ممكن يُخلق لك بدن جديد مش شرط أن يعيد الله لك نفس الذرات الذرات نفسها لا لا قال تعالى: {بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} يماه خلقاً جديداً. نعم هذا هو الفهم للقرآن الكريم. لكن أين الجوهر الجوهر باق. الروح. النفس باقية. الله يقول هذه توفية لذلك أراد بعضهم أن يشكل علينا قال لو كان ذلك كذلك لصار معنى الآية الله يميت الأنفس حين موتها. لا لا أنت لم تفهم الآية أصلاً!! أنت لم تفهم سر ولطف هذا التعبير

القرآني الدقيق. {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} ما معناها يعني يتوفاها في منامها. إذاً هما توفيتان!!! استيفاءان توفية الموت وتوفية النوم ولا ثالث لهما في كتاب الله بخصوص الإنسان!! هناك توفية الأجر توفية الحساب {فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ} {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} يُعطونه تاماً وافياً غير منقوص. بغير منقصة هذه معاني موارد أخرى لكن بخصوص الإنسان توفيتان توفية الموت وتوفية.. العلامة ابن عاشور يقول: مواقع هذه الكلمة تحملنا على فهم أنها حيثما وردت كلمة توفية بخصوص الإنسان يراد بها الموت. إذا فسرتها بغير الموت قلي وين القرينة؟!!! نريد قرينة ولذلك قال العلامة ابن عاشور يقول: مواقع هذه الكلمة تحملنا على فهم أنها حيثما وردت كلمة توفية بخصوص الإنسان يراد بها الموت. إذا فسرتها بغير الموت قلي وين القرينة؟!!! نريد قرينة ولذلك قال العلامة رحمة الله.. وهو من مدققي المفسرين!! معروف وخاصة في العربية!!!! ابن عاشور معروف في العربية رجل لا يشق له غبار!!! ولا يُطار له في مطار!!! نور الله ضريحه شآبيب الرحمة. قال فلذلك اعتقاد أن التوفية في آية عيسى هذه تعني استيفاء عيسى روحاً وبدناً قال إحداث معنى في العربية جديد. لم تعرفه العربية من أين أتيتم بهذا قال هذا كذب على العربية. هذه أشياء لا تؤخذ بالقياس تؤخذ بماذا بالسماع عندك دليل؟!!!. لكن أنتم تلبستكم عقيدة نصرانية ففسرتم بها كتاب الله!!! أليس كذلك؟!!! كما تسللت إلى مروياتكم الحديثية فشنأتم بها وجه الكتاب ولبستم معانيه ألبستموها أثواباً من الإغماض والإشكال والتشبيه والتلبيس على الناس!!!!)).

الرد:

أولاً:

قول الدكتور عدنان في حق أحاديث عودة عيسى عليه السلام: ((**والمكذبة أيضاً لصريح كلام رب العالمين** أيها الإخوة!!)). انتهى. يذكرني بنداء لوط عليه السلام لقومه بقوله كما أخبر عنه القرآن: {**أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ**} [هود:٧٨]. إذ كيف يُعقل أن يأمرنا الله عز وجل في محكم تنزيله بقوله: {فَاسْأَلُوا **أَهْلَ الذِّكْرِ** إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل:٤٣]. وينبهنا في محكم تنزيله أيضاً إلى قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ **لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ** مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء:٨٣]. في حين أنه تعالى لم يُوجد لنا أصلاً طيلة ما يزيد على العشرة قرون أهل الذكر وأهل الاستنباط فالواقع أن كل هؤلاء طيلة هذه القرون عموا عن استجلاء حقيقة تكذيب اعتقاد عودة المسيح عليه السلام لصريح كلام رب

العالمين فأين يا رب هؤلاء الذين كان ينبغي أن نسألهم ونرد الأمر إليهم ليستنبطوه وها هم علماء الأمة قاطبة على هذا المعتقد الذي بحسب كلام الدكتور عدنان معتقد مكذب لصريح كلام رب العالمين؟!!!.

{أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} الله تعالى يقول صراحة: **{لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ** مِنْهُمْ} والدكتور عدنان يقول بل جهله هؤلاء ويقسم على ذلك كما مر معنا ويقول: ((هذه الأمة في جمهورها ومعذرة والله العظيم لكل الناس: جاهلة!!!. أنا لا أفتري معظم الأمة جاهلة!!!)). فمن تصدقون؟!!

وعلى أية حال فقد تبين معنا أن دعوى الدكتور عدنان هذه أحرى بأن توصف بقول الدكتور عدنان: ((دعوى عريضة أعرضْ من الغبراء فلا يزالون يتشبثون بأذيال شبهات الدليل (!!))). انتهى. فقد تبين معنا سابقاً أن هذه الدعوى هي قائمة فقط في ذهن الدكتور عدنان ولا محل لها من الواقع وأنه هو ومن وافقه بدءاً من أصل هذه الدعوى وصاحبها الأول القادياني المتنبئ الكذاب يتشبثون في سبيل إثبات هذا التعارض والتكذيب المزعوم لا أقول بأذيال شبهات الدليل بل بأذيال شبهات الأوهام.

وقد تجلى لنا ذلك عندما أراد الدكتور عدنان نفسه أن يتحدث في معرض ادعائه أن القرآن لم يصرح بآية واحدة فيها عودة عيسى عليه السلام مرة ثانية أتبع ذلك بقوله كما مر معنا سابقاً: ((بل فيه آي وآي وسنن إلهية معبر عنها بلفظ رباني معجز بليغ بديع قاطع ماضٍ أيها الإخوة شافٍ كافٍ أنه مات كشأن إخوانه المرسلين)). انتهى. وجاء بما رددناه في حينه ثم أكد بنفسه على أن ذلك حتى في حال ثبوته قرآنياً لا يستلزم بالضرورة نفي العودة **وهذا وحده بليغ بديع قاطع ماضٍ أيها الإخوة شافٍ كافٍ في بيان مدى تخبط هؤلاء حتى إن كلامهم ينقض نفسه بنفسه.**

وليس هذا هو التناقض والنقض الوحيد فسيأتي كما في فقرتنا هذه من خطبته المزيد على ما سنبينه بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه.

ثانياً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((أنا وقفت عليكم الآن لأن الجولان في ميدان تقييم هذه الأحاديث ومقارنتها وإبراز ما بينها من تعارض وتنافر وتشاكس وتخالف يطول جداً جداً يحتاج إلى محاضرات. ولعلنا إن يسر الله نفعل هذا قريباً بإذن الله تعالى. ونتكلم عليها سنداً ومتناً. على أنها في الصحاح بعضها في الصحاح هذه المتخالفة المتشاكسة المتكاذبة!!)). انتهى.

فهاهنا يتمايز العالم الحق والمحقق المدقق من غيره فبمراجعة تحقيقات علمائنا ومشايخنا المحققين لهذه الأحاديث نجدهم قد أبدعوا كُلٌّ حسب اجتهاده وفطنته وملكته الاستنباطية في حل استشكالات هذه الأحاديث وما قد يعتري ظاهرها من تناقض يستعصي على غير العالم حله. ولا يملك المتعصب إزاءها إلا أن يقول عنها بكل بساطة: تكلفات باردة!! وهي كلمة يستطيع أن يقولها من شاء على ما شاء {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور:٤٠]. صدق الله العظيم

ومن إبداعات علمائنا ومشايخنا في حل إشكالات ما في بعض أحاديث عيسى عليه السلام والدجال من تعارض وغموض نكتفي بذكر مثالين:

* **الأول:** من كلام الشيخ المحدث علامة الهند أنور شاه الكشميري في كتابه فيض الباري على صحيح البخاري في محاولته حل الإشكال الناشئ عن ورود أحاديث تفيد ائتمام المسيح عيسى عليه السلام عند نزوله في الصلاة بالإمام المهدي عليه السلام وأحاديث ظاهرها أن المسيح عيسى عليه السلام هو من يؤم الصلاة بالمسلمين بعد نزوله فقال:

(قوله: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) والواو فيه حالية. والمتبادر منه الإمام المهدي فسمي إماماً وعيسى عليه السلام حكماً وعدلاً.

وحاصله: أنتم كيف تكونون حين يترل فيكم ابن مريم وهو يكون فيكم حكماً عدلاً. أما الإمام فإنه لا يكون هو ولكنه يكون أحد غيره ويكون ذلك الإمام منكم لا من بني إسرائيل. بخلاف عيسى عليه الصلاة والسلام.

وقد اختلط فيه بعض الرواة عند مسلم فأطلقه على عيسى عليه الصلاة والسلام فجعل اللفظ: (وأمكم منكم). يعني أنه إن كان من بني إسرائيل لكنه يكون تابعاً لشرعكم.

والراجح عندي لفظ البخاري أي: (وإمامكم منكم) بالجملة الاسمية. والمراد منه الإمام المهدي لِما عند ابن ماجه: بإسناد قوي: (يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليقدم عيسى عليه السلام يصلي) ... إلخ.

فهذا صريح في أن مصداق الإمام في الأحاديث هو الإمام المهدي دون عيسى عليه الصلاة والسلام نفسه، فلا يبالى فيه باختلاف الرواة بعد صراحة الأحاديث. وبأي حديث بعده يؤمنون. فهذا هو أصل اللفظ.

ومن قال: (أمكم منكم) أو: (أمكم بكتاب الله). فكل ذلك من تصرفاتهم وأوهامهم لأن الحديث إذا اختلفت ألفاظه عن صحابي فالطريق: العدول عنه إلى حديث صحابي آخر إن كان عنده ذلك الحديث فإنه ينفصل به الأمر على الأغلب.

بقي الكلام في إمامة الصلاة فالإمام في أول صلاة بعد نزول المسيح عليه السلام يكون هو المهدي عليه السلام لأنها كانت أقيمت له ثم بعدها يصلي بهم المسيح عليه السلام). انتهى.

* **الثاني**: من كلام الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري ففي كتاب "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" للكشميري ذكر الحديث التالي:
(الحديث ٢٤: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قِبل المشرق في زمان اختلاف من الناس وفُرقة فيَبلُغُ ما شاء الله أن يَبلُغَ من الأرض في أربعين يوماً الله أعلم ما مقدارها؟ الله أعلم ما مقدارها؟ - مرتين - ويَنزل عيسى ابن مريم فَيَؤُمُّهُم. فإذا رفع من الركوع قال: سمع الله لمن حمده. قتل الله الدجال وأظهر المؤمنين). أخرجه ابن حبان في صحيحه كما في "السعاية في كشف ما في شرح الوقاية" لعبد الحي اللكنوي). انتهى.

قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة تعليقاً على الحديث في الهامش:
(الظاهر أن في ألفاظ هذا الحديث تصرفاً من بعض الرواة. إذ قد تقدم في الأحاديث أن عيسى عليه السلام يَقتل الدجال بباب لُدّ.

وذهب شيخنا عبد الله الغماري في كتابه: "إقامة البرهان" ص٣٢-٣٤ إلى سلامة هذه الرواية من تصرف الرواة إذ أوسع الكلام في بيان معنى الحديث وتوجيهه فقال:

هذا الحديث يفيد أن قتل الدجال يحدث وعيسى ابن مريم في صلاة مع أن الأحاديث الأخرى التي ذكرت أن عيسى يقتل الدجال بباب لُد أو قريب منه لم تذكر أن ذلك يكون أثناء الصلاة. فكيف الجمع بين هذه وذاك؟

والجواب عن ذلك سهل بتسهيل الله. غير أنه يتوقف على مقدمة وهي: أن الذي دلت عليه الأحاديث أن عيسى عليه السلام يصلي أول صلاة بعد نزوله من السماء وهي صلاة الصبح مؤتماً بإمام المسلمين إظهاراً لكرامة هذه الأمة وفضلها. ثم بعد ذلك يتقلد عيسى مقاليد الأمور ويصير خليفةَ المسلمين وتُجمع له الصلاة أي يصير هو الإمام فيها مع قيامه بأعباء الإمامة العظمى.

ومن هنا تعلم أن قوله في الحديث: (فيؤمُّهم) على ظاهره أي فيؤمهم في الصلوات. ولا شك أن مما شرعه الله لهذه الأمة في جهادها مع العدو صلاةَ الخوف.

إذا تقرر هذا فالحديث محمول على أن عيسى عليه السلام يؤم المسلمين في صلاة خوف وهم يقاتلون الدجال ومن معه فإذا رفع عيسى رأسه من الركوع أمكنته الفرصة من العدو فيحملُ على الدجال فيقتلُه. ومباشرة الأعمال الواجبة الضرورية لا تَمنع منها الصلاة كما هو معروف.

وهذا معنى قوله: (وينزل عيسى ابن مريم فيؤمهم فإذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده قتل الله المسيح الدجال). أي على يد عيسى.

وإسناد القتل إلى الله من باب قوله تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} فبهذا التأويل يتضح المعنى ويكون الحديث متفقاً مع غيره من الأحاديث متمشياً مع قواعد الشريعة الغراء. انتهى.). انتهى.

ثالثاً:

وأما قول الدكتور عدنان عن هذه الأحاديث: ((لكن أنا وقفت بكم عمداً عن قصد على بعض منها لكي تعلموا أيها الإخوة أنها **من المحال أن تصح عن سيد الخلق** عليه الصلاة وأفضل السلام)). انتهى.

نقول {لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ **قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ**}. فقد نبأنا الله تعالى من أخباركم على لسان الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فقال ما نقلناه في حينه: (عسى **أن يكذبني رجل وهو متكئ على أريكته يَبلغه الحديث عني فيقول: ما قال ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. دع هذا وهات ما في القرآن**). انتهى. صدقت يا سيدي يا رسول الله فقد جاءنا

من يقول عن أحاديثك المتواترة: ((من المحال أن تصح عن سيد الخلق عليه الصلاة وأفضل السلام)). انتهى.

وعلى أية حال فقوله عن هذه الأحاديث: ((من المحال أن تصح عن سيد الخلق عليه الصلاة وأفضل السلام)). انتهى. يذكرني بقول الله سبحانه وتعالى: {وَإِنْ كَانَتْ **لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**} [البقرة:١٤٣]. فمن كان من الذين هدى الله فإن الله تعالى ينور بصيرته ويمكنه من حل ما في هذه الأحاديث من استشكالات وتعارضات كما مثلنا له بالمثالين السابقين.

وأما كلام الدكتور عدنان بعد كلامه السابق مجدداً عن فتح القسطنطينية فهو حشو وتكرار لا جديد فيه وقد سبق الرد عليه وعلى الحديث الآخر الذي استشكله في حينه.

رابعاً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((أول شيء احتجاجهم بوجيه من المقربين أجبنا عليه سريعاً)). انتهى. فقد رددنا عليه بدورنا أيضاً في موضعه.

خامساً:

وأما كلام الدكتور عدنان عن الوفاة والتوفية فقد رددنا عليه أيضاً وبالتفصيل سابقاً. لكن من المثير للضحك **أن الدكتور عدنان هنا نقض ما ذكره في موضعه هناك سابقاً**.

ولكن قبل بيان هذا التناقض نبين أن الدكتور عدنان قد ناقض نفسه أيضاً عندما قال ناقلاً كلام الطاهر بن عاشور في "التحرير والتنوير" مُقراً له مستشهداً به قال: ((فتفسير الوفاة أو التوفية بأنها أخذ واستيفاء الروح والبدن جملة قال: إحداث معنى جديد في العربية لم تعرفه اللغة. اللغة لا تعرف هذا أين هذا في العربية أين هذا في العربية [التكرار من الدكتور] وسنتحدث بعد ذلك حين نكر على أدلتهم بالإدحاض أيها الإخوة وبيان تهافتها بتحقيق المقام في التوفية. على كل حال **أتوا بمعنى جديد قالوا التوفية ليس بمعنى الموت وطبعاً ليس بمعنى النوم إنما بمعنى أخذه تاماً وافياً روحاً وبدناً**)). انتهى.

ففي حين جزم سابقاً أن الوفاة ليس لها معنى إلا الموت أو النوم نجد الدكتور قد ناقض نفسه ونقض كلامه هذا هنا ليؤكد أن الوفاة معناها الاستيفاء حيث قال: ((**الوفاة بالتأمل في مواقعها والتوفية كالإستيفاء**

بمعنى واحد أيها الإخوة)). انتهى. فالوفاة والتوفية إذاً بمعنى الاستيفاء لأنهما بمعنى واحد كما يقول الدكتور عدنان هنا.

فكيف صار القول بتأويل وتفسير معنى متوفيك في حق سيدنا عيسى عليه السلام بمعنى استيفاء الروح والبدن إحداث معنى جديد في العربية؟!!.

الوفاة والتوفية كالاستيفاء بمعنى واحد بإقرار الدكتور عدنان وفي نفس الوقت الاستيفاء [استيفاء الروح والبدن] إحداث معنى جديد في العربية عند الطاهر بن عاشور وبإقرار الدكتور عدنان له أيضاً أليس هذا تناقض صارخ؟!!!.

ليس هذا فحسب بل يسترسل الدكتور عدنان في تناقضاته ففي حين قال سابقاً ((على كل حال أتوا بمعنى جديد قالوا التوفية ليس بمعنى الموت وطبعاً ليس بمعنى النوم إنما بمعنى أخذه تاماً وافياً روحاً وبدناً)). انتهى.

نجد الدكتور قد ناقض نفسه مرة أخرى ونقض كلامه هذا هنا ليؤكد أن سبب جعل الموت من باب التوفية هو أن التوفي بمعنى الأخذ التام حيث قال: ((إشارة إلى المحفوظية. **استوفيت ديني توفيته أخذته تاماً**)). انتهى. فالوفاة والتوفي إذاً بمعنى الأخذ التام كما يقول الدكتور عدنان هنا.

الوفاة والتوفي إشارة إلى المحفوظية والأخذ التام عند الدكتور عدنان وفي نفس الوقت الذين فسروا التوفية في حق عيسى عليه السلام بمعنى أخذه تاماً وافياً روحاً وبدناً أتوا بمعنى جديد. أليس هذا تناقض صارخ؟!!!.

ثم يسترسل الدكتور عدنان مجدداً في مسلسل تناقضاته العجيبة عندما يقول: (({اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} ما معناها يعني يتوفاها في منامها. إذاً هما توفيتان!!! استيفاءان توفية الموت وتوفية النوم **ولا ثالث لهما في كتاب الله بخصوص الإنسان!!**)). انتهى. ثم مباشرة ينقض هذا الكلام ومباشرة وبدون فاصل فيقول: ((**هناك توفية الأجر توفية الحساب** {فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ} {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} يُعطونه تاماً وافياً غير منقوص. بغير منقصة هذه معاني موارد أخرى)). انتهى.

فهل هما توفيتان توفية الموت وتوفية النوم ولا ثالث لهما في كتاب الله أم هناك ثالث لهما هو توفية الأجر ورابع هو توفية الحساب؟!!!.

ثم يقول الدكتور عدنان: ((لكن **بخصوص الإنسان توفيتان**)). انتهى. وهذا من الأعاجيب فإن لم تكن توفية الحساب تَخص الإنسان فمَن هو الذي يُوَفَّى حسابه بحسب الآية التي أوردها الدكتور عدنان؟!!. **وهل وفاة الأجر ووفاة الحساب إلا للإنسان؟!!.**

أبعد هذا يُترك كلامُ علمائنا الأثبات ويُركن إلى كلام من كان هذا حالهم من التخبط والتناقض؟!!.

وقد سبق أن قلنا في هذا الصدد:

(ومن الطريف واللطيف ذكره استئناساً أننا لو فتحنا المصحف الشريف على الآية ٥٥ من سورة آل عمران والتي قال تعالى فيها لعبده ونبيه عيسى عليه السلام: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} لوجدنا في نفس الصفحة من المصحف بعد آيتين فقط من هذه الآية وتحديداً الآية رقم ٥٧ قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ **فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ**} وكأنها إشارة ربانية وتذكير وتنبيه رباني إلى أن التوفية والتوفي والوفاة معناها الأصلي هو المعنى اللغوي وهو الاستيفاء وكأنها إشارة إلى أن معنى قوله تعالى لعبده ونبيه عيسى عليه السلام: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} أي إني مستوفٍ أجلك في آخر الزمان ومستوفيك بروحك وبدنك الآن إلى السماء مستوفٍ بذلك أيامك على الأرض إلى أجل مسمى إلى حين ميعاد عودك إليها ثانية في آخر الزمان. فسبحان الذي قال وقوله الحق: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد:٢٤]. صدق الله العظيم). انتهى.

ثم من المضحكات المبكيات التي لا تنتهي في خطبة الدكتور عدنان قوله هنا: ((لذلك أراد بعضهم أن يشكل علينا قال لو كان ذلك كذلك [أي لو كان التوفي بمعنى الموت] لصار معنى الآية الله يميت الأنفس حين موتها. لا لا أنت لم تفهم الآية أصلاً!! أنت لم تفهم سر ولطف هذا التعبير القرآني الدقيق. {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} ما معناها يعني يتوفاها في منامها. إذاً هما توفيتان!!! استيفاءان توفية الموت وتوفية النوم)). انتهى. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: **هل فهم أحدكم من هذا الجواب شيئاً؟!!!.**

إن الإشكال قائم على الدكتور عدنان ومن يقولون بقوله و لم يُجِب عليه فهو يقول الوفاة أصالة بمعنى الموت فما معنى قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا}؟! فإذا كانت الوفاة والتوفية بمعنى الموت فهل معنى الآية الله يميت الأنفس حين موتها؟!!.

وجواب الدكتور عدنان هو: ((لا لا أنت لم تفهم الآية أصلاً!!. أنت لم تفهم سر ولطف هذا التعبير القرآني الدقيق)).

حسناً فما هو الفهم الصحيح يا دكتور وما هو سر ولطف هذا التعبير القرآني الدقيق وفق ما تريد إقناعنا به من أن الوفاة أصالة بمعنى الموت.

وجواب الدكتور عدنان هو: (({اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} ما معناها يعني يتوفاها في منامها. إذاً هما توفيتان!!! استيفاءان توفية الموت وتوفية النوم)). انتهى. والسؤال الذي يطرح نفسه هو : أين الجواب؟!!.

فالدكتور فسر الماء بعد العسر بالماء فالله يتوفى الأنفس حين موتها أي يتوفاها توفية موت ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها يعني يتوفاها في منامها توفية نوم؟!!!. فما معنى التوفي والتوفية إذاً في الحالتين؟!!!. هذا هو السؤال.

والذي تَهَرَّب منه الدكتور عدنان هو ما قلناه سابقاً عند الرد على كلامه عن الوفاة والتوفية في موضعه ورددنا عليه بنص الآية الكامل وهو قوله تعالى: {اللَّهُ **يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ** حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا **فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**} [الزمر:٤٢].

فقلنا في حينه:

(فالله تعالى بحسب الآية يتوفى الأنفس حين موتها ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها. وقلنا أن القاسم المشترك بين الوفاة للأنفس حين الموت والوفاة للأنفس حين النوم هو القبض والأخذ والاستيفاء **[وهي المعاني التي أقر بها الدكتور عدنان هنا في حين نفاها هناك]** حيث يقبض الله الأرواح إليه حين الموت وحين النوم فيمسك الله تعالى عنده أرواح التي قضى عليها الموت واستكملت أجلها فلا يردها لأجسادها

فيحدث الموت. ويرسل أرواح الأنفس التي لم تستكمل أجلها فيردها لأجسادها لتستكمل أجلها فيحدث الاستيقاظ من النوم.

فالله تعالى يقبض نَفْسَ النائم ويردها عليه ويقبض نَفْسَ الميت ويمنعها من الرد عليه. وفي حالة الموت يكون القبض مقترناً باستيفاء الأجل ومن هنا جاء معنى الوفاة وحدوث التوفي. وفي حالة النوم يكون القبض مقترناً باستيفاء التصرف واستيفاء العمل فقط دون استيفاء الأجل فيبقى معنى الوفاة والتوفي قائماً.

مع ملاحظة أن قوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} يؤكد أن يتوفى ليس بمعنى يميت وإلا صارت الآية: الله يميت الأنفس حين موتها ويميت التي لم تمت في منامها !!. وهذا واضح السقوط. والمعنى الصائب ليتوفى هنا أي يقبض فهي دليل على معنى الوفاة أي القبض لا الموت والله تعالى أعلم.

وبهذا يتبين أن الوفاة ما هي إلا المعنى اللغوي وهو القبض والأخذ الوافي ولهذا يُقال توفيتُ مالي من فلان إذا قبضته وأخذته وافياً كما مر [**وكما قاله الدكتور عدنان نفسه هنا في حين استنكره هناك**]. فتكون الوفاة بالموت قبض الروح وافية مستوفية أجلها وتكون الوفاة بالنوم قبض النفس وافية مستوفية التصرف والعمل إلى أجل مسمى وهو حين استيقاظه ليستأنف حياته الطبيعية.

وعليه يكون تفسير الوفاة في حق عيسى عليه السلام هو بنفس المعنى اللغوي السابق لا يخرج عنه مستحدثاً معنى جديداً في اللغة كما قال الدكتور عدنان فتكون وفاة عيسى على هذا المعنى قبضه وافياً بروحه وجسده مستوفياً التصرف والعمل على هذه الأرض إلى أجل مسمى وهو حين نزوله وعودته ثانية للأرض). انتهى ما قلناه سابقاً.

فالذي لا مفر منه هو ما نقلنا سابقاً من كلام الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري والذي نعيده هنا للتذكير فإن الذكرى تنفع المؤمنين حيث قال رحمه الله تعالى:
(وتحقيق المسألة على وجه الإيجاز: أن مادة التوفي موضوعة في اللغة لمعنى واحد: هو قبض الشيء واستيفاؤه.

وهذا المعنى قدر مشترك بين: قبض الروح بالنوم أو الموت وقبض الدَّيْن وقبض الأجر على عمل ما وغير ذلك من المعاني التي يطلق عليها لفظ التوفي). انتهى.

سادساً:

وأما تكراره هنا النقل عن الطاهر بن عاشور ابن العصر الحديث (المتوفى عام ١٣٩٣هـ سنة ١٩٧٣م) بقوله: ((العلامة ابن عاشور يقول: مواقع هذه الكلمة تحملنا على فهم أنها حيثما وردت كلمة توفية بخصوص الإنسان يراد بها الموت. إذا فسرتها بغير الموت قلي وين القرينة؟!!! نريد قرينة ولذلك قال العلامة رحمة الله.. وهو من مدققي المفسرين!! معروف وخاصة في العربية!!!! **ابن عاشور معروف في العربية رجل لا يشق له غبار!!! ولا يُطار له في مطار!!!** نور الله ضريحه شآبيب الرحمة. قال فلذلك اعتقاد أن التوفية في آية عيسى هذه تعني استيفاء عيسى روحاً وبدناً قال إحداث معنى في العربية جديد. لم تعرفه العربية من أين أتيتم بهذا قال هذا كذب على العربية)). انتهى.

فهو يذكرني بقول صاحب الفتوى التي رد عليها الشيخ عبد الله الغماري في كتابه "البرهان" حيث قال صاحب الفتوى تلك ما نصه:

(ومن حق كلمة توفيتني في الآية أن تحمل على هذا المعنى المتبادر وهو الإماتة العادية التي يعرفها الناس ويدركها من اللفظ ومن السياق الناطقون بالضاد). انتهى.

فعقب الشيخ الغماري الذي أُذَكِّر بأن الدكتور عدنان وصفه بقوله: ((**العلامة المحدث الفقيه الأصولي المفسر الجليل عبد الله بن الصديق الغماري قدس الله سره ورضوان الله عليه!!**)). انتهى. عقب على هذا الكلام بقوله:

(ثم ادعاؤه أن الإماتة العادية يدركها من اللفظ ومن السياق الناطقون بالضاد فيه تعريض بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين الذين حملوا التوفي على قبض البدن حياً جمعاً بين الأدلة كما هو الواجب **فهؤلاء كلهم لم يكونوا ينطقون بالضاد ولم يكونوا يعرفون السياق حتى جاء هو بعد منتصف القرن الرابع عشر فنطق ما لم ينطقوه وعرف ما لم يعرفوه فسبحان الفتاح العليم!!!**). انتهى.

وسائر ما قاله الدكتور عدنان هنا حول التوفي والتوفية وكلام الطاهر بن عاشور فإضافة إلى ما بيناه آنفاً من تناقض وتخبط صارخ فيما قالوه فقد رددنا عليه سابقاً وبالتفصيل. مع التذكير أيضاً [على التسليم بأن

عيسى عليه السلام قد توفي وفاة موت] بما قاله الدكتور عدنان: ((على كل حال ما في علاقة لزومية بين أنه مات ولن يعود!!)). انتهى. وهو ما بيناه سابقاً أيضاً فليراجع في موضعه.

سابعاً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((لكن أنتم **تلبستكم عقيدة نصرانية** ففسرتم بها كتاب الله!!! أليس كذلك؟!!!)). انتهى. جوابه: لا ليس كذلك. بل إن دعوى الدكتور عدنان هذه هي المكذبة لصريح كلام رب العالمين فقد جعل علماء الأمة وأئمتها على مر القرون كأحبار اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه ويفسرونه بما يوافق ما تلبسهم من عقيدة نصرانية وهذا يتنافى تناف صارخٍ مع خيرية هذه الأمة المثبتة في القرآن في قوله تعالى: {كُنْتُمْ **خَيْرَ أُمَّةٍ** أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران:١١٠]. وكيف تكون خير الأمم وهي مجتمعة طيلة هذه القرون المديدة على عقيدة باطلة تلقفتها من اليهود والنصارى على رأي الدكتور عدنان ؟!!.

وسبق أن قلنا:

(كيف يكون هذا حال علماء وأئمة خير الأمم عبر تلك القرون كلها والله تعالى يقول: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر:٩]. ففي أي الفريقين كان علماء خير الأمم طيلة هذه القرون إن سلَّمنا بأنهم كانوا على باطل؟ أفي الذين يعلمون أم الذين لا يعلمون؟!!.

وفي الحديث كما في سنن أبي داود: (وإن **فضل العالم على العابد** كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب **وإن العلماء ورثة الأنبياء**. وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً **وَرَّثوا العلم** فمن أخذه أخذ بحظ وافر). انتهى. **فهل خلت الأمة طيلة هذه القرون من علماء الحق ورثة الأنبياء وهي مع ذلك خير الأمم؟!!.**

وكيف يقول الله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ **لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ** مِنْهُمْ} [النساء:٨٣]. وقد خلت الأمة من هؤلاء الذين يستنبطونه طيلة هذه القرون **فلمن كان عليهم أن يردوه إذاً طيلة هذه القرون المديدة؟!!**). انتهى.

وأيضاً **كلام الدكتور عدنان مكذب لصريح قوله تعالى**: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ **وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ** عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ **لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**} [النساء:٨٣].

فالله تعالى بحسب الآية تفضل على هذه الأمة ورحمها ولولا فضله ورحمته لاتبعت الأمة الشيطان و لم ينج منها إلا القليل ولكن ذلك لم يحدث بفضل الله ورحمته.

وكلام الدكتور عدنان يكذب هذا ويؤكد أن معظم الأمة وعلى رأسها علماؤها قد اتبعت فعلاً الشيطان وتلبستها عقيدة نصرانية فحرفوا بها تفسير كلام الله تعالى طيلة كل هذه القرون الماضية و لم ينج من الأمة على مر العصور سوى أولئك الذين لم يتعدوا أصابع اليدين ممن ذكر الدكتور عدنان أنهم لم تتلبسهم هذه العقيدة النصرانية فلم يحرفوا كلام الله تعالى عن مواضعه والقليل بل القليل جداً ممن اقتنع بكلامهم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فحري بالدكتور عدنان أن يقشعر بدنه من كلامه هذا وحسبنا الله ونعم الوكيل. ولنا أن نقول للدكتور عدنان وأشياعه: ((لكن أنتم تلبستكم عقيدة قاديانية ففسرتم بها كتاب الله!!! أليس كذلك؟!!!)).

١٥/ قال الدكتور في الدقيقة [٤٦:٥٠ - ٤٨:١٢].:

((والآن سأدلي بمعنى أيضاً لم أسبق إليه أيها الإخوة قال: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ}. ما موقع التطهير هنا؟ تطهير من ماذا؟ كلمات كثيرة عودوا إليها في أمهات كتب التفسير. الذي أرتاح إليه جداً بفضل الله تبارك وتعالى أن مطهرك هنا فيها إشارة إلى اعتقاد اليهود — من هنا أهمية دراسة مقارنة الأديان. حتى نعرف – إلى اعتقاد اليهود أن من يوضع من يصلب يعني على خشبة فهو ملعون. هذا نجس ملعون. الله يقول لا لن أسمح بأن يوضع يسوع عيسى على خشبة قال {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ}. وبهذا أيضاً نُزَيِّف رأي القاديانية الأحمدية ومن لف لفهم وكان الشيخ العلامة أحمد ديدات تأثر بهذا أن عيسى وُضع على الصليب نعم وصلب فيما يظهر ولكنه لم تتزهق روحه أي لم تزهق لم تتزهق نفسه فلما دلي عن الخشبة بعد قليل إلى آخر القصة قصة مريم المجدلية ومريم أمه والرشوة لحراس القبر إلى آخره. لا اليهود يرون أن من يصلب فهو ملعون ونجس. الله يقول: ومطهرك. كأنه يقول لم يصلب!! ولا يقال لمن وضع على الصليب دون أن يصلب ويموت إنه صلب المفروض هكذا وإنما من يقتل على الصليب هو المصلوب!! هو المصلوب [التكرار من الشيخ للتأكيد] الله ينكر هذا وهذا)).

الرد:

أولاً:

حاصل ما قاله المفسرون في تفسير قوله تعالى: {وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} أي مطهرك من دنسهم أي أُبعد أيديهم الدنسة عنك فلا يمسوك بسوء ومنجيك منهم فلا تبقى مجاوراً لهؤلاء الأنجاس فأُطهرك من سوء جوارهم وأُخلصك من خبث صحبتهم وقبح معاشرتهم ورجس ونجس مخالطتهم.

ومن جملة ما قيل في التطهير المراد في هذه الآية أيضاً ما قاله ابن عرفة المالكي (المتوفى عام ٨٠٣هـ) في تفسيره حيث قال:

(ومطهرك من أقوالهم السيئة وأفعالهم الخبيثة ومجاورتهم ومخالطتهم). انتهى.

وقبله قال الإمام أبو منصور الماتريدي (المتوفى عام ٣٣٣هـ) في تفسيره:

(وقوله: {وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}: قيل فيه بوجوه: قيل: مطهرك من أذى الكفرة من بين أظهر المخالفين لك. وقيل: ومطهرك من الكفر والفواحش. ويحتمل: مطهرك مما قالوا فيك). انتهى.

ثانياً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((اعتقاد اليهود أن من يوضع من يصلب يعني على خشبة فهو ملعون. هذا نجس ملعون. الله يقول لا لن أسمح بأن يوضع يسوع عيسى على خشبة)). انتهى. فهو كلام مغلوط من جهة والتسليم به ينسف معتقد الدكتور عدنان في نفي عودة المسيح عليه السلام من جهة أخرى وبيان ذلك على النحو التالي:

أما أن الكلام مغلوط فالذي جاء في اعتقاد اليهود هو ما جاء في العهد القديم في سفر التثنية وهو النص التالي:

(وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ **خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ** وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ. فَلاَ تُنَجِّسْ أَرْضَكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا). انتهى.

وهذا مفاده كما هو ظاهر أن من ارتكب خطيئة وإثماً استحق عليه واستوجب بسببه الموت مصلوباً على خشبة فهذا إذا ما طبقت عليه عقوبة القتل والصلب فلا ينبغي أن تبقى جثته معلقة لأن هذا شخص ملعون نجس آثم فلا ينبغي الإبقاء على هذه النجاسة على سطح الأرض بل ينبغي دفنه في باطن الأرض.

فكَونُ هذا المعلق ملعوناً من الله كما هو مفهوم من النص هو لكونه ارتكب خطية حقها الموت والقتل والتعليق على خشبة لا لمجرد كونه معلقاً ولو كان مظلوماً.

فالنص إذاً كما هو واضح وجلي لا يشمل كل من عُلق على خشبة وإنما جاء فقط ونصاً فيمن ارتكب خطية حقها الموت.

لكنا لا ننكر في المقابل أن اليهود عندما أرادوا إيقاع القتل والصلب على السيد المسيح عليه السلام فهم كانوا يرونه قد ارتكب خطية حقها الموت وهي ادعاء النبوة كذباً بحسب ادعاء اليهود وافترائهم على الأنبياء عليهم السلام.

وهم بهذا يرونه ملعوناً من الله تعالى سواء قتلوه وتمكنوا من صلبه أم لم يتمكنوا من ذلك لأن سبب اللعن هو الخطية لا التعليق كما سبق.

وعلى فرض التسليم بأنهم يرون أن المعلق ملعون من الله بمجرد تعليقه فكل من علق على خشبة فهو ملعون كما سلم بهذا بولس اليهودي الذي تنصر بعد حادثة الصلب وادعى أن المسيح تراءى له وعينه رسولاً يبشر بدينه ويدعو لدينه وهو الذي نشر دين التثليث وحرف رسالة المسيح عليه السلام الحقة وقال فيما قاله في رسالته إلى أهل غلاطية:
(اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ). انتهى.

وقطعاً ليس هذا من كلام الله تعالى في شيء فلا يعقل أن يقول الله تعالى أن كل من علق على خشبة ملعون إذ كم من مصلوب قد صُلب ظلماً وعدواناً ومن هؤلاء الصحابيين الجليلين خبيب بن عَدي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وزيد بن الدثنة رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعن الصحابة أجمعين ففي سير أعلام النبلاء للذهبي:

(خُبيب بن عَدِي بن عامر بن مَجدعة بن جَحْجَبا الأنصاري الشهيد. ذكره بن سعد فقال: شهد أحداً وكان فيمن بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مع بني لحيان فلما صاروا بالرجيع غدروا بهم واستصرخوا عليهم وقتلوا فيهم وأسروا خبيباً وزيد بن الدثنة فباعوهما بمكة فقتلوهما بمن قَتل النبي صلى الله عليه وسلم من قومهم **وصلبوهما بالتنعيم**). انتهى.

ولكن على التسليم بهذا الذي ادعاه بولس واعتقاد اليهود في عيسى عليه السلام وأنه بصلبه فقد تحققت عليه اللعنة ومن ثم على التسليم بأن الله تعالى قال لنبيه عيسى عليه السلام إني مطهرك من ادعائهم على كل معلق على خشبة أنه ملعون وسعيهم لأجل تحقيق ذلك فيك ولذلك فإني سأنجيك من الصلب والتعليق على الخشبة لأطهرك من أن تُلصق فيك هذه الدعوى بحسب تفسير الدكتور عدنان فهذا يُفضي إلى ما يلي:

وهو أنه لو كان حقاً يريد الله تعالى أن يطهر عيسى عليه السلام من دعوى اليهود بل والنصارى أن من عُلق على خشبة فهو ملعون فأراد الله تعالى ليحقق ذلك ألا يوقع الصلب على عيسى عليه السلام **لكان يجب في المقابل ألا يوقعه أيضاً على شبيهه** لأنه بوقوع حادثة الصلب بقيت الدعوى لصيقة بعيسى عليه السلام. فقد رأى اليهود والنصارى بأعينهم شبيه عيسى عليه السلام مصلوباً أمامهم وهم يظنونه عيسى عليه السلام وتحققت بهذا دعواهم الباطلة أن كل من علق على خشبة ملعون. وبهذا لم تتطهر سيرة عيسى عليه السلام في واقع الحال وبقي ملعوناً في أعين اليهود وتعززت بذلك شبهة تكفيرهم له وتكذيبهم له ولنبوته وإن تطهر هو في ذاته من دنس افترائهم في الحقيقة.

فهذا كأن يسعى أحدهم في تشويه سمعة فتاة شريفة عفيفة فيأتي بشبيهة لها ويصورها في أوضاع مخلة مع أحدهم وينشر ذلك بين الناس فقد صارت بهذا في أعين الناس غير طاهرة. فهي وإن كانت طاهرة في حقيقتها وفي نفسها وطهر الله تعالى شرفها من الدنس والوقوع في الرذيلة إلا أن هذا التطهير لا يتم إلا إذا كشف الله تعالى الحقيقة وتبين للجميع أن التي رأوها هي مجرد شبيهة وليس هي في الحقيقة فتتطهر حينها سيرتها تمام التطهير.

وهكذا فإن ما حدث لعيسى عليه السلام حتى الآن هو **تطهير جزئي وتطهير منقوص وفق تفسير الدكتور عدنان يتنافى مع ظاهر الآية** في أنه سيطهره تطهيراً كلياً كاملاً غير منقوص. فلن يكتمل هذا التطهير على تفسير الدكتور عدنان **إلا بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان** ليؤكد بنفسه التطهير

الرباني الكامل وأنه لم يصلب و لم يقتل وإنما الذي صلب هو شبيهه فتنتفي عنه اللعنة ويتحقق التطهير الفعلي.

فإن قيل أن هذا التطهير حدث بنزول القرآن ونفيه للصلب قيل إن هذا غير كافٍ لعدم إيمان اليهود والنصارى بالقرآن وعلى هذا فإن الآية بتفسير الدكتور عدنان لن تتحقق وتكتمل ويكون التطهير الحقيقي والفعلي والكامل لعيسى عليه السلام مما يدعونه عليه ويثبتونه في حقه من اللعنة بالصلب **إلا بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان** لأنه عندما ينزل من السماء على جناحي ملكين ثم يقتل المسيح الدجال الذي سيفتن الناس بخوارقه في حينه فعندها وعندها فقط لن يبق مجال للشك أو التشكيك فيما أخبر به القرآن من رفعه وعدم صلبه وعندها يكون التطهير الحقيقي له على مقتضى تفسير الدكتور عدنان.

وبهذا تتحقق في تفسير الدكتور عدنان للتطهير هنا وما يفضي إليه قولة الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري: (وهذا نقيض ما يدعيه الشيخ فانظر كيف أتى بما هو دليل عليه وهو لا يشعر؟!!). انتهى.

على أنا نؤكد على أن التطهير في الآية إنما المقصود به ما ذكرناه في أولاً من تخليصه من دنس اليهود ورجسهم ونجس جوارهم ومخالطتهم وإنجائه من أن تناله أيديهم النجسة بسوء أياً كانت وسيلته الصلب أو غيره.

ولا علاقة للتطهير في الآية من قريب أو بعيد بما ذهب إليه الدكتور عدنان بدليلين:

أولهما ما قلناه من أن الله تعالى لو كان يريد فعلاً تطهيره من إلصاق اللعنة به بناء على ما يزعمه اليهود من أن المعلق على خشبة ملعون لكان نجاه و لم يوقع في أيديهم أي شبيه له حتى لا يقع الصلب مطلقاً وتنتفي التهمة بالكلية عنه فيكون التطهير قد تحقق بذلك وأما في حالة صلب الشبيه على أنه هو فقد بقيت الشبهة والدعوى قائمة في حق المسيح عليه السلام في نظر كل من رآه بأم عينه مصلوباً وبَلَّغ من لم يره بما رآه هو.

وثانيهما أن التطهير لو كان المقصود به تطهيره من الصلب لأن اليهود يقولون أن المصلوب ملعون لكان هذا مفضياً إلى أن الله تعالى قد اعتنى بتطهير نبيه عيسى عليه السلام من قول اليهود المصلوب ملعون و لم يعتن في المقابل بتطهير نبينا سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء

والمرسلين من دعوى اليهود عندما قالوا: {إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ} [آل عمران:١٨٣]. فكل من لا يأتي بذلك يكون كذاباً في ادعائه النبوة.

فلِمَ لَمْ يطهر الله تعالى نبيه من ذلك بأن يرسل له قرباناً تأكله النار حتى يطهره من اليهود وافترائهم؟!! أليس هذا يعني أفضلية عيسى على نبينا عليهما أفضل وأزكى وأتم التسليم؟!!. وأليس هذا حري بأن يقال فيه ما قاله الدكتور عدنان سابقاً: ((انتبهوا ما شاء الله هذه عقائد جيدة تخدم الإسلام وتخدم القرآن وتخدم قرارات اعتقادنا. لا لا لا. تخدم أعظم ما خدمت به النصرانية أعظم ما خدمت به النصرانية)). انتهى.؟!!!.

وقد بينا أنه على التسليم بذلك فهو يؤكد حتمية نزول عيسى عليه السلام بنفسه آخر الزمان ليتحقق ويثبت بما لا يدع مجالاً لذرة شك أنه لم يُصلب فيتحقق التطهير على النحو الذي فسره به الدكتور عدنان كما أسلفنا.

ثالثاً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((وبهذا أيضاً نُزَيِّف رأي القاديانية الأحمدية ومن لف لفهم)). انتهى. فالذي يراه القاديانية أتباع ميرزا غلام أحمد القادياني المتنبئ الكذاب وفق ما بثه فيهم دجالهم ونبيهم المزعوم ميرزا القادياني أن عيسى عليه السلام صلب ووضع على الصليب وأوذي ولكنه لم يمت على الصليب وإنما أغمي عليه من شدة النزف فظن اليهود أنه مات وهذا معنى {وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} فجاء أتباعه وأنزلوه من على الصليب حتى يدفنوه بناء على ظن اليهود أنه مات فعلاً وبعد واقعة الصلب هذه هاجر عيسى عليه السلام من فلسطين ووصل بزعمهم إلى كشمير وهناك مات ودفن.

وزعم القادياني الكذاب أن قول الحق سبحانه وتعالى: {وَمَا صَلَبُوهُ} أي أنه لم يمت على الصليب فهذا معنى الصلب عندهم وأما مجرد التعليق على صليب دون أن يموت عليه على نحو ما فسروا به {وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ} على ما سبق لا يُعد صلباً ومثلوا لذلك بقولهم أن الغرق يعنى الموت بالغطس فى الماء و ليس مَن غطس و خرج حياً بالغريق. و كذلك من تعلق على الصليب و نزل حياً فليس بمصلوب لأن الصلب هو الموت على الصليب.

هذا هو رأي القاديانية وعليه فالدكتور عدنان للأسف لم يزيف رأيهم كما زعم بل أكده ووافقهم في رأيهم عندما قال بعد هذا الكلام: ((ولا يقال لمن وضع على الصليب دون أن يصلب ويموت إنه صلب المفروض هكذا وإنما من يقتل على الصليب هو المصلوب!!)). انتهى.

وهو عين ما يقوله القاديانية ويفسرون به الآية فيكون معنى التطهير على ما يراه الدكتور عدنان على التسليم بصحته لا يعارض رأي القاديانية ولا يزيفه لأن الله تعالى طهره من الصلب بمعنى طهره من الموت على الصليب ويكون معنى من علق على خشبة فهو ملعون بنفس منظور القاديانية أي من علق على خشبة حتى الموت وهو صريح نص سفر التثنية المنقول سابقاً والذي فيه: (وَإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَان خَطِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَقُتِلَ وَعَلَّقْتَهُ عَلَى خَشَبَةٍ فَلاَ تَبِتْ جُثَّتُهُ عَلَى الْخَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ لأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللهِ). انتهى. أي المعلق المقتول وأما المعلق الذي نجا من القتل غير مشمول بهذا الكلام فيبقى رأي القاديانية قائم حتى بموافقة الدكتور عدنان على تفسيره للتطهير طالما وافقهم في أساس المسألة وهو قولهم أن الصلب هو الموت على الصليب لا مجرد التعليق على الصليب.

وهكذا يبقى باب التلاعب في الدين وتحريف معاني القرآن الكريم مشرعاً لكل من لا يقيم لثوابت الأمة وزناً ولا يعمل لإجماع علماء الأمة ومجتهديها في القرون الخيرية الأولى حساباً وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وبقي أن ننوه إلى أن الرد الحقيقي على هراء القاديانية السابق هو في قوله تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ} [النساء:١٥٧]. فلو كان المقصود بالصلب هو القتل على الصليب كما يزعم القاديانية وأنه لا يقال لمن وضع على الصليب دون أن يصلب ويموت إنه صلب كما يزعم الدكتور عدنان لاكتفى الله تعالى بنفي القتل لأنه إن لم يقتل فحتماً يكون لم يصلب طالما الصلب هو الموت مقتولاً على الصليب فما الفائدة المرجوة من نفي الأمرين طالما أحدهما متضمناً في الآخر؟!!.

ثم كيف يستقيم تفسير الصلب بالقتل على الصليب مع قوله تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ} فيكون بذلك تفسير الآية: وما قتلوه وما قتلوه على الصليب؟!!.

وإنما الذي لا مفر منه أن معنى الآية وما قتلوه وما علقوه من الأساس على الصليب وبهذا يستقيم نفي الأمرين معاً ويتزيف فعلاً رأي القاديانية ومن لف لفهم.

ويؤكد هذا التفسير قوله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام: {وَإِذْ **كَفَفْتُ** بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ} [المائدة:١١٠]. ولو كانوا قد تمكنوا من تعليقه على الصليب وأذيته حتى الإغماء حتى ولو لم يمت بحسب زعم القاديانية لكانت الآية بذلك غير صادقة ولا متحققة فبطل بذلك قول القاديانية أيضاً.

وهذا كله مدعوم بالسنة والآثار الكثيرة التي وضحت ذلك بما لا مجال فيه للقيل والقال والتحريف الممجوج والتأويل المعوج.

وأما المثال الذي يضربه القاديانية بقولهم آنف الذكر: أن الغرق يعني الموت بالغطس في الماء و ليس مَن غطس و خرج حياً بالغريق. و كذلك من تعلق على الصليب و نزل حياً فليس بمصلوب لأن الصلب هو الموت على الصليب. فيُرد عليه بأن الغريق يطلق على من غرق ومات وعلى من غرق ولكنه انتُشل بعد غرقه فأُنقذ من الموت فالغريق غريق بمجرد غرقه سواء مات أو نجا من الموت وكذلك المصلوب يكون مصلوباً بمجرد صلبه على الصليب سواء مات أو نجا من الموت. ولهذا يقال أنقذ المسعفون غريقاً بعد سحبه من المياه وقاموا بإسعافه فقد سُمي غريقاً رغم إسعافه وإنقاذه من الموت.

وتأكيد ذلك من معاجم اللغة ففي لسان العرب لابن منظور:
(والدُّخَسُ، مِثَالُ الصُّرَدِ: دَابَّةٌ فِي الْبَحْرِ **تُنْجي الْغَرِيقَ** تَمَكِّنُهُ مِنْ ظَهْرِهَا لِيَسْتَعِينَ عَلَى السِّبَاحَةِ وَتُسَمَّى الدُّلْفِينَ). انتهى. فلو كان الغريق لا يطلق إلا على من مات غرقاً لما قال: تنجي الغريق فقد صار غريقاً أي ميتاً وانتهى بحسب زعم القاديانية.

والصَّلْب يُعرفه الإمام المناوي في معجمه "التوقيف على مهمات التعاريف" بقوله:
(ومنه الصلب بالفتح الذي هو **تعليق الإنسان للقتل** لشدة تصلبه على الخشب). انتهى. فلو عُلِّق للقتل ثم هَرَب أو هُرِّب فقد وقع عليه الصلب ويقال في حقه أنه صلب بمجرد تعليقه للقتل على الصليب بموجب تعريف الإمام المناوي رحمه الله تعالى.

وهكذا فسره الطاهر بن عاشور الذي قال عنه الدكتور عدنان: ((وهو من مدققي المفسرين!! معروف وخاصة في العربية!!!! ابن عاشور معروف في العربية رجل لا يشق له غبار!!! ولا يُطار له في مطار!!! نور الله ضريحه شآبيب الرحمة)). انتهى. فقد قال في تفسيره التحرير والتنوير:

(وعطف وما صلبوه **لأن الصلب قد يكون دون القتل** فقد كانوا ربما صلبوا الجاني تعذيباً له ثم عفوا عنه). انتهى.

فهذا يرد كلام الدكتور عدنان: ((ولا يقال لمن وضع على الصليب دون أن يصلب ويموت إنه صلب المفروض هكذا وإنما من يقتل على الصليب هو المصلوب!!)). انتهى. ويرد كلام القاديانية معه.

رابعاً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((وكان الشيخ العلامة أحمد ديدات تأثر بهذا أن عيسى وُضع على الصليب نعم وصلب فيما يظهر ولكنه لم تتزهق روحه أي لم تزهق لم تتزهق نفسه فلما دلي عن الخشبة بعد قليل إلى آخر القصة قصة مريم المجدلية ومريم أمه والرشوة لحراس القبر إلى آخره)). انتهى.

فليس صحيحاً فقد صرح الشيخ ديدات رحمه الله تعالى بنفي القتل والصلب معاً كما هو ظاهر النص القرآني الواضح في ذلك ولطالما رد على القاديانيين واعتبرهم خونة في صفوف المسلمين وكتب على نفسه شهادة مكتوبة بخط يده منشورة على الإنترنت يتبرأ فيها من عقائد القاديانية ويكفر غلامهم الميرزا المتنبئ الكذاب كما أعلن براءة مؤسسته الدعوية في حينه من نشر تفسير القاديانية وتبرأ منه ومن الترويج له.

وإنما توهم من توهم ذلك في حق الشيخ ديدات رحمه الله تعالى لأنه في مناظراته مع المسيحيين كان يثبت لهم أن المصلوب لم يمت على الصليب على ضوء سير الأحداث فى الأناجيل لا تسليماً بهذا القول ليبين بذلك تناقض الأناجيل في إثباتها للموت على الصليب وإثباتها نجاته بعد صلبه بحسب أناجيلهم المحرفة فكان ينفي لهم من أناجيلهم عقيدة القيامة من الموت وأنه إنما قام لأنه لم يمت أصلاً عند صلبه بحسب أناجيل النصارى. أي كان يناقشهم بمبدأ من فمك أدينك ومن قبيل إقامة الحجة عليهم من خلال ما يؤمنون به من أناجيلهم المختلفة المتعددة لا بما يؤمن هو به.

وفي مقال بعنوان: "هل قال العلامة ديدات بأن المسيح عليه السلام صلب و لكنه لم يمت على الصليب؟" منشور على موقع للشيخ ديدات بتاريخ: الجمعة ١٦ سبتمبر ٢٠٠٥ جاء فيه:
(وفى خاتمة الكتاب يقول الشيخ أحمد ديدات: ولا أتوقع أن يسألني أي شخص عن عقيدتي كمسلم فيما يتعلق بموضوع الصلب. عقيدتي هي عقيدة القرآن كما وردت بدقة فى الآية ١٥٧ من سورة النساء: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ

اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا}. ... (مسألة صلب المسيح بين الحقيقة و الإفتراء ص ١٨٢ – دار الفضيلة). ...

وفي بداية مناظرة الشيخ مع فلويد كلارك التي كانت بعنوان: "هل صلب المسيح؟" بيّن الشيخ ذلك كله حيث بيّن عقيدته الصحيحة في المسيح عليه السلام تالياً الآيات السابقة من سورة النساء ومعلقاً عليها. ثم أخذ في استخدام أدلتهم ليقيم الحجة عليهم في بطلان عقيدتهم.

فعند مشاهدة المناظرة يبدأ الشيخ عليه رحمة الله قائلاً أنه بالنسبة للمسلمين فإن الأمر محسوم. ان المسيح لم يقتل و لم يصلب. فهي نقطة لا يختلف عليها المسلمون. وأن المسيحيين يتبعون الظن وما قتلوه يقيناً. ثم يتابع فيقول أنه بالنسبة للمسيحيين فهم لا يعترفون بالقرآن الكريم لذلك سنثبت أن المسيح عليه السلام لم يمت على الصليب كما يدعي النصارى لأنه لم يصلب أصلاً وذلك من خلال كتبهم تماشياً مع قول الله: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ}.

وفي نهاية حديثه رحمه الله قال: ليست المسألة من المصيب ومن المخطئ ويمكنكم إدراك مَن على باطل ومن على حق لكن المسلمون يقولون: وما قتلوه وما صلبوه. والصلب يعني القتل بالشنق أو على الصليب. ومهما يكن فهو لم يقتل و لم يصلب وذلك وفقاً لكتاب الله. والحكم هو ان اليهود متهمين بقتل عيسى فهم غير مذنبين وإن كانوا مذنبين لمحاولة القتل ولكن ليس للقتل.

...

وسئل رحمه الله ما نصه: ينكر الاسرائيليون أنهم قتلوا المسيح. والقرآن ينكر ذلك أيضاً ما الفرق بين الموقفين؟ فأجاب الشيخ قائلاً:

{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ} يعني اليهود زعموا بتباهي وتفاخر أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم {رَسُولَ اللَّهِ} وهم يستعملون هذا اللقب هنا لا لإيمانهم بأنه نبي ورسول من عند الله ولكن كنوع من السخرية والاستهزاء بالرجل الذى ظنوا أنهم قتلوه. وهذا يعني أن هؤلاء القوم اعتقدوا أن عيسى كان مدعياً للنبوة وأنهم قتلوه وتخلصوا منه.

ولكن الله سبحانه وتعالى بيّن لهم أنهم {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ}. فهم لم يقتلوه و لم يصلبوه ولكن بدا لهم كأنهم فعلوا ذلك. فقد ظنوا أنهم فعلوا ذلك ولكنهم لم يصلبوا و لم يقتلوا المسيح. {وَإِنَّ

الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ} اختلفوا: من الاختلاف. وأولئك الذين لديهم آراء مختلفة فى الموضوع {لَفِي شَكٍّ مِنْهُ} ما هم إلا فى شك. {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ} فما عندهم من علم يقيني {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} لأنه من المؤكد أنهم لم يقتلوه.

هذا هو مفهوم المسلمين لشبهة صلب المسيح وقتله. وهي أنهم لم يصلبوه و لم يقتلوه. ولكن هذا ما ظنوا فى عقولهم أنهم فعلوه. وهم لم يفعلوا ذلك. هذا ما نؤمن به نحن المسلمين. (محاضرة هل عيسى إله أم بشر أم أسطورة ص ١١١- ١١٢ - المختار الاسلامى)). انتهى ببعض اختصار.

ويمكن مراجعة كامل المقال على الرابط:

http://www.ahmed-deedat.net/wps/modules.php?name=News&file=print&sid=2

١٦/ قال الدكتور في معرض الحديث عن رفع عيسى عليه السلام في الدقيقة [٤٨:١٥ - ٥٠:٥٥]:.

((إذاً {مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ} فَهِمْنَا مطهرك. والترتيب وفاة ثم رفعة. طيب الرفعة هنا يقول {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} أستغفر الله العظيم كأنهم يشيرون إلى ما وقر في صدورهم أيها الإخوة من عقائد فاسدة وخيالات كاسدة أن الله والعياذ بالله يعني يوشك أن يكون له مكان حسي وإن كان فوق المكان فوق السماوات السبع على كرسيه في عرشه بالمعنى الذي يليق بجلاله. عندهم بعض العقائد التجسيمية حاشا لله ليس كمثله شيء لا يقال إن الله له مكان يتمكن فيه حاشا لله كيف وهو مُمَكِّن المكان ومُزَمِّن الزمان. كيف وهو خالق الظروف والأزمان لا إله إلا هو. إذاً وين كان قبل أن يُمَكِّن المكان؟! إيش الكلام الفارغ هدا؟! هذا يليق بالمخلوقات بالمحدثات. فقالوا الله يقول: رافعك إلي [الصواب: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}] قلنا الجواب من جهتين: أول شيء قوله عز من قائل: رافعك [الصواب: {وَرَافِعُكَ}] الرفعة ليس بالضرورة أن تكون رفعة مكان. بل هي رفعة مقام ومكانة. آ ورفع بعضهم فوق بعض درجات [الصواب: {وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ}] يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم منكم درجات [الصواب: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}] في إدريس: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا} الرفعة رفعة معنوية رفعة مقام ومكانة وليست مكان حسي أيها الإخوة. هي واحد. قالك لأ مينفعش لماذا؟ قال لأن الله تعالى قال: رافعك إلي [الصواب: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}] يا سلام! يعني لله مكان حسي فعلاً يُرفع إليه عيسى. مصرون على التجسيم والتشبيه والعياذ بالله والعقائد الفاسدة. إذاً أين أنتم من قول الله

تعالى على لسان لوط حكاية لقول لوط عليه السلام: {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} مش لربي. لو مهاجر لربي يعني لأجل ربي جهاداً في سبيل ربي. مقالش (لـــ) قال إيش (إليّ) التي يتوصل بها من مكان إلى مكان {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} الله في فلسطين يعني؟! والعراق تخلو منه؟! هل هكذا تفهمون القرآن الكريم هذا قصارى فهمكم للغة العربية؟! هذه ذائقتكم اللغوية هذا قولٌ حكايته رده. لا نرد بأكثر من أن نحكيه. مجرد أن تحكيه حكايته رده كما يقال وقد حكيناه. أبداً وإنما الرفعة رفعة رفعة مقام ومكانة أيها الإخوة)).

الرد:

أولاً:

قول الدكتور عدنان: ((والترتيب وفاة ثم رفعة)). انتهى. سبق نفيه ورده وبيان أن واو العطف لا تستلزم الترتيب الزمني فليراجع.

ثانياً:

وقول الدكتور عدنان: ((كأنهم يشيرون إلى ما وقر في صدورهم أيها الإخوة من عقائد فاسدة وخيالات كاسدة أن الله والعياذ بالله يعني يوشك أن يكون له مكان حسي)). انتهى. فقد سبق تبرئة علمائنا وأئمتنا من هذا الاعتقاد عند حديث الدكتور عدنان عن آية {وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} وحديثه عما سماه القرب الحسي فليراجع في موضعه.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن علماءنا يفسرون قوله تعالى: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} أي إلى السماء وعبر عن ذلك بإضافة هذا الموضع والمكان للذات العلية المقدسة بقوله {إِلَيَّ} **على التعظيم ومن قبيل التشريف لأن السماء موضع تشريفه وتكريمه وضيافته سبحانه وتعالى لا أنها موضع سكنه وإقامته أو موضع القرب الحسي المكاني منه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.**

ولهذا فإن الله تعالى لما أراد أن يكرم نبيه عرج به إلى السماوات العلا تشريفاً وتكريماً. وفي المقابل فإن إبليس لعنه الله تعالى لما عصا واستكبر طُرد من السماء وأُهبط إلى الأرض وقال له الله تعالى: {قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا **فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا** فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} [الأعراف:١٣]. لأن السماء لا يسكنها إلا الملائكة المكرمون الذين قال الله تعالى فيهم: { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ **عِبَادٌ مُكْرَمُونَ** * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء:٢٦،٢٧].

ولهذا أيضاً زينت السماء الدنيا بالكواكب وحفظت من اقتراب الشياطين الذين يحاولون استراق السمع كما قال تعالى: {إِنَّا **زَيَّنَّا السَّمَاءَ** الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * **وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ** * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى **الْمَلَإِ الْأَعْلَى** وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} [الصافات:٦-١٠]. صدق الله العظيم.

وتأكيداً على أن علماءنا وأئمتنا يفهمون الآية على نحو لا تجسيم فيه ولا تشبيه وأنهم أبعد الناس عن ذلك فها هو إمام أهل السنة في علم الكلام وأصول الدين الإمام أبو منصور الماتريدي يقول في تفسيره:
(وقوله: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} هو على تعظيم عيسى عليه السلام ليس على ما قالت المشبهة بإثباتها المكان له. لأنه لو كان في قوله: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} يوجب ذلك يجب أن يكون أهل الشام أقرب إليه لأن إبراهيم عليه السلام قال: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ}. والكفرة إليه قريب منه كقوله: {ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} دل هذا أن ما قالوا خيال فاسد تعالى اللّه عما يقول الظالمون علوا كبيراً ولكن على التعظيم والتبجيل أعني: المضاف إليه.

والأصل في هذا: أن الخاص إذا أضيف إلى الله فإنما يراد به تعظيم ذلك الخاص نحو ما قال: (بيت اللّه) على تعظيم البيت. {نَاقَةَ اللَّهِ} فهو على تعظيم الناقة. ونحوه مما يكثر وقوعه.

وإذا أضيف الجماعة إليه فهو على إرادة تعظيم الربِّ جل ثناؤه نحو: {رَبِّ الْعَالَمِينَ}. {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}. ونحوه كله على إرادة تعظيم الربِّ جل ثناؤه). انتهى.

وقوله (بيت الله) على تعظيم البيت هو كما في قوله تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ **بَيْتِيَ** لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [الحج:٢٦].

ومثل هذا الكلام ذكره الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه "البرهان" حيث قال:
(وقول صاحب الفتوى: فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة إليه؟ [أي في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ}] تجاهل يزري بصاحبه ومع هذا نجيبه على قدر تجاهله فنقول:

أُخذت كلمة السماء من كلمة إليه بدليلين: قطعيين: أحدهما/ أن المكان في حق الله محال. ثانيهما/ أن **السماء مهبط الوحي ومسكن الملائكة وقبلة الدعاء ومتنزل الرزق فأضيفت إلى الله تشريفاً** كما يقال في الكعبة: بيت الله وفي ساكن مكة: جار الله. وهذا أمر يدركه الطلبة.

قال النيسابوري في تفسيره:

أما قوله {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} فالمشبهة تمسكوا بمثله في إثبات المكان لله وأنه في السماء. **لكن الدلائل القاطعة دلت على أنه متعالٍ عن الحيز والجهة** فوجب حمل هذا الظاهر على التأويل بأن المراد: إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي. والمراد التفخيم والتعظيم. أو المراد: إلى مكان لا يملك الحكمَ عليه هناك غيرُ الله فإن في الأرض ملوكاً مجازية أهـ). انتهى.

هذا مع ملاحظة أن القاديانية يؤلون ما جاء من أحاديث في نزول عيسى عليه السلام بأنه إخبار عن ظهوره وليس نزولاً حسياً من السماء بل هو من قبيل قولنا نزلت ضيفاً على فلان. وزعموا أنه لم يرد في أحاديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ما يفيد أن نزوله من السماء وهذا على اعتبار أنهم يؤلون عيسى الوارد في أحاديث آخر الزمان بشخص آخر عُبر عنه بعيسى ابن مريم لأنه سيكون شبيهاً بالنبي عيسى عليه السلام في خَلقه وخُلقه وطبعاً هم يعنون بهذا الشخص متنبئهم الدجال الكذاب ميرزا غلام القادياني.

ومع سخافة هذا الكلام لكن يرده ورود اللفظ الصريح بالنزول من السماء في السنة النبوية لا كما يزعم هؤلاء الدجاجلة ومن ذلك الرواية التي في "مسند البزار":

(حَدَّثَنا علي بن المنذر حَدَّثَنا مُحَمَّد بن فضيل عَنْ عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ عَنْ أَبِيه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت من أبي القاسم الصادق المصدوق يقول: يخرج الأعور الدجال مسيح الضلالة قِبَل المشرق في زمن اختلاف من الناس وفُرقة فيبلغ ما شاء الله أن يبلغ من الأرض في أربعين يوماً الله أعلم ما مقدارها؟ فيلقى المؤمنون شدة شديدة ثم ينزل عيسى بن مريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ **من السماء** فيقوم الناس فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع الله لمن حمده قتل الله الدجال وظهر المؤمنون. فأحلِفُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا القاسم الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إنه لحق وأما قريب فكل ما هو آت قريب)). انتهى.

وكذلك الرواية التي رواها البيهقي في "الأسماء والصفات":
(أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ أنا أَبُو بَكْرِ بْنُ إِسْحَاقَ أنا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ثنا ابْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنِي اللَّيْثُ عَنْ يُونُسَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ **مِنَ السَّمَاءِ** فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ)). انتهى.

وبهذا فإن علماءنا وأئمتنا يفهمون {**إِلَيَّ**} هنا كما يفهمون {**عِنْدَكَ**} هناك في قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي **عِنْدَكَ** بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [التحريم:١١]. فعندك هنا عندية مكان هو الجنة وجاءت مضافة إلى الذات العلية المقدسة {عِنْدَكَ} ولكنها على التعظيم أيضاً لأن الجنة موضع كرامته وفضله ونعيمه ورضوانه سبحانه وتعالى لا أنها موضع سكنه وإقامته أو موضع القرب الحسي المكاني منه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فكما أن {عِنْدَكَ} هناك هي عندية مكان [هو الجنة] ولا يستلزم ذلك تجسيماً ولا تشبيهاً ولا قرباً حسياً للذات العلية المقدسة المترهة عن المكان والزمان فكذلك {إِلَيَّ} هنا هي موضع مكان [هو السماء] دون أن يستلزم ذلك تجسيماً ولا تشبيهاً ولا قرباً حسياً للذات العلية المقدسة المترهة عن المكان والزمان.

والآن لتتيقن ولتزداد يقيناً من أن لفظة (إليه) في قوله تعالى: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} ولفظة (إليّ) في قوله تعالى: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} تعني إلى السماء موضع كرامة الله تعالى والملائكة المقربين تأمل قوله تعالى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَمَنْ عِنْدَهُ** لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} [الأنبياء:١٩]. وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ **عِنْدَ رَبِّكَ** لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} [الأعراف:٢٠٦]. وكذلك قوله تعالى: {فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ **عِنْدَ رَبِّكَ** يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ} [فصلت:٣٨]. **فالذين عند ربك هم الملائكة والملائكة مكانهم السماء** وهذا المكان الذي هو السماء وُصف بأنه عند ربك لا بمعنى عندية المكان الحسي لله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً وإنما على التشريف والتكريم لما ذكرنا من أن السماء موضع كرامته وتشريفه وتكريمه تماماً كما يفهمه علماؤنا الراسخون في العلم.

وبذلك تتيقن من أن (إليه) و (عنده) تعني قطعاً السماء والتي هي موضع تشريفه وتكريمه وموضع ملائكته المقربين المكْرمين بنصوص آيات الكتاب المبين.

وبهذا يتبين جلياً أن كلام الدكتور عدنان ما هو إلا كلام إنشائي خطابي لا محل له من النظر والتحقيق العلمي الرصين المتين ومجرد تهويل وتهويش وتلبيس. وكما قلنا سابقاً جمل إنشائية وكلام مزخرف معسول {**كَسَرَابٍ** بِقِيعَةٍ **يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً** حَتَّى إِذَا جَاءَهُ **لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**}.

ثالثاً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((الرفعة ليس بالضرورة أن تكون رفعة مكان. بل هي رفعة مقام ومكانة)). انتهى. فقد سبق أن قلنا ما نصه:

(العجيب هو إصرار الدكتور عدنان هنا أن التوفي هنا في هذه الآية يصرف إلى أصله وهو الموت لأن الوفاة إذا أطلقت تنصرف إلى الموت على حد كلام الدكتور عدنان [وسبق الرد على هذا] في حين أنه عندما تحدث عن معنى الرفع المذكور في نفس الآية عند قوله تعالى: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} فإنه ناقض نفسه وأولّ الرفع إلى الرفع المعنوي رفع المكانة مع أنه على قاعدته فإن الرفع إذا أطلق فينبغي أن لا يصرف إلا إلى أصله وهو الرفع الحسي المكاني من مكان منخفض إلى مكان مرتفع.

والفرق الجوهري بين تأويل الدكتور عدنان وتأويل القائلين بالرفع أن الأحاديث المتواترة تقف مع تأويل الوفاة إلى المعنى اللغوي وتوجب صرفها إلى هذا المعنى دون الموت الحقيقي على نحو ما سبق في حين أن هذه الأحاديث المتواترة نفسها تتعارض مع تأويل الدكتور عدنان للرفع إلى المعنى المجازي المعنوي فهي تثبت الرفع الحقيقي الظاهري إلى السماء وتوجب صرف اللفظ إليه {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}). انتهى.

فنقول للدكتور عدنان بأسلوبه ومنهجه ومنطقه: الرفع أصالة يطلق على الرفع الحسي فإن أريد به الرفع المعنوي رأينا قرينة تؤكد هذا فإذا فسرت الرفع هنا بغير الرفع الحسي المكاني قلي وين القرينة؟!!! نريد قرينة على حد تعبير الدكتور عدنان.

فإن قال القرينة تنزه الله تعالى عن المكان قلنا له وبأسلوبه التهكمي أيضاً: لا لا أنت لم تفهم الآية أصلاً!!. أنت لم تفهم سر ولطف هذا التعبير القرآني الدقيق. الآية لا تحدد مكاناً لله تعالى وإنما الإضافة فيها لله

تعالى على سبيل التعظيم والتشريف لأن السماء موضع تشريفه وتكريمه وضيافته سبحانه وتعالى تماماً كما في قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي **عِنْدَكَ** بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [التحريم:١١]. فعندك هنا عندية مكان هو الجنة وجاءت مضافة إلى الذات العلية المقدسة {عِنْدَكَ} ولكنها على التعظيم أيضاً لأن الجنة موضع كرامته وفضله ونعيمه ورضوانه سبحانه وتعالى لا أنها موضع سكنه وإقامته أو موضع القرب الحسي المكاني منه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فكما أن {عِنْدَكَ} هناك هي عندية مكان [هو الجنة] ولا يستلزم ذلك تجسيماً ولا تشبيهاً ولا قرباً حسياً للذات العلية المقدسة المنزهة عن المكان والزمان فكذلك {إِلَيَّ} هنا موضع مكان [هو السماء] دون أن يستلزم ذلك تجسيماً ولا تشبيهاً ولا قرباً حسياً للذات العلية المقدسة المنزهة عن المكان والزمان.

رابعاً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((إذاً أين أنتم من قول الله تعالى على لسان لوط حكاية لقول لوط عليه السلام: {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} مش لربي. لو مهاجر لربي يعني لأجل ربي جهاداً في سبيل ربي. مقالش (لــ) قال إيش (إليّ) التي يتوصل بها من مكان إلى مكان {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} الله في فلسطين يعني؟! والعراق تخلو منه؟! هل هكذا تفهمون القرآن الكريم هذا قصارى فهمكم للغة العربية؟!)). انتهى. **فقد جاء الدكتور هنا بما يؤكد أن رفع عيسى عليه السلام هو رفع مكاني إلى السماء لا رفعة مكانة** ومقام وبيان ذلك على النحو التالي:

أ) إن لفظة **إليَّ** في قوله تعالى: {وَرَافِعُكَ **إِلَيَّ**} **تدل صراحة وقطعياً على أن الرفع كان من موضع إلى موضع بحسب استخدام حرف الجر (إلى) في العربية**. وقد استخدمت في وصف رفع عيسى عليه السلام في موضعين الأول هو هذا قوله تعالى: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران:٥٥]. والثاني قوله تعالى: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء:١٥٨].

والعجيب أن الدكتور عدنان يسخر ممن استدلوا على الرفع الحسي بقرينة {إِلَيَّ} في الآية ويتهكم عليهم بقوله آنف الذكر: ((هل هكذا تفهمون القرآن الكريم هذا قصارى فهمكم للغة العربية؟!)). انتهى. وأحد هؤلاء هو الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري الذي وصفه الدكتور عدنان بقوله: ((**العلامة المحدث الفقيه الأصولي المفسر الجليل عبد الله بن الصديق الغماري قدس الله سره ورضوان الله عليه!**)). انتهى.

فقد قال الغماري رحمه الله تعالى في كتابه "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام":
(أن كلمة {إِلَيَّ} تدل على أن الرفع انتهى إلى مكان محسوس وهو السماء ... ورفعة المكانة ليس لها مكان تنتهي إليه فلا يُذكر معها لفظ {إِلَيَّ}). انتهى.

ب) سبق أن قلنا أن الرفع في اللغة أصالة يطلق على الرفع الحسي من موضع إلى موضع وصرفه إلى المعنى المجازي الذي هو رفع المكانة يستلزم قرينة لذلك ولا قرينة عليه هنا بل لفظة {إِلَيَّ} قرينة صريحة على عكس ذلك وأنه رفع حسي مكاني كما أسلفنا في البند السابق.

ج) سبق أن قال الدكتور عدنان: ((والترتيب وفاة ثم رفعة)). انتهى. وهذا يستلزم أن رفعة المكانة والمقام لعيسى عليه السلام لم تتحقق إلا بعد وفاته وهذا كلام بَيِّنُ السقوط لأن عيسى عليه السلام مرفوع المكانة قطعاً في حياته ومنذ اللحظة التي ولد فيها على النحو المعجز الخارق المعلوم بلا أب ومتكلماً في مهده بل كان مرفوع المكانة قبل ذلك منذ تبشير الملائكة لأمه الصديقة بولادته فبهذا جاء القرآن في قوله تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ **وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا** وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} [آل عمران:٤٥]. فهو وجيه في الدنيا قبل الآخرة في حياته قبل مماته. وكذلك يتجلى ذلك في قوله تعالى: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ** وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم:٢٩-٣٣].

وهذا يؤكد بطلان القول بالترتيب الذي يصر عليه الدكتور عدنان من جهة وعلى بطلان تفسير الرفع برفعة المكانة بقول الغماري في كتابه "عقيدة أهل الإسلام":
(أن رفعة المكانة حاصلة لعيسى على أكمل وجه فلا معنى لأن يعطى شيئاً حاصلاً له). انتهى.

د) يقول الغماري رحمه الله تعالى في كتابه "البرهان" في معرض ذكر أسباب ودلائل بطلان القول بالرفع المعنوي في هذه الآية:
(عدم وجود فائدة لذكر الرفع لأنه إما أن يراد به رفع الروح أو رفع المكانة وكلاهما عديم الفائدة لأن كل ميت ترفع روحه إلى بارئها مقتولاً كان أو غير مقتول.

والرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم مرفوعو الرتبة والمكانة عند الله فلا تظهر فائدة لتخصيص عيسى برفع روحه أو مكانته لا سيما وفي الرسل من هو أفضل منه ومن أوذي أكثر من إذايته كإبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام فإنهما أفضل من عيسى عليه الصلاة والسلام وأوذيا من قومهما أبلغ إذاية و لم ينص على رفع روحهما أو مكانتهما وقد كانا أولى بالتنصيص على ذلك). انتهى.

هـــ) قوله تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * **بَلْ** رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء:١٥٧،١٥٨]. الدليل القاطع والساطع على أن الله تعالى نجى عبده ونبيه عيسى عليه السلام من مكر اليهود ونيتهم قتله بأن خلصه من بين أيديهم ورفعه إليه إلى سمائه بعزته وكان الله عزيزاً فقتلوا شبيهه وصلبوه ظناً منهم أنه عيسى عليه السلام فصرفهم الله تعالى بحكمته عن قتل أتباعه وحوارييه لظنهم أنهم تخلصوا من كبيرهم وزعيمهم وبتخلصهم منه وقضائهم المظنون عليه ينقضي بالتبعية أمر أتباعه ودينه وكان الله عزيزاً حكيماً.

وما يقطع بهذا التفسير من الآية لفظة {**بَلْ**} وبيان ذلك يجليه لنا الشيخ عبد الله الغماري حيث يقول في كتابه "البرهان":

(قوله تعالى: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} وهذه الآية نص في حياة عيسى ورفعه لأن الله تعالى نفى عنه القتل والصلب ثم عطف ببل مثبتاً له الرفع.

والمقرر في كتب اللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم أن (بل) إذا تلت نفياً أو نهياً كانت حرف إضراب واستدراك تُقرر حكم ما قبلها وتُثبت نقيضه لما بعدها.

وقد ذكر أهل المعاني العطف بـــ (بل) وبـــ (لا) من طرق القصر وقالوا: إنه أقوى طرقه للتصريح فيه بالنفي والإثبات. فكلمة بل في الآية لقصر القلب ترد على اليهود والنصارى ما اعتقدوه من قتل عيسى وتثبت نقيض ذلك وهو حياته ورفعه.

هذا ما تفيده الآية صراحة بحسب قواعد اللغة وأسلوب البلاغة وهو الذي يفهمه كل عربي فصيح بذوقه السليم الصحيح.

أما حمل الآية على تقدير الإماتة العادية بأن يقال: بل أماته الله ورفعه إليه كما فعل صاحب الفتوى والقاديانية فمن سقط الكلام الذي يجب أن يتره عنه القرآن العظيم لأن الإماتة العادية تتفق مع القتل في الغاية وهي إزهاق الروح كما قال الشاعر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ** تعددت الأسباب والموت واحد

فلا تكون الإماتة نقيضاً للقتل). انتهى.

والمقصود بقصر القلب في كلام الشيخ الغماري هو أسلوب يخاطب المخاطَب بأن يعكس ويقلب له ما كان يعتقده ويثبت له نقيض اعتقاده وعكسه تماماً. فاليهود والنصارى يعتقدون أهم صلبوا المسيح عليه السلام وقتلوه فنفى لهم القرآن ذلك وأثبت في المقابل نقيض ذلك وهو الرفع المحقِّق لعدم القتل والصلب وهذا معناه الرفع الحسي إلى السماء بحيث بقي حياً و لم تطله و لم تنله أيديهم لا بالقتل ولا بالصلب وبهذا فقط يكون الرفع مؤكداً مثبتاً لنفي القتل.

ولا يستقيم المعنى لو كان المقصود بالرفع في الآية رفعة المكانة إذ لو كان كذلك لم يكن ذلك نافياً مبطلاً لما ادعته اليهود من قتل عيسى عليه السلام وصلبه ولم يكن في المقابل مثبتاً مؤكداً لعدم قتله **لأن رفعة المكانة والمقام لا تنفي القتل والصلب في حين الآية صريحة في ورود الرفع في معرض تأكيد نفي القتل والصلب** {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ}. فكأن الآية معناها وما قتلوه وما صلبوه وما قتلوه يقيناً بل نجاه الله تعالى منهم وذلك بأن رفعه بروحه وجسده حياً إليه إلى سمائه موضع ملائكته وموضع سلطانه وموضع تكريمه وتشريفه لخلقه **ولا تستقيم من حيث المعنى بغير هذا التفسير**.

ومن يتأمل تفسير الدكتور عدنان ومن وافقه بالرفع المكاني سيجد أن معنى الآية سيكون على النحو التالي: وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ... وما قتلوه يقيناً بل رفع الله تعالى مكانته ومقامه!!!. **هل هذا كلام عاقل فضلاً عن السؤال هل يستقيم هذا لغة؟!!!**.

أو سيكون معنى الآية على النحو التالي: وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ... وما قتلوه يقيناً بل نجاه الله تعالى بأن رفع مكانته ومترلته ومقامه !!!. وعلى الفور سيتبادر للأذهان السؤال الجوهري: وما علاقة رفع المكانة بكونه نجا من القتل والصلب؟!!.

إن هذا كأن أتحدث عن شخص زعموا أن سيارة صدمته وقتلته فأردت أن أنفي ذلك نفياً قاطعاً فقلت: ادّعَوْا أنه صدمته سيارة وقتلته وما قتلته وما صدمته بل رفعنا من قدره ومترلته ومكانته؟!!. **فهل هذا كلام له معنى ويستقيم لغة؟!!.**

و) ومما يستأنس به في إثبات أن الرفع في حق عيسى ليس هو رفع المكانة تدبرُ وتأملُ قوله تعالى: {**تِلْكَ الرُّسُلُ** فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ **وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ** وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} [البقرة:٢٥٣]. فعندما فَصَّل الله تعالى الحديث عن الرسل هنا قَسَّمهم أقساماً وَبَيَّنَ أنه فَضَّل بعضهم على بعض فمنهم من كلمه الله تعالى كالكليم موسى عليه السلام. **ومنهم قسْم رفعه درجات أي رفعة مكانة ومترلة ومقام ولم يجعل في هذا القسْم عيسى عليه السلام بل خصه لوحده بكونه مؤيداً بروح القدس وبالبينات** وهذا يؤكد أن قوله تعالى {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} رفع حسي حقيقي إلى السماء ولهذا لم يدخله فيمن أخبر أنه رفعهم رفعة مكانة. وسبحان من قال: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ** وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء:٨٢]. صدق الله العظيم.

ز) وأيضاً النصارى يزعون أن عيسى عليه السلام ارتفع إلى السماء بعدما صلب ومات **فلماذا اكتفى القرآن بنفي القتل والصلب ولم ينف صعوده للسماء** بل جاء بما يثبته في قوله تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**} [النساء:١٥٨].؟!!.

ولو كان المقصود بالرفع هنا هو الرفع المعنوي أي رفع المكانة لا الرفع الحسي **فهل من المعقول أن يأتي القرآن بلفظ موهم للرفع الحسي مع علمه بما يقول به النصارى من الرفع والصعود الحسي** وفي نفس الوقت أيضاً لا ينفي صراحة كذب اعتقاد النصارى في صعود عيسى عليه السلام للسماء مثلما نفى سائر ما كذَبوا فيه على سيدنا عيسى عليه السلام؟!!

والقرآن لَمَّا عَلِم أن النصارى يقولون أن عيسى كان يأتي بالخوارق كإحياء الموتى لأنه إله ورب أثبت وأقر بأن عيسى عليه السلام كان يأتي بهذه الخوارق لكنه عَقَّب بأنه كان يفعلها بإذن الله لا من ذاته لأنه بشر وليس إلهاً كما يعتقده النصارى. فلو كان عيسى عليه السلام لم يرتفع حقاً بروحه وجسده إلى السماء لكان الله تعالى قد بَيَّن أيضاً أن الرفع هو رفع مكانة لا رفع مكان وارتقاء إلى السماء كما يعتقده النصارى؟!!.

ح) وأخيراً **الحجة التي جاء بها الدكتور عدنان نفسه تؤكد أن الرفع المذكور في الآية هو رفع حسي حقيقي من مكان إلى مكان خلاف ما أراد الدكتور**.

وذلك أن الآية التي استشهد بها وهي قوله تعالى: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ **إِلَى** رَبِّي} [العنكبوت:٢٦]. هذه الآية:

* **أولاً** * تحتمل أن يكون القائل هو لوط لأنه أقرب المذكورين كما قال ابن كثير في تفسيره وتحتمل أن يكون من قول إبراهيم عليهما وعلى جميع الأنبياء جميعاً أفضل الصلاة وأزكى وأتم السلام. والقول الثاني أن هذا من قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام عليه أكثر المفسرين وهو الأرجح لسببين:

١. أنه جاء التصريح بأن هذا الكلام قاله سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة الصافات: {وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ **لَإِبْرَاهِيمَ** * **إِذْ جَاءَ** رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * **إِذْ قَالَ** لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * **فَقَالَ** إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ **فَقَالَ** أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * **قَالَ** أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ * **وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**} [الصافات:٨٣-٩٩].

٢. أن الآية جاءت في سياق التحدث عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لا عن لوط عليه السلام بدليل ما سبقها وما بعدها بل نلاحظ أن الآيات خصصت بعد ذلك بشكل منفصل للحديث عن لوط عليه السلام تأكيداً على أن هذه الآية تخص إبراهيم عليه السلام وأنه هو القائل: {إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي}. ومن أراد التيقن فإليه سياق الآيات التي تتحدث كلها عن سيدنا إبراهيم عليه السلام ثم انتقلت للحديث بشكل منفصل عن لوط عليه السلام: {**وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ** لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ * وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ

لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * فَمَا كَانَ جَوَابَ **قَوْمِهِ** إِلَّا أَنْ قَالُوا **اقْتُلُوهُ** أَوْ **حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ** اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * **وَقَالَ** إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * فَآمَنَ **لَهُ** لُوطٌ **وَقَالَ** إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا **لَهُ** إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي **ذُرِّيَّتِهِ** النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ **وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ** فِي الدُّنْيَا **وَإِنَّهُ** فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * **وَلُوطًا إِذْ قَالَ** لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * **قَالَ** رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} [العنكبوت:١٦-٣٠].

وسواء كان من قول إبراهيم أو من قول لوط عليهما السلام فقد آمن لوط عليه السلام بإبراهيم عليه السلام **وهاجرا معاً من العراق إلى بلاد الشام** ثم أُرسل لوط في حياة الخليل إلى أهل سدوم وإقليمها كما قال ابن كثير في تفسيره وهو الموافق لقوله تعالى: {قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ** الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:٦٩-٧١].

فكلاهما إذاً إبراهيم ولوط عليهما وعلى رسولنا أفضل وأزكى وأتم التسليم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين **كلاهما قد هاجر هجرة مكانية حقيقية من العراق إلى فلسطين تأكيداً على أن (إلى) هي للانتقال الحسي من موضع إلى موضع.**

* **وثانياً** * هذه الآية تؤكد على أن الله تعالى ليس متحيزاً في جهة ولا متمكناً في مكان ومن العجيب أن يذكر هذا الدكتور عدنان في معرض الاعتراض على علمائنا وأئمتنا مع أن هذا عين ما قالوه وما استدلوا به على ذلك فهو عين ما قاله الإمام الماتريدي فيما نقلناه عنه سابقاً عندما قال:

(وقوله: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} هو على تعظيم عيسى عليه السلام ليس على ما قالت المشبهة بإثباتها المكان له. لأنه لو كان في قوله: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} يوجب ذلك يجب أن يكون أهل الشام أقرب إليه لأن إبراهيم عليه السلام قال: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ}. والكفرة إليه قريب منه كقوله: {ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ}. دل هذا أن ما قالوا خيال فاسد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً ولكن على التعظيم والتبجيل أعني: المضاف إليه). انتهى.

* **وثالثاً** * والأهم أن الدكتور عدنان لما أراد التدليل على بطلان الرفع الحسي من مكان إلى مكان بقرينة (إليّ) التي يتوصل بها من مكان إلى مكان جاء بهذه الآية {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} وهي صريحة في الإنتقال من مكان إلى مكان **[فهي هجرة حقيقية من العراق إلى الشام]** كما أقر الدكتور عدنان نفسه تأكيداً على أن قوله تعالى: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} هو رفع حقيقي أيضاً من مكان إلى مكان [من الأرض إلى السماء].

وكما أنّ قوله تعالى: {وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي} ومثله قوله تعالى: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي} لا يُفهم على ظاهره من التشبيه والتجسيم وتوهم المكان والجهة والحيز لله سبحانه وتعالى فكذلك قوله تعالى: {وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} ومثله قوله تعالى: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} لا يُفهم أيضاً على ظاهره من التشبيه والتجسيم وتوهم المكان والجهة والحيز لله سبحانه وتعالى.

وبهذا تتحقق في استدلال الدكتور عدنان هذا أيضاً قولة الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري المذكورة سابقاً: (وهذا نقيض ما يدعيه الشيخ فانظر كيف أتى بما هو دليل عليه وهو لا يشعر؟!!). انتهى.

وبهذا أيضأ يتبين أنه أحق بأن يوجه إليه قوله: ((هل هكذا تفهمون القرآن الكريم هذا قصارى فهمكم للغة العربية؟! هذه ذائقتكم اللغوية هذا قولٌ حكايته رده. لا نرد بأكثر من أن نحكيه. مجرد أن تحكيه حكايته رده كما يقال وقد حكيناه)). انتهى. ويتبين على الحقيقة مَن هم الذين يفهمون القرآن الكريم حق الفهم ومن هم الذين يقرؤونه ويحسبون أنهم على شيء.

<u>١٧/</u> قال الدكتور في الدقيقة [٥١:٠١ - ٥٢:٢٧].:

((إلى اليوم أيها الإخوة هناك بلدة في كشمير في الهند فيها قبر بل هو مقام عظيم لرجل يُعتقد أنه من كبار الصالحين أهل تلك البلدة سرينجرا يعتقدون أن هذا الرجل وفد عليهم قبل ١٩٠٠ سنة وأنه من سلالة الملوك وأنه أحد الأنبياء!! واسمه يوز آساف يوز آساف أما اسمه الحقيقي يقولون فهو عيسى!!!. النصارى الذيم ذهبوا إلى كشمير ورأوا هذا وهذه المعلومات التي تؤثر من مئات السنين!! قالوا قد يكون أحد الحواريين أو أحد تلامذة ورسل عيسى فهل يمكن أن يكون عيسى بعد أن نجاه الله تبارك وتعالى هاجر من بلد فلسطين وذهب إلى هناك وعُمِّر هناك وتوفي هناك وفاة طبيعية كما يعتقد القاديانية القاديانية يعتقدون بهذا الله أعلم!!! مسألة قيد الدرس ورهن التحقيق والبحث لكن ممكن!!! لماذا؟! عيسى لم يُقتل على

الصليب و لم يرفع حياً روحاً وبدناً وإنما مات ميتة طبيعية بدلالة {إني متوفيك} {فلما توفيتني} {قد خلت من قبله الرسل} آيات كثيرة. سنن هذه!!. الله تبارك وتعالى أعلم)).

الرد:

أولاً:

ادعاء الدكتور عدنان أن أهل القرية الهندية التي فيها ذلك القبر الذي تحدث عنه الدكتور عدنان يعتقدون أن صاحب القبر وفد عليهم قبل ١٩٠٠ سنة وأنه أحد الأنبياء وأن اسمه الأصلي عيسى كله كذب اختلقه ميرزا غلام القادياني المتنبئ الكذاب ليثبت صحة عقيدته أنه هو عيسى المشار إليه في أحاديث آخر الزمان وأن عيسى ابن مريم عليه السلام نبي بني إسرائيل قد صُلب على الصليب وظن اليهود أنه مات ولكنه كان قد أغمي عليه فقط ومن ثم لما أُنزل مِن عليه هاجر سراً إلى أن وصل الهند ودُفن هناك في هذا القبر بحسب زعمه وافترائه واختلاقه لعنه الله تعالى.

وأما **أهل هذه القرية في مدينة سريناجار فيقولون أن المزار هو قبر لاثنين من العلماء المسلمين** توفيا منذ قرون هما : يوزا آصف والسيد نصير الدين. وهذا ما هو مكتوب باللغتين العربية والإنجليزية على لافتة كبيرة على مقام هذين الرجلين الصالحين.

ولما أشاع القادياني الكذاب فريته حول هذا المزار وأنه للنبي عيسى عليه السلام وأن يوزا محرفة عن عيسى وصار الكثير من القاديانيين يأتون للمزار تحت هذه الذريعة مُنعوا من زيارته وحدثت معهم صدامات بسبب ذلك وقد اضطر المسؤولون عن المزار لتثبيت لافتة كبيرة باللغتين الإنجليزية والأوردية [الهندية] ذكروا فيها ترجمة ما أكده القرآن في الآية التي ترد على مزاعم اليهود أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ورد القرآن عليهم أنهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم إلى قوله تعالى: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}. رداً على مزاعم القاديانيين.

ثم تطور الحال ببعض المسيحيين الذين أرادوا إبطال هذه المزاعم فحاولوا السعي لنبش القبر وتحليل الجثمان لإجراء اختبارات الـــ (DNA) لتأكيد الخبر أو نفيه فقام أهل القرية بإغلاق المقام تماماً في وجه أولئك وأولئك تجنباً للمشاكل.

وهذا ما أثبته تقرير لموقع هيئة الإذاعة البريطانية منشور على موقعهم على شبكة الإنترنت على هذا الرابط:
http://www.bbc.co.uk/arabic/artandculture/2010/04/100429_kashmir_rozabal_tc2.shtml

ومما جاء فيه:
(ونقلت وكالة رويترز عن راعي المزار محمد أمين رينجشاول قوله: يدعي بعض المسيحيين من الغرب أنه قبر المسيح وطلبوا منا نبش القبر لإجراء اختبارات دي إن إيه على الرفات لكننا رفضنا.

وأضاف: أن الأجانب يؤذون مشاعر المسلمين بادعائهم أن روزابال [اسم المزار] هو قبر المسيح ولتجنب المشاكل أغلقنا المقام تماماً). انتهى.

وجاء في آخر التقرير:
(ويقول العالِم الإسلامي أرشاد أحمد: لو أن عيسى (المسيح) زار كشمير واستقر بها لكنا كلنا هنا مسيحيين لكن الأمر ليس كذلك في هذا الوادي). انتهى.

ثانياً:
وأما قول الدكتور عدنان: ((فهل يمكن أن يكون عيسى بعد أن نجاه الله تبارك وتعالى هاجر من بلد فلسطين وذهب إلى هناك وعُمِّر هناك وتوفي هناك وفاة طبيعية كما يعتقد القاديانية القاديانية يعتقدون بهذا الله أعلم!!! مسألة قيد الدرس ورهن التحقيق والبحث لكن ممكن!!!)). انتهى.

فيرده ما يلي:
(١) أن أهل مكة أدرى بشعابها كما يُقال فلو كان القبر كما زعم القادياني الدجال لكان أهل المزار والمقيمين حوله أول من قال بكون القبر لعيسى عليه السلام أما أن يكون المزار طيلة عقود بل وقرون مقاماً على أنه لوليين مسلمين صالحين يوزا آصف والسيد نصير الدين ثم يدعي فجأة القادياني مدعي النبوة الكذاب أنه قبر عيسى عليه السلام ثم يأتي الدكتور عدنان ليقول عن هذا الكلام بعد ذلك أنه ((مسألة قيد الدرس ورهن التحقيق والبحث لكن ممكن!!!)). انتهى. لا لشيء سوى لأنه يتوافق مع نظرية

الدكتور عدنان فهذا من أعجب الأعاجيب وصاحب هذا الكلام أدعى أن يكون عقله القابل لتصديق هذا الكلام ينبغي وأدعى أن يكون هو مسألة قيد الدرس ورهن التحقيق والبحث.

(**٢**) ما يفند هذا الزعم على سخافته أن عيسى عليه السلام إنما أرسله الله تعالى فقط لبني إسرائيل كما قال تعالى: {قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * **وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**} [آل عمران:٤٧-٤٩]. وكما قال تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ **وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**} [الزخرف:٥٩]. وكما قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ **يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ**} [الصف:٦]. فلو كان عليه السلام بعد حادثة الصلب باقياً حياً على الأرض لبقي في بني إسرائيل يدعوهم ولما تركهم ذاهباً إلى الهند!!.

وهذا جلي لمن تأمل قصة يونس عليه السلام عندما ترك قومه أهل نينوى مغاضباً لهم لما كفروا به فكان ما كان معه في بطن الحوت بسبب تركه لقومه دون أن يأمره الله تعالى بذلك ظاناً أن ذلك ليس عليه بحتم ولن يستوجب عليه من الله تعالى التضييق. قال تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ} [الأنبياء:٨٧،٨٨].

فكيف يرسل الله تعالى عيسى عليه السلام لبني إسرائيل ويؤيده بروح القدس ثم ينجيه من القتل ومن الصلب ليتركهم بعد كل ذلك ذاهباً للهند؟!! ولا يقال لعل الله تعالى أمره بذلك لما بيناه من أن الله تعالى ما أرسله إلا ليكون رسولاً لبني إسرائيل كما هو صريح قوله تعالى آنف الذكر: { قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * **وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**} فهل عجز الله تعالى عن أن يبقي نبيه بين ظهراني بني إسرائيل ويعصمه مع ذلك منهم حتى ألجأه إلى الهجرة سراً إلى الهند؟!!. هل يقبل هذا عقلاً فيمن قال الله تعالى في حقه: {وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} فهل من التأييد أن اضطره للهرب سراً إلى الهند؟!!.

ثم لماذا لم يخبرنا القرآن بذلك واكتفى بسرد قصته مع قومه من بني إسرائيل ولم يبين لنا أن الله تعالى أرسله بعد أن نجاه من القتل ومن الصلب إلى أهل كشمير في الهند؟!!.

(**٣**) ثم أليس من المنطق لو صح هذا الزعم من أن عيسى عليه السلام بعد أن نجاه الله تعالى من اليهود خرج مهاجراً سراً حتى انتهى به المطاف إلى الهند أما كان من المنطق أن يأخذ أمه الصديقة مريم عليها السلام معه وهو البار بأمه كما قال تعالى: {**وَبَرًّا بِوَالِدَتِي** وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} [مريم:٣٢]. ولو كان أخذها معه لاستفاض ذكر ذلك عند النصارى وربما لزعموا أنها صعدت معه إلى السماء والأهم لكانت دفنت بجانبه عند هذا القبر المزعوم ومن يدري لعل قاديانية العصور القادمة يتفطنون لهذا فيشيعون أن القبر الآخر المنسوب للسيد نصير الدين هو قبر مريم عليها السلام.

ثم أليس من المنطق أنه لو رحل إلى الهند حيث هذا القبر المزعوم أو غيره أن يظهر له أتباع يشيعون دينه ويتحدثون عنه من بعده ويذكرون لنا قصة نجاته وخروجه من فلسطين إليهم وكما جاء آنفاً في تقرير الـــ (BBC): (ويقول العالِم الإسلامي أرشاد أحمد: لو أن عيسى (المسيح) زار كشمير واستقر بها لكنا كلنا هنا مسيحيين لكن الأمر ليس كذلك في هذا الوادي). انتهى.

(**٤**) والأهم أن **كلام الدكتور عدنان نفسه يفند هذه النظرية** فلو كان الدكتور يركز فيما يقوله لكان تنبه إلى أنه يقول أن الآية جاءت على الترتيب وفاة ثم رفعة بحسب تعبير الدكتور.

وبحسب كلام الدكتور فهي إذاً وفاة ثم رفعة ثم تطهير لأن نص الآية: {مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}. وحيث فسر الدكتور عدنان التطهير هنا بأنه عدم تمكين اليهود من تعليقه على الصليب ومن ثم عدم تمكينهم من إلصاق اللعنة به على اعتبار اعتقادهم أن المعلق ملعون كما سبق فهذا يستوجب أن الله تعالى بحسب كلام الدكتور عدنان قد توفى نبيه عيسى عليه السلام وفاة طبيعية ثم رفعه رفعة مكانة ثم طهره بأن لم يمكن اليهود من صلبه.

أي أنه بحسب نظرية الدكتور عدنان في مسألة الترتيب تكون وفاة المسيح عيسى عليه السلام قبل محاولة اليهود لقتله وصلبه فلا يمكن أن يكون قد خرج بعد ذلك لا إلى الهند ولا إلى غيرها لأنه كان قد توفي وانتهى أمره أصلاً قبل أن يصل إليه اليهود محاولين قتله وصلبه بمقتضى نظرية الدكتور عدنان في الترتيب.

وحيث أن هذا يتناقض مع افتراض الدكتور عدنان أن كلام القاديانية حول قبر كشمير مسألة ممكنة تجلى لك مدى التخبط الذي يدور في فلكه الدكتور عدنان وهو النتيجة الحتمية لمنهجه القائم على الشذوذ

والخروج عن الإجماع وترك الأحاديث والأخبار المتواترة والتهجم عليها وعلى ثوابت الأمة المجمع عليها عبر القرون بمعول الهدم والنقد والتهكم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وبهذا يتجلى لنا أيضاً أن القول بقبر كشمير هذا حري أن يقال فيه ما قاله الدكتور عدنان سابقاً: ((هذا قولٌ حكايته رده. لا نرد بأكثر من أن نحكيه. مجرد أن تحكيه حكايته رده كما يقال وقد حكيناه)). انتهى.

ثالثاً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان بعد ذلك: ((عيسى لم يُقتل على الصليب ولم يرفع حياً روحاً وبدناً وإنما مات ميتة طبيعية بدلالة {إني متوفيك} {فلما توفيتني} {قد خلت من قبله الرسل} آيات كثيرة. **سنن هذه!!**)). انتهى. فقد سبق رده مراراً وتكراراً فليراجع.

وأما قوله سنن هذه **فإن سنن الله تعالى لا تنطبق كلها على عيسى عليه السلام** لأن الله تعالى قال: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً} [المؤمنون:٥٠]. فسنن الله تعالى في كونه أن يولد كل مولود من أب وأم ولكن الله تعالى كسر هذه السنة فخلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب بقدرته التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء وهو القادر على إبقاء عيسى حياً عنده في السماء وينزله في آخر الزمان ناسفاً بذلك كل ما افتراه اليهود في حقه وفي حق أمه عليهما السلام ليتحقق حينها فيه وفي أمه الصديقة قوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا **آيَةً لِلْعَالَمِينَ**} [الأنبياء:٩١].

ومن تأمل هذه الآية وهي قوله {وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا **آيَةً لِلْعَالَمِينَ**} لوجدها غير متحققة إلى الآن فاليهود ينكرون ولادة عيسى عليه السلام من غير أب ويكذبونه في ادعاء النبوة ويفترون على الصديقة مريم بهتاناً عظيماً ولم يؤمن بهذه الآية آية ولادة عيسى من غير أب إلا نفر قليل ممن آمن به من بني إسرائيل ولكنه بنزوله آخر الزمان وقتله الدجال سيثبت ليس فقط لبني إسرائيل بل للعالمين صدق نبوته وطهر أمه الصديقة فتتحقق حينها الآية بكل جلاء للعالمين جميعاً.

فإن قيل الآية جاءت بصيغة الماضي {وَجَعَلْنَاهَا} قيل هي كقوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا} [الإسراء:١٨]. فقد جاءت جعلنا هنا في حق جهنم في صيغة الماضي ولكن سيصلاها من يصلاها في المستقبل يوم الحساب. وكذلك هنا جاءت

وجعلناها في حق مريم وابنها عليهما السلام في صيغة الماضي ولكنّ تجلّي ذلك وظهوره للعالمين سيتحقق في المستقبل عندما يترل عيسى عليه السلام في آخر الزمان على مرأى ومسمع من الناس أجمعين فيؤمنون بنبوته وطهر أمه فتصير بحق هي وابنها آية وتتجلى الآية للعالمين جميعاً وليس فقط لبني إسرائيل.

١٨/ قال الدكتور في الدقيقة [٥٢:٤٥ - ٥٣:٤٥].:

((وانتبهوا آية النساء نُحَكِّم فيها آية آل عمران لماذا؟!! وعد وإنجازه وعد وتنجيزه. أين وعد الله؟ في آية آل عمران {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} هذا وعد حققه الله وأنجزه ونفذه فأخبر بقوله: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} هنا فقط اكتفى واجتزى سبحانه وتعالى بالرفع فالمفروض أن هذا الرفع يكون في سياق الوعد تاماً كاملاً والوعد بماذا بالتوفية والرفع والتطهير فكأنه يقول: بل توفاه الله!! ورفعه وطهره منهم فلم يصلبوه عيسى لم يصلب ولم يقتل. هذا هو. هذه تفعل في هذه لأن هذا وعد وهذا تحقيقه. لا تأخذ الرفع وحده!!! لأنه إخبار عن تحقيق الله لوعده لموعدته لعيسى عليه السلام)).

الرد:

أولاً:

إذا سلمنا بأن كلمة {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} التي في سورة النساء متضمنة لما جاء في سياق الوعد الذي في سورة آل عمران وبالتالي رفعه هنا تتضمن الوفاة والتطهير الوارد هناك ووجوب الربط بين الآيتين لوجب تفسير الرفع هنا بالرفع الحسي المكاني لا رفعة المكانة ولوجب تفسير متوفيك هناك بقبض الروح والبدن واستيفائه حياً ببدنه وروحه إلى السماء لأنه فقط بهذا يتوافق كون التوفي والتطهير هناك متضمناً في الرفع هنا.

وأما لو فسرنا الرفع هنا برفعة المكانة كما يزعم الدكتور عدنان فلا يستقيم بهذا أن يتضمن الرفع الذي هو رفعة المكانة التوفي الذي هو بمعنى الموت لأن رفعة المكانة لا تستلزم الموت ولا رابط بينهما من حيث اللغة لا من قريب ولا من بعيد كما هو ظاهر فكان يتعين التصريح في الآية بالموت بأن يقال بل توفاه الله ولا يقتصر على ذكر الرفع لأنه لا يستلزمه ولا يدل عليه كما أسلفنا.

ولأنه تعالى لما أنكر وقوع القتل والصلب على عيسى عليه السلام ونفى القتل يقيناً اقتصر في إبطال ذلك على ذكر الرفع. فقال تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ}.

فلو كان المقصود من الرفع هنا رفع المكانة لما كان لذلك علاقة بنفي القتل فرفعة المكانة لا تعني ولا تستلزم عدم القتل فكم من نبي قتله بنو إسرائيل و لم يَحطّ هذا من قدر هؤلاء الأنبياء فمكانتهم الرفيعة عند الله تعالى باقية برغم موتهم بالقتل فلا مفر إذاً من القول برفع المكان لا المكانة حتى يتحقق بهذا الرفع نفي القتل كما هو سياق الآية.

وأيضاً وكما قال الغماري في كتابه فقد قال تعالى: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} فقد ختم الله تعالى الآية بمدح نفسه ولو كانت الآية تتضمن معنى الموت الطبيعي لعيسى عليه السلام **فأي قيمة للمدح هنا طالما كل نفس ذائقة الموت؟!! وهل يمدح الله تعالى نفسه هنا بالعزة والحكمة لأنه أمات نبيه ورسوله خاصة في هذا الموقف الذي سعى اليهود فيه أصلاً لموته؟!!**.

فإن قيل أن المدح لأن الله تعالى أماته ميتة طبيعية و لم يمكن اليهود من قتله فإن اليهود سعوا بالدرجة الأولى لموته فسواء مات ميتة طبيعية أم مات على أيديهم فهو مدعاة لفرحهم في الحالتين فهدفهم التخلص منه بأي طريقة كانت وغاية الأمر أنه لو مات مصلوباً على أيديهم فسيزداد فرحهم بتأكيدهم وقوع اللعنة عليه بالصلب وكونه مات بغير ذلك ففرحهم قائم على أية حال فلا معنى لأن يمدح الله تعالى نفسه في هذا المقام الذي يتحقق فيه إدخال السرور على أعدائه بتحقيق وتنفيذ موت خصمهم اللدود عليه السلام حاشا لله تعالى.

ثانياً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان بعد ذلك: ((لا تأخذ الرفع وحده!!!)). انتهى. فليس نحن الذين نأخذ الرفع وحده بل الآية ذكرت الرفع وحده.

وعليه فقول الدكتور عدنان مؤولاً قوله تعالى {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ}: ((فكأنه يقول: بل توفاه الله!! ورفعه وطهره منهم)). انتهى. ينبغي أن يقال فيه بأسلوبه المتهكم:
((ما احنا لا نقرأ أمة جاهلة!! لا مقالش هذا. الله مقالش. الدكتور عدنان قال: آ. لا تأخذ الرفع وحده!!. الله ما قال: بل توفاه الله ورفعه وطهره منهم. قال: بل رفعه الله إليه. هذا ما قاله فقط. من أين لكم يا أخي يا أخي من أين لكم من أين لكم: فكأنه يقول: بل توفاه الله!! ورفعه وطهره منهم. ما الكلام الفارغ هذا؟!! تكلفات باردة عجيبة!!!!!!. الله ما قال هذا وحسبنا الله ونعم الوكيل)).

١٩/ قال الدكتور في الدقيقة [٥٣:٤٦ - ٥٩:٤٦]:.

((أخيراً قوله أو قبل الأخير قوله تبارك وتعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} إلا ليؤمنن به بعيسى وهذا هو الذي عليه معظم المفسرين. الشيخ ابن عاشور له رأي وأنا لم أقرأه لغيره قال إلا ليؤمنن به وهو رأي وجيه جداً سبحان الله عند التأمل فلا أدري كيف غاب عمّن سلف. قال إلا ليؤمنن به الضمير المجرور أيها الإخوة راجع إلى الرفع المعبر عنه بالفعل {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} أي بالرفع. عيسى رُفع و لم يصلب و لم يقتل و لم يُهن لم يكن ملعوناً على ص.. على خشبة. لم يكن ملعوناً على خشبة كما يروج اليهود أعداء عيسى قال لا بل رفعه الله إليه. إلا ليؤمنن به على كل حال لكن معظم المفسرين يؤمنن به أي بعيسى. أنا عندي رأي أيضاً لكن المقام يضيق عنه جداً. يؤمنن به بمحمد وعندي أدلة على هذا وليس بعيسى ولا بالرفع لكن هذا يحتاج إلى وقت يذهب وقت الخطبة. على كل حال إلا ليؤمنن به على المشهور بعيسى. قبل موته قالوا قبل موت عيسى هذا القول ضعيف مباشرة لماذا؟! النظم يؤكد أنه ضعيف لأن الآية تتحدث عن عموم الكتابيين تعم كل كتابي يهودياً كان أو نصرانياً تقول {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا} وقلنا إن هنا نافية بمعنى ما يعني ما من أهل الكتاب أحد إلا. هكذا وما بعدها يشبه أن يكون صفة لهذا المحذوف أحدٌ في سياق تعميم. ولكن إذا أرجعنا الضمير (قبل موته) الضمير في (موته) إلى عيسى تصبح فقط مختصة بمن؟ بمن يدرك عيسى من الكتابيين فقط أما أهل الكتاب قبل ذلك وهم كثيرون إلى الآن وإلى أن يترل عيسى إن نزل فلا علاقة لهم أليس كذلك؟ وهذا مخالف لظاهر الآية. الآية تعم الكتابيين {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَـــ} ويقسم الله تبارك وتعالى. قسم إلهي لام القسم. شُفتوا. لكن على التفسير الثاني والذي قال به ابن عباس وهو أحد إحدى الروايتين وأحد القولين وقال به مجاهد وقال به عكرمة وقال به الضحاك وقال به ابن سيرين ورجحه الزمخشري ومال إليه النووي وكثيرون أنه قال هذا القول الصحيح يؤمنن به قبل موته قبل موت الكتابي. ما من كتابي إلا يرى الحقيقة ويعلم أن عيسى ابن مريم إن كان الكتابي نصرانياً يعلم أن عيسى عبد الله ورسوله وأنه لم يمت مصلوباً كما تعتقد أيها النصراني أبداً وإنما مات على النحو الذي أخبر عنه كتاب الله وإن كان الكتابي يهودياً علم وأيقن هذا اليهودي أن عيسى لم يكن ملعوناً ولا ابن خنا ولا ابن إيه .. والعياذ بالله أستغفر الله العظيم وإنما كان عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحاً منه هكذا كان عليه السلام فاليهودي والنصراني يرى الحقيقة لكن هل ينفعه إيمانه هذا لا ينفعه. للأسف الإمام الطبري بعد أن ذكر الأقوال ذكر القولين ووجه كلاً استروح إلى القول المشهور (قبل موته) أي قبل موت عيسى ليس موت الكتابي وذهب يضعف هذا القول الثاني على أنه ظاهر وقوي وهو الذي يلتئم بالعموم في الآية {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا) لماذا؟ قال لأنه لو صح هذا

التفسير أو هذا الوجه معنى كلام ابن جرير رحمة الله تعالى عليه لوجب أن يورث هذا الكتاب وأن يرثه المسلمون فقط من أبنائه وورثته مش النصراني و.. لأنه أسلم آمن. نرد على ابن جرير نقول له كلامك غير صحيح بالمرة رضوان الله عليك لماذا؟! لأن الإيمان في هذه الساعة نعم وأقسم الله عليه وسماه إيماناً لا يفيد. لا يفيد بنصوص كتاب الله تبارك وتعالى قال في آخر غافر المؤمن عز من قائل: {فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا} سماه إيماناً أم لم يُسمه؟ وقال لا ينفع انتبهوا ابن جرير هذا سبح.. ابن جرير. مَن أنا ومن ابن جرير؟ ما نحن فيمن مضى إلا كبقل في أصول نخل طوال لكن يفتح الله على من شاء. ابن جرير أخطأ هنا نقول له أخطأت. مَن خَطَّأنا فليرُدّ علينا هذا علم اجتهاد!! في المسائل ما في لعب!!!. خطأ. فرعون الملعون فلما أدركه الغرق [الصواب: حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ] قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو.. إيش الله قاله؟ {آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ} قاله لا مينفعش الآن {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} الآيات كثيرة أيها الإخوة الآيات كثيرة أن مثل هذا الإيمان مع تسميته وهذا أهم ما في المقام مع تسميته إيماناً لا ينفع صاحبه. هذا ابن جرير لم يلتفت إليه فأخطأ في الترجيح قالك لأ هذا غير راجح لأجل كذا كذا كذا. لأ هذا غير صحيح. واضح؟ طيب إذاً الصحيح أيها الإخوة إلا ليؤمنن به أي بعيسى قبل موته قبل موت الكتابي ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ما فيها أي دليل إذاً بهذا التوجيه وهذا الرأي القوي الملتئم بالعموم فيها على أنه يعود في آخر الزمان ثم يموت. غير صحيح)).

الرد:

أولاً:

قول الدكتور عدنان: ((**وهو رأي وجيه جداً** سبحان الله عند التأمل **فلا أدري كيف غاب عمّن سلف**.. قال إلا ليؤمنن به الضمير المجرور أيها الإخوة راجع إلى الرفع المعبر عنه بالفعل {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ} أي بالرفع)). انتهى.

فالذي قاله ابن عاشور في التحرير والتنوير:

(وعندي أن ضمير به **راجع إلى الرفع** المأخوذ من فعل رفعه الله إليه [النساء:١٥٨] ويعم قوله أهل الكتاب اليهود والنصارى حيث استووا مع اليهود في اعتقاد وقوع الصلب. والظاهر أن الله يقذف في نفوس أهل الكتابين الشك في صحة الصلب فلا يزال الشك يخالج قلوبهم ويقوى حتى يبلغ مبلغ العلم بعدم

صحة الصلب في آخر أعمارهم تصديقاً لما جاء به النبيء صلى الله عليه وسلم حيث كذب أخبارهم فنفى الصلب عن عيسى عليه السلام). انتهى.

فابن عاشور يرى أن اليهود والنصارى يؤمنون جميعاً بصلب المسيح ولا يؤمنون بأنه رفع قبل صلبه فهؤلاء لن يموت الواحد منهم حتى يؤمن بأنه رُفع و لم يصلب. والرفع عند ابن عاشور عرفه في تفسيره التحرير والتنوير هذا بقوله:

(**والرفع: إبعاده عن هذا العالم إلى عالم السماوات**). انتهى.

وهذا الرأي لا يتعارض مع قول معظم المفسرين من أن ليؤمنن به أي بعيسى لأن من هذا الإيمان الإيمان بأنه عبد الله ورسوله وأنه لم يقتل و لم يصلب بل رفعه الله إلى عالم السماوات فضلاً عن عدم تعارضه مع القول بنزوله في آخر الزمان بل يؤكده.

فكيف يصف الدكتور عدنان هذا الرأي بقوله: ((**وهو رأي وجيه جداً** سبحان الله عند التأمل **فلا أدري كيف غاب عمّن سلف**)). انتهى. **مع أنه ينكر الرفع بهذا المعنى؟!!.**

وسبحان الله عند التأمل في هذا حقاً فقبل أن لا يدري كيف غاب هذا الرأي عمن سلف لا أدري كيف غاب عنه ابتداءً تناقض رأي ابن عاشور هذا مع ما يقوله الدكتور عدنان من رفعة المكانة!!.

ثانياً:

قول الدكتور عدنان: ((أنا عندي رأي أيضاً لكن المقام يضيق عنه جداً. يؤمنن به بمحمد وعندي أدلة على هذا وليس بعيسى ولا بالرفع لكن هذا يحتاج إلى وقت يذهب وقت الخطبة)). انتهى. فهذا القول قاله عكرمة كما ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره.

وهذا التفسير أيضاً لا يتعارض مع قول معظم المفسرين من أن ليؤمنن به أي بعيسى عليه السلام لأن الإيمان بسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين يعني الإيمان بكل ما جاء به ومن ذلك الإيمان بعيسى عليه السلام وأنه عبد الله ورسوله وأنه لم يقتل و لم يصلب بل رفعه الله إليه.

والعكس بالعكس فالإيمان بعيسى عليه السلام يعني بالتبعية الإيمان بسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وصدق ما جاء به من الإخبار أن عيسى عبد الله ورسوله وأنه لم يقتل و لم يصلب بل رفعه الله إليه ومن ثم فلا يتعارض هذا أيضاً مع القول بتروله في آخر الزمان أو ينفيه.

والأشبه أن هذا القول من عكرمة قاله من قبيل التلازم بين الإيمان بعيسى عليه السلام والإيمان بسيدنا محمد وما جاء به صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وأهم إن آمنوا بعيسى عليه السلام فمن باب أولى أنهم يؤمنون بسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين لا أنه قال ذلك على سبيل تفسير الآية أصالة والله تعالى أعلم.

ويدل لذلك أن عكرمة نفسه رضي الله تعالى عنه وأرضاه روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأرضاهما قوله في تفسير الآية أنه لن يموت أحدهم [وفي رواية اليهودي] حتى يؤمن بعيسى عليه السلام ويشهد أنه عبد الله ورسوله.

كما يدل لذلك وأن قول عكرمة رضي الله تعالى عنه وأرضاه ما هو إلا استنباط من الآية وليس تفسيراً لها **أن هذا لا يمكن أن يكون تفسير الآية أصالة** لسببين:

١. لما قاله ابن جرير الطبري في تفسيره وهو قوله:

(لم يجر لمحمد عليه الصلاة والسلام في الآيات التي قبل ذلك ذكر ... وإنما قوله: {ليؤمنن به} في سياق ذكر عيسى وأمه واليهود فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التتريل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة). انتهى.

وللتأكد من هذا فها هو سياق ذكر الآية فقد قال تعالى:

{**يَسْأَلُكَ** أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا * وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا **الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ** رَسُولَ اللَّهِ وَمَا **قَتَلُوهُ** وَمَا **صَلَبُوهُ** وَلَكِنْ **شُبِّهَ** لَهُمْ وَإِنَّ

الَّذِينَ اخْتَلَفُوا **فِيهِ** لَفِي شَكٍّ **مِنْهُ** مَا لَهُمْ **بِهِ** مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا **قَتَلُوهُ** يَقِينًا * بَلْ **رَفَعَهُ** اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ **بِهِ** قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ **يَكُونُ** عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ **إِلَيْكَ** وَمَا أُنْزِلَ مِنْ **قَبْلِكَ** وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء:١٥٣-١٦٢].

٢. لو كان المقصود أصالة بالضمير في قوله (ليؤمنن به) سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين لقال تعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بك) ولكانت تكملة الآية أيضاً (ويوم القيامة تكون عليهم شهيداً) بدليل أن الآيات ابتدأت قبل ذلك بخطاب النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين بصيغة المخاطَب الحاضر لا الغائب في قوله تعالى: {**يَسْأَلُكَ** أَهْلُ الْكِتَابِ...} وبدليل أن الآيات عادت مجدداً تخاطب النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين بعد ذلك بخطاب المخاطَب الحاضر لا الغائب في قوله تعالى: {يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ **إِلَيْكَ** وَمَا أُنْزِلَ مِنْ **قَبْلِكَ**} فلماذا يبدأ بخطابه بصيغة الحاضر ويختم بخطابه بصيغة الحاضر وفي الوسط يتحدث عنه بصيغة الغائب لو كانت الآية حقاً تخصه وتتحدث عنه؟!!!.

فلو كانت تخصه وتتحدث عنه فعلاً لخاطبته بصيغة المخاطب الحاضر كما ابتدأت الخطاب موجهاً له كذلك وكما اختتمته كذلك بصيغة الحاضر لا الغائب وهذا يقطع ببطلان تفسير الدكتور عدنان لمن أعاد قراءة الآيات متواصلة مترابطة من أولها إلى آخرها وتأمل تسلسل الضمائر فيها.

ثالثاً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((قبل موته قالوا قبل موت عيسى **هذا القول ضعيف مباشرة** لماذا؟! النظم يؤكد أنه ضعيف لأن الآية تتحدث عن عموم الكتابيين **تعم كل كتابي يهودياً كان أو نصرانياً** تقول {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا} وقلنا إن هنا نافية بمعنى ما يعني ما من أهل الكتاب أحد إلا. هكذا وما بعدها يشبه أن يكون صفة لهذا المحذوف أحدٌ في سياق تعميم. ولكن إذا أرجعنا الضمير (قبل موته) الضمير في (موته) إلى عيسى تصبح فقط مختصة بمن؟ بمن يدرك عيسى من الكتابيين فقط أما أهل الكتاب قبل ذلك

وهم كثيرون إلى الآن وإلى أن يترل عيسى إن نزل فلا علاقة لهم أليس كذلك؟ وهذا مخالف لظاهر الآية)). انتهى.

فهو الكلام الضعيف ولا نبالغ إذا ما قلنا أنه كلام من لا يعي ما يقول لأن هذا السبب الذي بموجبه ضَعَّف هذا التفسير الذي يفسر الضمير في (موته) بموت عيسى عليه السلام قائم في التفسير الثاني الذي يفسر الضمير في (موته) بموت الكتابي بل وقائم أيضاً في تفسيره للضمير في (به) بسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

لأن التعميم الذي يتوهمه لا يتم في جميع الحالات ويكون مخالفاً لظاهر الآية بحسب فهم الدكتور عدنان

وبيان ذلك وتوضيحه على النحو التالي:

١– الحالة الأولى هي التي ذكرها الدكتور عدنان من أننا إذا أرجعنا الضمير في (ليؤمنن به) إلى عيسى عليه السلام وأرجعنا الضمير في (قبل موته) إلى عيسى عليه السلام تصبح فقط مختصة بمن يدرك عيسى عليه السلام في آخر الزمان من أهل الكتاب من اليهود والنصارى فقط. أما أهل الكتاب قبل ذلك وهم كثيرون إلى الآن وإلى أن يترل عيسى عليه السلام فلن تنطبق الآية عليهم وهذا مخالف لظاهر الآية على حد تعبير وقول الدكتور عدنان بحسب فهمه للعموم المذكور في الآية على أنه في حق جميع أهل الكتاب دون استثناء.

٢– والحالة الثانية أننا إذا أرجعنا الضمير في (ليؤمنن به) إلى عيسى عليه السلام وأرجعنا الضمير في (قبل موته) إلى الكتابي نفسه [أو إلى عيسى عليه السلام أيضاً] تصبح أيضاً مختصة فقط بمن أدرك عيسى عليه السلام من الكتابيين فقط في زمن رسالته في سالف الزمان وإلى يوم القيامة أما أهل الكتاب من اليهود قبل ذلك منذ عهد موسى عليه السلام إلى عهد عيسى عليه السلام فلن تنطبق الآية عليهم إذ كيف سيؤمن هؤلاء بعيسى عليه السلام وهو لم يولد بعد؟! فقطعاً لا تشملهم الآية وهذا مخالف لظاهر الآية بحسب فهم الدكتور عدنان للعموم المذكور في الآية على أنه في حق جميع أهل الكتاب دون استثناء.

٣– والحالة الثالثة أننا إذا أرجعنا الضمير في (ليؤمنن به) إلى سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وأرجعنا الضمير في (قبل موته) إلى الكتابي نفسه تصبح أيضاً مختصة فقط بمن أدرك سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء

والمرسلين من الكتابيين فقط في زمن رسالته في سالف الزمان وإلى يوم القيامة أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى قبل ذلك منذ عهد موسى عليه السلام إلى عهد سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فلن تنطبق الآية عليهم إذ كيف سيؤمن هؤلاء بسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وهو لم يولد بعد؟! فقطعاً لا تشملهم الآية وهذا مخالف لظاهر الآية بحسب فهم الدكتور عدنان للعموم المذكور في الآية على أنه في حق جميع أهل الكتاب دون استثناء.

فإن قيل فكيف يتم توجيه الآية وفهم العموم المذكور فيها فهذا ما سيتجلى معنا بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه عند بيان وجه دلالة الآية على عودة عيسى عليه السلام في آخر الزمان كما سيأتي معنا بإذن الله تعالى.

رابعاً:

أما قول الدكتور عدنان: ((للأسف الإمام الطبري بعد أن ذكر الأقوال ذكر القولين ووجه كلاً استروح إلى القول المشهور (قبل موته) أي قبل موت عيسى ليس موت الكتابي وذهب يضعف هذا القول الثاني على أنه ظاهر وقوي وهو الذي يلتئم بالعموم في الآية {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا) لماذا؟ قال لأنه لو صح هذا التفسير أو هذا الوجه معنى كلام ابن جرير رحمة الله تعالى عليه لوجب أن يورث هذا الكتاب وأن يرثه المسلمون فقط من أبنائه وورثته مش النصراني و.. لأنه أسلم آمن. نرد على ابن جرير نقول له كلامك غير صحيح بالمرة رضوان الله عليك لماذا؟! لأن الإيمان في هذه الساعة نعم وأقسم الله عليه وسماه إيماناً لا يفيد)). انتهى.

فمن العجيب أن يظن الدكتور عدنان بالطبري رحمه الله تعالى الذي لُقب بإمام المفسرين أنه لا يعلم أن إيمان الكافر عموماً لا ينفعه عند موته والأعجب أن يستدل عليه بالآيات التي يفسرها الطبري نفسه في تفسيره بهذه المعلومة البدهية التي هي من المسلمات ويعرفها الصغير والكبير.

والذي دعا الدكتور للرد على الطبري بما يُسَلِّم به أنه لم يفهم حقيقة وجه اعتراض الطبري على تفسير الضمير في (قبل موته) على أنه عائد على الكتابي الذي سيؤمن بعيسى عليه السلام عند موته .

ولو فهم وجه اعتراضه لسلّم له بقوة حجته وقوة اعتراضه. فاعتراضه رحمه الله تعالى قائم على أن ظاهر الآية يفيد الحديث عن الإيمان الذي ينفع صاحبه وليس الإيمان الذي يكون بعد فوات الأوان وبعد انكشاف الحجب ومعاينة الآخرة وملائكة الموت واتضاح الحق الذي طالما كفر به فهذا الإيمان الأخير يعلم الطبري جيداً أنه لا يفيد صاحبه ولا يقيم عليه أحكام المسلمين المؤمنين من انتقال إرثه لورثته من المسلمين وغير ذلك.

وعليه وبناءً على أن الطبري يرى أن إيمان الكتابي المذكور في الآية هو الإيمان الذي ينفع صاحبه ويقبله الله تعالى منه فإن هذا يقطع بأنه لو كان تفسير الآية على أن ما من كتابي قبل أن يموت إلا سيؤمن بعيسى عليه السلام وبناء على أن هذا الإيمان بحسب ظاهر الآية هو الإيمان المتقبل من صاحبه لوجب ما ذكره الطبري من وجوب توريث ماله فقط لورثته من المسلمين وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره.

وبالتالي فإن الدكتور عدنان عندما يرد على الطبري بأن إيمان الكتابي الذي يكون عند موته هو إيمان لا يفيد فهو لا يرد على اعتراض الطبري بل يؤكده ويقويه لأنه يعلم أن هذا الإيمان لا يفيد صاحبه ولهذا لا يجوز أن تفسر به الآية لأنها تتحدث عن الإيمان الذي ينفع صاحبه لا هذا الإيمان الذي لا يفيد.

فالذي كان ينبغي نقاشه ومباحثته هو هل الإيمان المقصود في هذه الآية هو حقاً الإيمان الذي ينفع صاحبه ويقبله الله تعالى من الكتابي بحسب اعتقاد الطبري أم هو الإيمان الذي لا ينفع صاحبه الذي يكون عند الموت؟.

وهذا ما سنجيب عنه بإذن الله تعالى في نقطتنا التالية والأخيرة.

خامساً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((إذاً الصحيح أيها الإخوة إلا ليؤمنن به أي بعيسى قبل موته قبل موت الكتابي ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ما فيها أي دليل إذاً بهذا التوجيه وهذا الرأي القوي الملتئم بالعموم فيها على أنه يعود في آخر الزمان ثم يموت. غير صحيح)). انتهى.

فهذا الكلام هو الذي غير صحيح فإنه **إذا ما تدبرنا الآية ظهر لنا جلياً كونها دليلاً على عودة عيسى عليه السلام في آخر الزمان** وبيان ذلك كما يلي:

١* سبق أن بينا أن من يقرأ سياق الآيات التي وردت فيه هذه الآية وتتبع الضمائر فيها تيقن من أن الضمير ابتداءً في (ليؤمنن به) عائد على عيسى عليه السلام ولا يصح أن يكون عائداً على غيره بحال من الأحوال.

٢* والذي يقتضيه النظر أن الإيمان المقصود في الآية هو الإيمان الذي يفيد صاحبه ويقبله الله تعالى منه لا ذلك الذي يكون عند الموت ولا ينفع صاحبه بدليلين:

* **أولهما** *

أنه على تفسير الإيمان المذكور في الآية على أنه الإيمان الذي يكون عند الموت فهذا لا يختص الأمر فيه بالكتابيين ولا بعيسى عليه السلام ولا حتى بنبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فكل الكفار من كل الملل وفي كل العصور ما أن يدركهم الموت تنكشف لهم الحجب فيعلمون صدق أنبيائهم وصدق نبوتهم وينكشف لهم الحق فيؤمن كلٌّ بنبيه وسائر أنبياء الله تعالى ويؤمن بالجنة وبالنار وبالبعث والنشور وكل ما أخبرت به الرسل من ربهم. وبذلك لا معنى للتخصيص في الآية هنا بإيمان الكتابي بعيسى عليه السلام فوجب أن يكون مراد الآية غير هذا.

* **ثانيهما** *

أنه لو كان المقصود من الإيمان المذكور في الآية الإيمان الذي يعتري كل كتابي عند الموت لكانت الآية (ليؤمنن به عند موته) ولكنها لما كانت (قبل موته) دلت على أنه الإيمان السابق لنزول الموت والحاصل منه قبل أن يحضره الموت وهو الإيمان الذي ينفع صاحبه ويقبله الله تعالى.

٣* بعد التسليم والقطع بأن الضمير في (ليؤمنن به) عائد على عيسى من جهة والتسليم من جهة أخرى بأن الإيمان المقصود هنا هو الإيمان الذي ينفع صاحبه ويكون قبل حضور الموت بناءً على ما سبق فيبقى أن الآية ظاهرها العموم وأنه ما من أحد من أهل الكتاب إلا سيؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته.

ولما كان هذا العموم غير متحقق فيما مضى فاليهود على حالهم لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام والنصارى على حالهم من التثليث كما أنه لا يستقيم أن يكون المقصود من الإيمان المذكور في الآية إيمان كل كتابي يهودياً كان أو نصرانياً بعيسى عليه السلام عند موته وحضور أجله لأن هناك من أهل الكتاب من اليهود من كانوا قبل ميلاد عيسى عليه السلام وهؤلاء قطعاً غير متحقق فيهم العموم الذي في ظاهر الآية فهم عند موتهم قطعاً لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام على وجه الخصوص لأنه لم يكن قد ولد بعد.

وجب بناءً على ذلك أن يكون المراد من الآية أنه في زمن معين مخصوص سيؤمن جميع أهل الكتاب الأحياء في هذا الزمن بعيسى عليه السلام لا أن جميع أهل الكتاب في جميع العصور سيؤمنون به لأن ذلك كما سبق لا يمكن تحققه بحال.

ولما كان هذا الزمن المخصوص الذي من المفترض بحسب الآية أن جميع أحيائه من أهل الكتاب سيؤمنون بعيسى عليه السلام تحديداً لما كان هذا الزمن لم يأت فيما مضى دل ذلك على وجوب تحققه مستقبلاً ولا يمكن تحقق ذلك إلا على ما بينته الأحاديث المتواترة من أنه الزمن الذي سيترل فيه عيسى عليه السلام في آخر الزمان ويقتل فيه المسيح الدجال فيتيقن حينها جميع أحياء هذا الزمان من أهل الكتاب من نبوة عيسى عليه السلام وأنه عبد الله تعالى ورسوله وأنه لم يقتل ولم يصلب ولم يمت بل كان مرفوعاً في السماء فعندها وعندها فقط يسلمون جميعاً ويؤمنون بعيسى عليه السلام وتكون الملل كلها ملة واحدة كما أخبرت الأحاديث وهذا فقط الوجه الوحيد من وجوه التفسير الذي يسلم من أي اعتراض أو أي إشكال ويحل جميع الاعتراضات والإشكالات السابقة.

ويشهد لهذا التفسير أمران:

الأول منهما أن هذه الآية جاءت مباشرة بعد نفي القتل والصلب عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وإثبات الرفع له: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} [النساء:١٥٧-١٥٩]. فسياق الآيات بقليل من التدبر يؤكد أن المقصود أن اليهود زعموا أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام فرد الله تعالى عليه قولهم ونفاه بشكل قطعي وبين أنهم ما قتلوه وما صلبوه بل شبه لهم وأنه قطعاً ويقيناً ما قتلوه بل رفعه الله تعالى إليه في السماء بعزته وحكمته وأنه سيأتي زمان لن يبق فيه أحد من أهل الكتاب إلا سيؤمن به قبل موته لأنه لم يمت بعد فهو لا يزال هناك في السماء حياً لم يمت هذا هو سياق

الآيات الذي جاءت فيه الآية وهو سياق تأكيد عدم قتل عيسى عليه السلام وعدم صلبه وأنه لم يمت بل رُفع إلى السماء وأنه قبل موته سيؤمن به جميع أهل الكتاب وهو ما بينته السنة والأخبار المتواترة وأن ذلك سيكون عند عودته ونزوله آخر الزمان وقتله الدجال وبهذا تتكاتف نصوص القرآن التي سبق الإشارة إليها مع نصوص السنة مجلية الصورة بما لا يدع مجالاً للشك أو التخبط.

والثاني منهما أن هذا التفسير هو تفسير أبي هريرة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقال به قتادة وابن زيد وأبو مالك والحسن البصري وهو الذي اختاره ورجحه الطبري في تفسيره.

يقال الشيخ عبد الله الغماري في كتابه "البرهان":
(أما تفسير أبي هريرة فقد ثبت عنه في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما وأوردناه بأسانيده في أول أحاديث النزول فلا حاجة لإعادته.

وأما تفسير ابن عباس فرواه الفريابي وعبد بن حميد الكشي والحاكم وغيرهم عنه في قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قال: خروج عيسى عليه السلام. وصححه الحاكم.

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق **بعضها صحيح عن ابن عباس** في قوله: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قال: **قبل موت عيسى**. وروى ابن جرير عنه أيضاً في الآية نفسها قال: يعني أنه سيدرك أناس من أهل الكتاب حين يُبعث عيسى فيؤمنون به.

وأما تفسير قتادة فرواه ابن جرير عنه {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قال: قبل موت عيسى إذا نزل آمنت به الأديان كلها. ورواه أيضاً من طريق آخر نحوه.

وأما تفسير ابن زيد فرواه ابن جرير عنه في قوله: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قال: إذا نزل عيسى فقتل الدجال لم يبق يهودي في الأرض إلا آمن به.

وأما تفسير أبي مالك فرواه ابن جرير أيضاً عنه في قوله: {إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قال: ذلك عند نزول عيسى ابن مريم لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به.

وأما تفسير الحسن فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي ثنا علي بن عثمان اللاحقي ثنا جويرية بن بشير قال: سمعت رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد قول الله عز وجل: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}؟ قال: قبل موت عيسى. إن الله رفع إليه عيسى وهو باعثه قبل يوم القيامة مقاماً يؤمن به البر والفاجر. وروى ابن جرير عنه نحوه من طرق متعددة.

وهذا هو المتعين الذي لا يجوز غيره ولا يصح سواه والدليل عليه أمور:

أحدها أنه قول أبي هريرة وابن عباس وهما صحابيان جليلان شاهدا التتريل وعرفا مقاصده بسليقتهما العربية وبتلقيهما عن الرسول.

ثانيها أنه موافق للأحاديث المتواترة التي صرحت بترول عيسى وأن جميع الكتابيين يؤمنون به بعد نزوله وتصير الملل كلها ملة واحدة. ولهذا كان أبو هريرة إذا روى حديث: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخترير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين). يقول عقبة: واقرأوا إن شئتم: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} للإشارة إلى أن الحديث يفسر الآية ويعين المراد منها فهما متطابقان متوافقان...). انتهى.

بقي أن ننوه إلى أن هناك قراءة لأبي بن كعب في هذه الآية على النحو التالي: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا **لَيُؤْمِنُنَّ** بِهِ **قَبْلَ مَوْتِهِم**} بضم النون في (يؤمنن) وضمير الجمع في (موتهم). وهذه القراءة لا تتعارض مع التفسير السابق بل القراءتان متحققتان في التفسير السابق. فالتفسير السابق يجمعهما معاً لأنه على التفسير السابق فإن المعنى أن جميع أهل الكتاب قبل موتهم سيؤمنون بعيسى عليه السلام قبل موته عند عودته في آخر الزمان. وبهذا يكون هذا التفسير جامعاً للقراءتين فلا تعارض ولا إشكال أيضاً.

أخيراً فقد ورد عن ابن عباس قوله: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى ابن مريم. قال: وإن ضُرِب بالسيف يتكلم به. قال: وإن هوى يتكلم به وهو يَهْوِي. وهو خلاف قوله الآخر الذي ذكرناه سابقاً وهو القول الذي استفاض عنه وصح عن أبي هريرة وغيره فيجب تقديمه لذلك ولموافقته للحديث المتواتر ولقواعد اللغة العربية كما قال الغماري في كتابه "البرهان".

لكن يمكن مع ذلك الجمع بين القولين على أن الآية تشمل المعنيين وتصح على الحالين فجميع أهل الكتاب ممن جاءوا بعد عيسى عليه السلام ولم يؤمنوا به في حياتهم سيؤمنون به عند حضور موتهم وخروج روحهم وهو الإيمان الذي لا ينفعهم كما أسلفنا. وجميع أهل الكتاب ممن سيدركون عودة عيسى عليه السلام في آخر الزمان وقتله للدجال سيؤمنون به حينها قبل موتهم وقبل موت عيسى عليه السلام بالتبعية وهو الإيمان الذي سينفعهم ويقبله الله تعالى جمعاً بين القولين.

وأما الذي لا يمكن هو رفض التفسير السابق وعدم قبوله لأنه التفسير الأرجح والأصوب إذا وجب الترجيح لما سبق بيانه فلا مفر من تقديمه على التفسير الآخر أو الجمع بينهما والقول بالتفسيرين كما أسلفنا.

ويشهد للجمع بين القولين ما جاء في الدر المنثور للسيوطي:
(وَأخرج عبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر عَن شهر بن حَوْشَب فِي قَوْله {وَإِن من أهل الْكتاب إِلَّا ليُؤْمنن بِهِ قبل مَوته} عَن مُحَمَّد بن عَليّ بن أبي طَالب هُوَ ابْن الحنفية قَالَ: **لَيْسَ من أهل الْكتاب أحد إِلَّا أَتَتْهُ الْمَلَائِكَة** يضْربُونَ وَجهه وَدبره ثمَّ يُقَال: يَا عَدو الله إِن عِيسَى روح الله وكلمته كذبت على الله وَزَعَمت أَنه الله إِن عِيسَى لم يمت وَإِنَّهُ رفع إِلَى السَّمَاء **وَهُوَ نَازل قبل أَن تقوم السَّاعَة فَلَا يبْقى يَهُودِيّ وَلَا نَصْرَانِيّ إِلَّا آمن بِهِ**).

فيكون تفسير الآية أصالة هو بعد نزول عيسى عليه السلام قبل أن تقوم الساعة فلا يبقى حينها يهودي ولا نصراني إلا آمن به ونفعه إيمانه. وتفسيرها في حق أهل الكتاب قبل ذلك أنه ليس من أهل الكتاب أحد إلا أتته الملائكة يضربون وجهه ودبره ويُعْلِمونه بأن عيسى روح الله وكلمته وأنه لم يمت فيؤمن حينها بما كان كفر به وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً هذا تفسير بالتبعية بحكم حدوث ذلك لكل كافر بنبي زمانه كما أشرنا من قبل.

وبهذا يتجلى لنا قوة وصحة الاستدلال بهذه الآية على عودة عيسى عليه السلام مضافاً لكل ما سبق والحمد لله رب العالمين.

٢٠/ قال الدكتور في الدقيقة [١:١,٤٠ - ١:٤,٤٢].:

((أخيراً يا إخواني قالوا {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} قالك (وإنه) أي عيسى. عيسى عِلْم للساعة. إشُّو عِلْم كيف إنه لعِلْم قالك عَلَم. غير صحيح فرق بين العِلْم والعَلَم وإن كان العَلَم مأخوذاً من العلم فتفسير العلم بالعلم على تكلف شديد!! على تكلف شديد [التكرار من الدكتور] وإنما هو من باب المبالغة في الوصف. من باب المبالغة في الوصف [التكرار من الدكتور]. وإنه لعِلم كما نقول فلان عَدْل وفلان ظُلْم فلان كُفْر. آه هكذا. فهذا من باب المبالغة. لكن الضمير في (وإنه) قيل إنه القرآن الكريم وأنا أستروح إلى هذا وسوف أقول لكم لماذا الآن. قيل (وإنه) محمد عليه السلام وهذا قوي أيضاً. قوي. قيل إنه عيسى (وإنه) أي عيسى وليش عيسى بالذات لأن عيسى خُلق من غير أب وعيسى أحيى الموتى وعيسى يترل قبل يوم القيامة فصار عِلْماً للساعة. إذاً هذي الأقوال في هذه المسألة. أنا أرجح أيها الإخوة أنه القرآن العظيم تعرفون لماذا؟! لأن مثل هذه الصيغة تكاد تكون وقفاً على القرآن العظيم وبالذات في هذه السورة الجليلة سورة الزخرف {حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ} آ أيها الإخوة ثم يقول إيه؟ {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} (وإنه) مين إنه؟ القرآن في نفس الـــس.. في أول.. في الآية الثالثة [الصواب في الآية الرابعة] {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} الآية تقريباً ٤٤ {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} مين هو؟ القرآن وفي أي سورة؟ الزخرف. يعني {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} إيش هو؟ القرآن بإجماع المفسرين {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ * وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا} إيش هو؟ بإجماع المفسرين القرآن. {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} القرآن إذاً. القرآن. هذا قرآن. {وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} {وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} وإنه وإنه. ياخي هذا تعبير مختص بالقرآن!! لماذا ذهبتم مرة إلى محمد ومرة إلى عيسى بالذات؟! لماذا؟!! تفكيك القرآن!!!! تفكيك أواصر القرآن الكريم!!!! مش هيك وبس. السياق اقرأوا السياق واضح جداً أن هذه الآيات الكريمة أيها الإخوة من سورة الزخرف تتحدث وتُحاجّ أناساً كافرين جاحدين بالساعة لا يؤمنون بالقيامة لا يؤمنون بالساعة واضح يا إخواني؟ ولذلك شوف في البداية يقول: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} يعني يصدون في خويصات أنفسهم. ولما ضُرب أين ضرب؟ في القرآن الكريم!!! طبعاً من الذي ضرب؟ الله لا إله إلا هو وأين ضرب هذا المثل؟ في القرآن. فصد كفار العرب وكفار قريش خاصة كذبوا القرآن قالوا لا هذا لا نؤمن به عن عيسى نسمع بعيسى لكن لا نؤمن بهذا المذهب على هذه الطريقة {وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ} فقابلوا مثلاً بمثل {مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا})).

الرد:

أولاً:

قول الدكتور عدنان: ((قالك (وإنه) أي عيسى. عيسى عِلْم للساعة. إشُّو عِلْم كيف إنه لعِلْم قالك عَلَم. غير صحيح فرق بين العِلْم والعَلَم وإن كان العَلَم مأخوذاً من العِلْم فتفسير العِلْم بالعَلم على تكلف شديد!!)). انتهى. قول فيه تخليط **فالآية فيها قراءتان** قراءة {لَعِلْم} وهي قراءة حفص وعليها الجمهور وقراءة {لَعَلَم}. **ولكل قراءة معنى وتفسير يختلف عن معنى وتفسير القراءة الأخرى** وإن كانا يكملان ويشدان بعضهما بعضاً.

وبيان ذلك وجلاؤه يوضحه ابن الجوزي في تفسيره "زاد المسير" حيث يقول:
(وقرأ الجمهور: {لَعِلْمٌ} بكسر العين وتسكين اللام. وقرأ ابن عباس وأبو رزين وأبو عبد الرحمن وقتادة وحميد وابن محيصن بفتحهما.

قال ابن قتيبة: من قرأ بكسر العين فالمعنى أنه يُعْلَم به قُرْبُ الساعة. ومن فتح العين واللام فإنه بمعنى العلامة والدليل). انتهى.

وكذا في تفسير الإمام الماتريدي "تأويلات أهل السنة":
(ثم قراءة {عَلَمٌ لِلسَّاعَةِ} بالتثقيل فمعناه: العلامة لها والدليل عليها. ومن قرأ {عِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} بالجزم فمعناه: يُعلم به قرب الساعة). انتهى.

فلم يفسر إذاً أيٌّ من المفسرين العِلْم بالعَلَم كما ادعى الدكتور عدنان بل هما تفسيران مختلفان لقراءتين مختلفتين.

فالظاهر أن الدكتور عدنان لما رأى من فسر الآية بأن عيسى عليه السلام علامة من علامات الساعة بنزوله آخر الزمان على قراءة {لَعَلَم} اختلط عليه الأمر فظن بذلك أن هذا تفسير للقراءة المعروفة {لَعِلْم} والأمر على خلاف ذلك وأن من فسر الآية على قراءة {لَعِلْم} فسرها بأن عيسى ظهوره في آخر الزمان عِلْم يُعلَم به مجيء الساعة.

وزيادة في البيان فهذا ما جاء أيضاً في كتب اللغة ومعاجمها:

فها هو عالم اللغة والنحو وأستاذ سيبويه الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه "العين" أول معجم في العربية كما سبق يقول:
(والعَلَم : ما جعلته عَلَماً للشيء. ويُقرأ: {وإنّه لَعَلَمٌ لِلسَّاعةِ} يعني: خروج عيسَى عليه السّلامِ. ومن قرأ {لَعِلْم} يقول: يُعلم بخروجه اقتراب السّاعة). انتهى.

بل إمام اللغة والأدب أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) يقول في "حلية الفقهاء":
(أما العِلْم فَمن قولك: علمتُ الشيءَ وعَلِمْتُ به وهو عِرْفانُكَهُ على ما بِهِ. يُقال: عَلِمْتُه عِلْماً. وقد يكون اشتقاقُه مِن العَلَم والعَلامة وذلك أنَّ العلامةَ أَمارةٌ يُمَيَّزُ بها الشيءُ عن غيرِه وكذلك العِلمُ ممّا يتَمَيَّزُ به صاحبُه عن غيره. وممَّا يدُلُّك على هذا التَّاويلِ قولُه تعالى: (وإنه لعِلمٌ للسّاعةِ). أي: نُزولُ عيسى ابن مريم عليهما السلام على أُمَّةِ محمدٍ عليه السَّلام به يُعرفُ قُرْبُ الساعة. وناسٌ يقرؤونَها: {وإنه لَعَلَمٌ للسَّاعة} أي: أمارةٌ ودَلالةٌ). انتهى.

وقال أيضاً في كتابه "مقاييس اللغة":
(وَالْعِلْمُ: نَقِيضُ الْجَهْلِ. وَقِيَاسُهُ قِيَاسُ الْعَلَمِ وَالْعَلَامَةِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُمَا مِنْ قِيَاسٍ وَاحِدٍ قِرَاءَةُ بَعْضِ الْقُرَّاءِ: {وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ} قَالُوا: يُرَادُ بِهِ نُزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنَّ بِذَلِكَ يُعْلَمُ قُرْبُ السَّاعَةِ). انتهى.

وعليه فقول الدكتور عدنان: ((وإنما هو من باب المبالغة في الوصف. من باب المبالغة في الوصف [التكرار من الدكتور]. وإنه لعِلم كما نقول فلان عَدْل وفلان ظُلْم فلان كُفْر)). انتهى. هو عين ما يقوله المفسرون أصلاً في تفسير الآية في حق عيسى عليه السلام على قراءة {لَعِلْمٌ}.

ففي "فتح القدير" للشوكاني:
(قرأ الجمهور {لَعِلْمٌ} بصيغة المصدر جَعلَ المسيحَ عِلْماً مبالغة لما يحصل من العلم بحصولها عند نزوله. وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وأبو مالك الغفاري وقتادة ومالك بن دينار والضحاك وزيد بن علي بفتح العين

واللام أي: خروجه عَلَمٌ من أعلامها وشرط من شروطها. وقرأ أبو نضرة وعكرمة: { وَإِنَّهُ لَلْعَلَم} بلامين مع فتح العين واللام أي: لَلْعلامةُ التي يُعرف بها قيام الساعة). انتهى.

ثانياً:

الذي فسر الآية بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان هو النبي نفسه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

قال ابن حبان في صحيحه:

(ذكر البيان بأن نزول عيسى ابن مريم من أعلام الساعة: أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل حدثنا هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم قال: حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن عاصم عن أبي رزين عن أبي يحيى مولى بن عفراء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {وإنه لعلم للساعة} قال: (نزول عيسى ابن مريم من قبل يوم القيامة)). انتهى.

قال الشيخ عبد الله الغماري رحمه الله تعالى في كتابه "إقامة البرهان" بعد أن ذكر هذا الحديث:

(**هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات** وعاصم من أئمة القراء المشهورين.

وجاء عن ابن عباس وأبي مالك والحسن ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم مثل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وآثارهم مروية في تفسير ابن جرير بأسانيد مختلفة وطرق متعددة كلها تصرح بأن المراد بالآية نزول عيسى قبل قيام الساعة. وهذا التفسير هو المتعين الذي لا يجوز في الآية غيره). انتهى.

ثالثاً:

كون الآية جاءت على قراءة ثانية هي على نحو ما سبق: {وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ} وهي قراءة الأعمش أيضاً إضافة لمن ذكر آنفاً وهي بذلك صادرة من ثقة حافظ عالم بالقراءات كما وصفه بذلك ابن حجر بل وصفه الذهبي في "سير أعلام النبلاء" بقوله أي عن الأعمش: (الإمام شيخ الإسلام شيخ المقرئين والمحدثين). انتهى. فهي بذلك مع موافقتها للحديث الصحيح حجة في تفسير الآية والاستدلال بها على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ولا ريب.

رابعاً:

وأما قول الدكتور: (({وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} {وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} وإنه وإنه. ياخي هذا تعبير مختص بالقرآن!! لماذا ذهبتم مرة إلى محمد ومـــرة إلى عيسى بالذات؟!)). انتهى. فقد سبق بيان أن الذي ذهب إلى أن الآية في عيسى بالذات عليه السلام هـــو النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الذي يقتضيه النظر هو تفسير الضمير في (وإنه لعلم) على أنـــه عائـــد على عيسى عليه السلام من دون سائر الأقوال في ذلك لما يلي:

(أ) تقوي ذلك بالقراءة التي بالفتح {وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ} كما ذكر سابقاً وهي قراءة مروية عن ابن عباس وعن أبي هريرة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين كما في كتب التفسير.

قال النحاس المفسر الأديب النحوي (المتوفى عام ٣٣٨هـــ) في كتابه "إعراب القرآن":
({وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ} قراءة أكثر الناس. ويروى عن ابن عباس وأبي هريرة أنّهمـــا قـــرءا {وَإِنَّـــهُ لَعَلَـــمٌ لِلسَّاعَةِ}. وزعم الفراء أنهما متقاربتا المعنى.

وحكي عن محمد بن يزيد أنه قال: معنى {لعِلْم} لذكر وتنبيه وتعريف، ومعنى «لعلم» لدلالة وعلامـــة.
قال أبو جعفر: فأما الضمير الذي في وَإِنَّهُ ففي معناه قولان: مذهب ابن عباس وأبي هريـــرة وأبي مالـــك ومجاهد والضحاك أنّ الضمير لعيسى صلّى الله عليه وسلّم والمعنى: لنزوله. والقول الآخر وهو قول الحسن أن الضمير للقرآن أي وإن القرآن لعلم للساعة لأنه لا ينزل كتاب بعده. والقول الأول أبين وعليه أكثـــر الناس). انتهى.

(**ب**) تقوي ذلك بالحديث النبوي الشريف المروي بالسند الصحيح كما سبق ذكره.

(**ج**) سياق الآيات يتحدث عن عيسى عليه السلام فمن الطبيعي أن يكون الضمير عائد عليه فهو محـــور الحديث فيها لمن تأمل السياق: {وَلَمَّا ضُرِبَ **ابْنُ مَرْيَمَ** مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ **مِنْهُ** يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ **هُوَ** مَا **ضَرَبُوهُ** لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ **هُوَ** إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا **عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ** مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ

* وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ * **وَإِنَّهُ** لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [الزخرف:٥٧-٦١].

(**د**) القول بأن الضمير عائد على القرآن فيه بعد وأدعى أن يقال فيه ((على تكلف شديد)) لعدم وجود أي ذكر للقرآن في سياق الآيات لا من قريب ولا من بعيد. ومثله القول بأن الضمير عائد على النبي سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

(**هـ**) أما ما احتج به الدكتور عدنان من الآيات فهو احتجاج متهافت وقوله بعدها: ((هذا تعبير مختص بالقرآن!!)). انتهى. كلام لا وزن له في ميزان العلم ولا يمت للتحقيق العلمي بصلة ففي القرآن أيضاً: {وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} [الأنعام:١٢١]. فهل نقول أن الضمير هنا أيضاً مختص بالقرآن بناء على أن هذا تعبير مختص بالقرآن؟!!.

إن هذا قطعاً مما لا منطق فيه ولا عقل ولا علم. فليس الأمر من قبيل التخرص أو التخمين وإنما الذي يمليه علينا المنطق والعلم أنه لمعرفة الضمير في أي آية على من يعود فإنه يُنظر للسياق ففيه قطعاً ذِكرُ من يعود الضمير عليه. وفي حال تعدد المذكورين قبل وبعد الضمير فيأتي حينها الاجتهاد في تحديد من يعود عليه الضمير من بين المذكورين في السياق لا على مذكور من الخارج.

ولهذا فإن الآيات التي ذكرها الدكتور عدنان لو قُرئ ما قبلها أو بعدها لتبين بجلاء عودة الضمير فيها على القرآن لوروده مذكوراً نصاً لا لأن هذا تعبير مختص بالقرآن.

فالآية الأولى هذا سياقها: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا **لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**} [الزخرف:٣،٤]. فالقرآن مذكور نصاً فلا مجال للتخمين أو التخرص.

بل من الطريف أنك لو فتحت المصحف على هذه الآية التي وُصف فيها القرآن بأنه علي حكيم والتي يستدل بها الدكتور عدنان على كون هذا التعبير مختصاً بالقرآن لوجدت في الصفحة السابقة مباشرة قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ

إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى:٥١]. فعلي حكيم هنا وصف لله تعالى لا للقرآن فأين هذا من قول الدكتور عدنان: ((ياخي هذا تعبير مختص بالقرآن!!)). انتهى.

وسياق الآية الثانية: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزخرف:٤٣،٤٤]. فالضمير عائد على (الذي أوحي إليك) وهو القرآن.

وسياق الآية الثالثة: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [النمل:٧٧]. فالضمير عائد على (هذا القرآن).

وسياق الآية الرابعة: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [١٩٢-١٩٤]. فهو صريح في التحدث عن القرآن فهو الذي نزل به الروح الأمين على قلب النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

وسياق الآية الخامسة: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت:٤١،٤٢]. فهو صريح كذلك في التحدث عن الذكر الحكيم والكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو الذي نزل من لحكيم الحميد سبحانه وتعالى.

وسياق الآية الأخيرة: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} [الحاقة:٤٠-٤٨]. فهي واضحة أيضاً في الحديث عن تنزيل رب العالمين.

ولهذا لو جئنا لآية {وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} [الأنعام:١٢١]. وأردنا أن نعرف على ماذا يعود الضمير على اعتبار أنه لا يمكن أن يتماشى مع قاعدة الدكتور عدنان في كون هذا التعبير مختص بالقرآن لوجب أن نعود لسياق الآية وهو التالي: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} [الأنعام:١٢١]. فنعلم بذلك أن الضمير عائد على أكل ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه.

وبالتالي وعلى نفس المبدأ فلمعرفة الضمير في الآية التي بين أيدينا {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا} [الزخرف:٦١]. فينبغي العودة للسياق وقد سبق ذكره وذكر أن عيسى عليه السلام هو محور الحديث فيه لا القرآن ولا غيره. فضلاً عن انضمام قرينة القراءة الأخرى كما سبق وانضمام قرينة التفسير النبوي كما سبق أيضاً ومن ثم فعودة الضمير على عيسى عليه السلام هو المتعين الذي لا يجوز في الآية غيره كما عبر الغماري رحمه الله تعالى.

خامساً وأخيراً:

قول الدكتور عدنان: (({وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ} يعني يصدون في خويصات أنفسهم. ولما ضُرب أين ضرب؟ في القرآن الكريم!!! طبعاً من الذي ضرب؟ الله لا إله إلا هو وأين ضرب هذا المثل؟ في القرآن)). انتهى.

فقد سبق أن ذكرنا سبب نزول الآيات كما قاله ابن كثير في تفسيره:

((عن ابن عباس قال: جاء عبد الله بن الزبعرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} فقال ابن الزبعرى: قد عُبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى ابن مريم. كل هؤلاء في النار مع آلهتنا. فترلت: {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ} ، ثم نزلت: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}. رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه "الأحاديث المختارة")). انتهى). انتهى.

٢١/ قال الدكتور في الدقيقة [١:٨,٥٣ - ١:٩,١٧].:

((هذه الآية أيضاً {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ} إذاً عيسى له مولد {وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} واضح أنه سياق سنني طبيعي ولد ومات!! ويبعث كما يولد كل منا ويموت ويبعث ما في أي استثناء لو في مسألة رفع وافياً تاماً وبعدين يعود وبعدين يتوفى هذه مسألة إعجازية خوارقية كان ينبغي إيش؟ أن تذكر في هذا الاختزال!!)).

الرد:

أولاً:

قول الدكتور عدنان: ((واضح أنه سياق سني طبيعي ولد ومات!! ويبعث كما يولد كل منا ويموت ويبعث ما في أي استثناء)). انتهى. كلام مغلوط جملة وتفصيلاً.

فولادة عيسى ليست من السنن الطبيعية فهو لم يولد كما يولد كل منا بل ولد بغير أب فأين السياق السني الطبيعي هنا؟!!.

ثانياً:

استدلاله العجيب من الآية على موت عيسى عليه السلام فيما مضى عجيب وغريب وما هو إلا تكرار لكلام سلفه في مذهبه هذا وقد علق على كلام سلفه الغماري رحمه الله تعالى في كتابه "البرهان" بقوله: (وأما قوله تعالى حكاية عن عيسى أيضاً: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} فليس فيه إلا الإخبار بأنه سيموت وهو حق لا شك فيه ولكن موته لم يحصل كما أن البعث لم يحصل وسيحصلان فيما بعد ولابد). انتهى.

فيقال للدكتور عدنان وبأسلوبه المتهكم: ((ما احنا لا نقرأ أمة جاهلة!! لا مقالش هذا. الله مقالش ولد ومات. فلان وعلان والدكتور عدنان قالوا: آ. ولد ومات. الله ما قال مات. قال: {وَيَوْمَ أَمُوتُ} في المستقبل مثلما قال: {وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} أيضاً في المستقبل)).

ثالثاً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((لو في مسألة رفع وافياً تاماً وبعدين يعود وبعدين يتوفى هذه مسألة إعجازية خوارقية كان ينبغي إيش؟ أن تذكر في هذا الاختزال!!)). انتهى. فهو كلام أعجب من العجب فهل ولادة عيسى عليه السلام بلا أب وهي مسألة إعجازية خوارقية أيضاً مذكورة في هذا الاختزال؟!!!.

فكما لم تذكر ولادته بغير أب هنا وذكرت منفصلة فكذلك لم يذكر رفعه هنا وذكر منفصلاً.

وهل كلام عيسى عليه السلام بعد ولادته مباشرة في المهد وهو مسألة إعجازية خوارقية أيضاً مذكورة في هذا الاختزال؟!!!.

فكما لم يُذكر كلامه في المهد هنا وذكر منفصلاً فكذلك لم يذكر رفعه هنا وذكر منفصلاً.

فهذا استدلال أحرى أن يقال فيه ما قاله الدكتور سابقاً بقوله: ((هذا قولٌ حكايته رده. لا نرد بأكثر من أن نحكيه. مجرد أن تحكيه حكايته رده كما يقال وقد حكيناه)). انتهى.

والعجيب أن الدكتور سابقاً في قوله تعالى: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} ذكر أن الله تعالى هنا اكتفى واجتزى بالرفع و لم يذكر التوفية والتطهير وقال فيما نقلناه من كلامه سابقاً: ((هنا فقط اكتفى واجتزى سبحانه وتعالى بالرفع فالمفروض أن هذا الرفع يكون في سياق الوعد تاماً كاملاً والوعد بماذا بالتوفية والرفع والتطهير فكأنه يقول: بل توفاه الله!! ورفعه وطهره منهم)). انتهى.

فالتوفية والتطهير لم تذكر هنا في قوله تعالى: {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} مع أنه موضع تفصيل لما حدث مع عيسى عليه السلام عندما أراد اليهود قتله وصلبه ومع ذلك اكتفى الله تعالى بأن قال أنه في هذه اللحظة رفع الله تعالى مكانة نبيه عيسى عليه السلام بحسب تفسير الدكتور عدنان واكتفى بذلك دون أي إشارة لمصيره في تلك اللحظة و لم ير الدكتور أي إشكال في ذلك.

أما هنا فالدكتور يرى أنه كان ينبغي أن يُذكر الرفع ثم العودة في قوله تعالى: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} مع أنه موضع اختزال بإقرار الدكتور وليس موضع تفصيل وما هذا إلا تناقض صارخ وتخبط واضح ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢٢/ قال الدكتور في معرض مشابهته بين عيسى عليه السلام وبين يحيى عليه السلام في الدقيقة [١:٩,٢٣ - ١:٩,٢٩]:.

((الله قال مراحل ثلاثة مثل مراحل يحيى. يحيى سوف يعود؟! لن يعود نفس الشيء)).

الرد:

أشار الدكتور عدنان إلى قوله تعالى في حق عيسى عليه السلام: {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم:٣٣]. وقوله في حق يحيى عليه السلام: {وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} [مريم:١٥]. فوِفق هذا التشابه وجب أن تكون مراحل عيسى عليه السلام مراحل ثلاث مثل مراحل يحيى عليه السلام فكما أن يحيى مات ولن يعود عليه أفضل وأزكى وأتم والتسليم فكذلك عيسى عليه السلام بحسب استدلال الدكتور عدنان.

وهذا كلام لا معنى له فالمراحل الثلاث المذكورة في حق عيسى عليه السلام هي مرحلة الولادة ومرحلة الموت ومرحلة البعث وهي مراحل ثلاث قائمة برفع عيسى عليه السلام إلى السماء وعودته ثم موته في آخر الزمان.

فغاية ما في الأمر أنه قد مرت مرحلة هي مرحلة الولادة وبقيت مرحلتان مرحلة الموت ومرحلة البعث. أما يحيى عليه السلام فقد مضت له مرحلتان هما مرحلة الولادة والموت وبقيت له مرحلة البعث.

وقطعاً أحداث ما بين الولادة إلى الموت تختلف ما بين الإثنين بل بين جميع الأنبياء وكلهم يمر بهذه المراحل الثلاث. فيجوز إذاً أن يُرفع هذا إلى السماء ولا يُرفع الآخر ولا يزيد هذا من المراحل الثلاث شيئاً كما رُفع سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى السماء في ليلة الإسراء والمعراج.

فكما أنه عُرج بالنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إلى السماء ثم عاد في ليلته تلك ولا يزيد هذا من المراحل الثلاث في حقه شيئاً صلى الله تعالى عليه وعلى آله

وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فكذلك الحال بالنسبة لعيسى عليه السلام فرفعه إلى السماء إلى يوم نزوله ثانية إلى الأرض لا يزيد من المراحل الثلاث في حقه شيئاً أيضاً.

وكذلك كما أن يونس عليه السلام قد أُنزل إلى بطن الحوت ومكث في بطنه ما شاء الله له أن يمكث ثم عاد إلى ظهر الأرض ولا يزيد هذا من المراحل الثلاث في حقه شيئاً فكذلك الحال بالنسبة لعيسى عليه السلام.

ولو لزم أن يتوافق عيسى عليه السلام ويحيى عليه السلام في مراحلهم الثلاث توافقاً تاماً للزم أن تكون ولادتهما ووفاتهما في وقت واحد وهذا قطعاً لا يلزم من مجرد التشابه بين حال عيسى ويحيى عليهما السلام المشار له في الآيتين فما المانع إذاً أن تبقى المراحل الثلاث قائمة في حقهما مع طول عمر أحدهما عن الآخر؟!!.

فهذا يقال فيه ما قيل في سابقه تماماً بتمام فكما اختلفت مرحلة ولادة عيسى عليه السلام عن مرحلة ولادة يحيى حيث الأول ولد من أم بلا أب وتكلم في مهده والثاني ولد من أم وأب ولم يتكلم في مهده فكذلك لا يستلزم أن تتوافق سائر المراحل بحيث إن رفع هذا ليعود ويأتيه أجله لاحقاً وجب ذلك للثاني. ولا بحيث إن لم يرفع ذاك وجاءه أجله في الماضي وجب أن يكون الأول كذلك.

ولو تأملنا هذه الآيات المشار لها من قبل الدكتور عدنان المذكورة في حق عيسى عليه السلام وفي حق يحيى عليه السلام وقرأنا كلا الآيتين مع الآية السابقة لكلا النبيين لوجدنا التنبيه الإلهي على وجود الفرق بينهما رغم التشابه تأكيداً على نفي التطابق الكلي الذي يريد فرضه الدكتور عدنان.

ففي حق عيسى عليه السلام قال تعالى: {وَبَرًّا **بِوَالِدَتِي** وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} [مريم:٣٢،٣٣].

وفي حق يحيى عليه السلام قال تعالى: {وَبَرًّا **بِوَالِدَيْهِ** وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا} [مريم:١٤،١٥].

فالتفريق رغم التشابه بات واضحاً وجلياً فعيسى عليه السلام برٌّ بوالدته فقط لأنه ولد من أم ولا والد له خلافاً ليحيى عليه السلام فهو برٌّ بوالديه لأنه ولد من والدين.

فإذا اختلفت الولادة في حقهما اختلف الموت كذلك وسقط استدلال الدكتور عدنان العجيب الذي هو قطعاً في غير محله.

٢٣/ قال الدكتور في الدقيقة [١:٩,٣١ - ١:١٣,١٠].:

((في آخر سورة المائدة وذكرت هذا مرة وتأملوا في هذا جيداً جداً. {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى [الصواب: وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى] ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ} أين قال الله هذا؟ بإجماع المفسرين!! يقوله يوم القيامة في موقف الدينونة والحساب {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ} بالله هنا عاد افتحوا ءاذانكم جيداً إخوتي وأخواتي أصغوا جيداً إلى كلام الملك لا إله إلا هو الملك المقتدر {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ} مدة دوامي فيهم. انتبهوا إذاً عيسى يقول بكلمة واضحة قاطعة أنا أديت الشهادة على القوم الذين بعثت فيهم مدة بقائي فيهم مدة دوامي أنهم لا يعبدون إيش؟ إلا الله وحده لا إله إلا هو ثم يقول: {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي} وهنا بمعنى متُّ. {كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ} معناها لو عاد عيسى حتماً لابد أن يُذكر هنا يقول لهم فلما توفيتني ثم بعثتني ثم عدت بي ثم أنزلتني وجدتهم غيروا وبدلوا فأنكرت عليهم وتبرأت منهم. هذا غير مذكور. عيسى لم يعد ولم يعرف ولم يطلع على ما فعل قومه بدينه من بعده. كل الشهادة مؤداة في هذا النطاق فقط مدة دوامه. وفي مدة دوامه لم يحصل أنه دُعي إلهاً لا هو ولا أمه من دون الله واضح القرآن؟ هذا سورة المائدة لا تقول لي بخاري مسلم ابن فلان أبو علان هذا لا يعنينا الآن قرآن عظيم هنا واضح جداً واضح جداً ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام هذا الحديث نقبله لأنه مع القرآن تماماً نحن لا نقبل ونرفض بالتشهي. يقولك بالتشهي عدنان وغير عدنان يحكم عقله لا يا أخي نحن نحكم كتاب الله الواضح الصريح القطعي في حديث ابن عباس في صحيح البخاري في كتاب التفسير أيها الإخوة وهو حديث الحوض كيف يختلج يؤخذ بأناس من أصحابه ذات اليمين وذات الشمال. يؤخذ بهم ذات الشمال عاد هؤلاء فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك. في صحيح البخاري. قال: فأقول كما قال العبد الصالح:

{وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ} الملائكة ماذا تقول لمحمد عليه السلام؟ إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك. انت مش عارف وانت بتستنجد لهم ليه؟ تقول أصحابي أصحابي مش عارفهم هدولا؟ هادولا ارتدوا بعدك هذول غيروا دينك بعدك. الحديث في البخاري!! انت ما بتعرف قال إذا ما بعرف عندي عذر مثل عيسى اللي ما عرف ماذا حصل بعده!! فهمتوا الآية وفهمتوا الحديث والحديث في البخاري. هذا حق هذا حق يطابق حقاً قال فأقول كما قال العبد الصالح {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ} تتمة الحديث يقال له إنهم لم يزالوا مرتدين بعد أن فارقتهم. ارتدوا تركوا الدين هدولا أصحابك. آ جماعة طبعاً من الصحابة جماعة من أصحابه تركوا الدين والعياذ بالله فالحديث واضح)).

الرد:

أولاً:

قول الدكتور عدنان: ((أين قال الله هذا؟ **بإجماع المفسرين!!** يقوله يوم القيامة)). انتهى. كلام غير صحيح فكتب التفسير تؤكد وجود الاختلاف في تحديد وقت هذا السؤال على قولين.

قال القرطبي في تفسيره:

(اختلف في وقت هذه المقالة فقال قتادة وابن جريج وأكثر المفسرين: إنما يقال له هذا يوم القيامة. وقال السدي وقُطرب. قال له ذلك حين رفعه إلى السماء وقالت النصارى فيه ما قالت، واحتجوا بقوله: {إن تعذبهم فإنهم عبادك} فإن "إذ" في كلام العرب لما مضى). انتهى.

بل قد رجح الطبري في تفسيره القول الثاني أن هذا السؤال في الدنيا بعد أن رفعه الله تعالى إليه في السماء وليس يوم القيامة وذكر لترجيحه هذا علتين:

العلة الأولى: أنّ "إذْ" إنما تصاحب في الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها الماضيَ من الفعل. وإن كانت قد تدخلها أحيانًا في موضع الخبر عما يحدث إذا عرف السامعون معناها. وذلك غير فاشٍ ولا فصيح في كلامهم وتوجيه معاني كلام الله تعالى إلى الأشهر الأعرف ما وجد إليه السبيل أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر.

وعليه تكون (وإذ) هنا في الآية تفيد الحدوث في الماضي بعد رفع عيسى عليه السلام وفشو عقيدة التثليث في النصارى وليس في المستقبل يوم القيامة لأنه لم يأت بعد.

والعلة الثانية: أن عيسى لم يشك هو ولا أحد من الأنبياء أن الله لا يغفر لمشرك مات على شركه. وبالتالي فلا يجوز أن يُتَوهم على عيسى أن يقول في الآخرة مجيباً لربه تعالى ذكره: إن تعذّب من اتخذني وأمي إلهين من دونك ومات على ذلك فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم.

وعليه فيكون هذا السؤال وجوابه بحسب هذه العلة عند الطبري حتماً فيما مضى في حياة هؤلاء الذين وقعوا في الشرك وعقيدة التثليث من النصارى فهؤلاء قال عيسى عليه السلام لربه إن تعذبهم فإنهم عبادك وهم يستحقون العذاب بشركهم وإن تغفر لهم إما بأن تهديهم للحق فيستوجبوا بذلك المغفرة أو بأن لا توقع عليهم العذاب الآن في الدنيا فلعلهم يتوبون من قريب وإن لم يفعلوا وأصروا على شركهم فقد استوجبوا حينها العذاب فلا يلومون إلا أنفسهم.

على أن أكثر المفسرين في المقابل يرجحون القول الآخر أن هذا يوم القيامة.

يقول القرطبي في تفسيره بعد كلامه المنقول آنفاً:
(وَالْأَوَّلُ [أي القول بأن هذا يوم القيامة] أَصَحُّ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ مِنْ قوله: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ} الآية. وَمَا بَعْدَهُ: {هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} وَعَلَى هَذَا تَكُونُ (إِذْ) بِمَعْنَى (إِذَا) كَقَوْلِهِ تعالى: {وَلَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا} أَيْ إِذَا فَزِعُوا). انتهى.

ويقول ابن كثير في تفسيره بعد ذكر دليلي ابن جرير الطبري الذين احتج بهما على ترجيحه والذين ذكرناهما آنفاً قال ابن كثير:
(وهذان الدليلان فيهما نظر لأن كثيراً من أمور يوم القيامة ذُكر بلفظ المضي ليدل على الوقوع والثبوت. ومعنى قوله: {إن تعذبهم فإنهم عبادك} الآية: التبري منهم ورد المشيئة فيهم إلى الله. وتعليق ذلك على الشرط لا يقتضي وقوعه كما في نظائر ذلك من الآيات.

والذي قاله قتادة وغيره هو الأظهر والله أعلم أن ذلك كائن يوم القيامة ليدل علـــى تهديـــد النـــصارى وتقريعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

وقد روي بذلك حديث مرفوع رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي عبد الله مولى عمر بن عبد العزيـــز وكان ثقة قال: سمعت أبا بُردة يحدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي موسى الأشعري قال: قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم: (**إذا كان يوم القيامة** دعي بالأنبياء وأممهم **ثم يدعى بعيسى** فَيُذَكِّرُهُ الله نعمتـــه عليه فيقر بها فيقول: {يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك} الآية. ثم يقول: {أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله}؟ فينكر أن يكون قال ذلك. فيؤتى بالنصارى فيُسألون فيقولون: نعم هو أمرنا بذلك. قال: فَيُطَوَّلُ شعرُ عيسى عليه السلام فيأخذُ كلُّ ملك من الملائكة بشعرة من شـــعر رأسه وجسده. فيجاثيهم بين يدي الله عز وجل مقدار ألف عام حتى تُرفعَ عليهم الحجـــة ويُرفـــعَ لهـــم الصليب ويُنطلقَ بهم إلى النار). وهذا حديث غريب عزيز). انتهى.

وعليه فما ادعاه الدكتور عدنان من إجماع المفسرين على أن وقت هذا السؤال هو يوم القيامة غير صحيح مطلقاً.

ثانياً:

قول الدكتور عدنان: ((ثم يقول: {فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي} وهنا بمعنى مِتُّ)). انتهى. هو أيضاً مختلَف فيه بين المفسرين على قولين: أنها وفاة الرفع والقول الآخر أنها وفاة الموت بعد موته في آخر الزمان.

وعلى قول من قال أن هذا السؤال وقته فيما مضى في الدنيا بعد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء [وقد سبق أنه قول الإمام المفسر السدي المتوفى عام ١٢٧هـــ وقول قُطرب النحوي ممن اختلف إلى سيبويه وتعلم منه ومن مؤلفاته معاني القرآن الكريم وهو ترجيح واختيار الطبري إمام المفسرين كما مر] تكون الوفاة هنا قطعاً وفاة الرفع إلى السماء لا وفاة الموت.

وعلى القول الآخر يبقى أن الوفاة هي وفاة الرفع هو القول الأرجح والأقوى لأن النصارى لم يقع فيهم التثليث إلا بعد رفع عيسى عليه السلام وأما بعد نزوله في آخر الزمان فلن يبق مثلث بل لن يبق أحد من أهل الكتاب إلا وسيؤمن بأنه عبده ورسوله كما بينته الأحاديث الصحيحة كما سبق بيانه.

والقول بأنه مات في الماضي ولن يعود سبق بيان تهافته وتعارضه مع الأحاديث الصحيحة والأخبار المتواترة كما أكدناه مراراً وسبق بيان أنه لا تعارض بين القول برفعه وبقائه حياً وبين القرآن وهو ما اتكأ عليه الدكتور عدنان وسبق بيان تهافت أدلته على ذلك أيضاً فليراجع ذلك من شاء.

ثالثاً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((معناها لو عاد عيسى حتماً لابد أن يُذكر هنا يقول لهم فلما توفيتني ثم بعثتني ثم عدت بي ثم أنزلتني وجدتهم غيروا وبدلوا فأنكرت عليهم وتبرأت منهم. هذا غير مذكور)). انتهى.

فهو استدلال عجيب كسائر استدلالاته إذ على القول بأن هذا السؤال وجوابه في يوم القيامة فإن الله تعالى كما هو جلي يسأل عبده ونبيه عيسى عليه السلام عن أولئك الذين ادعوا ألوهيته طيلة الفترة التي بين رفعه إلى نزوله آخر الزمان وليس الذين نزل فيهم ووجدهم غيروا وبدلوا فأنكر عليهم وتبرأ منهم لأن هؤلاء سيؤمنون به ولن تبق فيهم عقيدة التثليث أصلاً كما ذكرناه عند الحديث عن آية: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ} [النساء:١٥٩].

ومن ثم فمن الطبيعي ألا يذكر هنا نزوله وإنكاره عليهم وتبرؤه منهم لأن هؤلاء وهم المعنيون من السؤال لإقامة الحجة عليهم لم يلحقوا فترة نزوله وإنكاره عليهم وتبرئه منهم.

وطبعاً على القول الآخر أن السؤال فيما مضى في الدنيا بعد رفعه (وهو القول الملغي من قاموس الدكتور عدنان) فالأمر أجلى حينها في التأكيد على بطلان استدلال الدكتور عدنان من أساسه لأنه يكون حينها قد قال هذا القول قبل نزوله أصلاً على ما هو جلي بطبيعة الحال.

رابعاً:

وأما قول الدكتور عدنان بعد كلامه السابق: ((عيسى لم يعد ولم يعرف ولم يطلع على ما فعل قومه بدينه من بعده)). انتهى. فليس في قوله ما يفيد أنه لم يعرف ولم يطلع على ما فعل قومه بدينه من بعده وغاية ما فيه التبرؤ مما ادعاه عليه هؤلاء من دعوتهم لعبادته وتأليهه والتأكيد على أنه ما أمرهم إلا بعبادة الله ربه وربهم وأنه كان شهيداً عليهم ما دام فيهم وأما بعد ذلك بعد رفعه من بين أظهرهم فهو غير مسؤول

عنهم ولا عن أفعالهم وصار الله تعالى هو الرقيب عليهم المراقب لأعمالهم وأحوالهم والرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء.

والمقام كما هو جلي مقام توبيخ وتقريع للنصارى المثلثين الذين ألهوه ومحاججتهم فيما نسبوه له من ادعاء الألوهية وليس مقام بيان علمه بما أحدثوه من بعده من عدمه.

وهو لم يتطرق أصلا لمسألة علمه من عدمها لأن علمه من عدمه بما أحدثوه لا يقدم ولا يؤخر في هذا المقام مقام الاحتجاج على قومه فهو لم يكن قادراً على الإنكار عليهم في حياتهم لأنه كان قد رُفع وما عاد بين ظهرانيهم وبعد نزوله ما عادوا هم أحياءً فلا معنى لذكره علمه بما أحدثوه من عدمه.

وأما بخصوص حديث الحوض الذي استشهد به الدكتور عدنان فهو استشهاد بما هو حجة عليه لا له.
فهو يذكر الحديث على أنه دليل على أن النبي سيدنا محمداً صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين لم يعرف وأنه قال إذا ما بعرف عندي عذر مثل عيسى اللي ما عرف ماذا حصل بعده!! على حد تعبير الدكتور عدنان مع أن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين قد عرف وأخبر بما عرفه وأخبر بالحدث قبل وقوعه **فكيف يستدل بالحديث على عدم معرفته وهو قد عرف وانتهى وأخبر بما عَرَفه مما عَرَّفَه الله تعالى به؟!!.**

وهاهنا كلام نفيس للشيخ الكشميري في كتابه "فيض الباري" تعليقاً على الحديث حيث قال رحمه الله تعالى:
(ثم إن نفي العلم عن نفسه من آداب حضرة الربوبية ألا ترى أن الملائكة حين اعتذروا عن أنفسهم قالوا: {لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} [البقرة: ٣٢]. وكذلك فعل الرسل. قال تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا} [المائدة: ١٠٩]. وليس هذا كذباً بل علم العبد بجنب علم الله متلاشي ولا شيء.

وقد كان موسى عليه السلام نَسَب الأعلمية إلى نفسه مرة فجوزي بلقاء الخضر عليه الصلاة والسلام وأبرز له علمه في كل موضع حتى بموضع لقيه أيضا فلم يلقه حتى جاز مكانه ثم رجع على آثاره قصصا. وقد غفل عنه الملائكة أولاً فابتلوا بإنباء الأسماء فلم يفعلوا.

وليس المحشر موضع ادعاء علم وإن كان عندهم علم دون علم فذلك كالعدم. والعلم يومئذ كله لعلام الغيوب ولا ينفي ذلك نفس العلم إجمالاً أصلاً). انتهى.

وهذا كلام نفيس رصين يؤيده ما استشهد به الكشميري رحمه الله تعالى من قوله تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا} [المائدة: ١٠٩]. وهم قطعاً يعلمون بماذا أُجيبوا من أقوامهم ولكنه مقام الأدب مع الله تعالى وكما قال الكشميري رحمه الله تعالى آنفاً: (وليس هذا كذباً بل علم العبد بجنب علم الله متلاشي ولا شيء). انتهى.

ويؤيده ما ذكرناه من أنه ووفق حديث الحوض الذي بين أيدينا فإن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين **قد أخبر أصلاً بما علمه مسبقاً. فالحديث دليل قطعي صريح على علمه المسبق لا العكس**.

ويؤيده أيضاً ما أورده الكاتب المعاصر محمد عيسى داود في كتابه "المفاجأة" حيث قال:
(سيد ولد آدم والكائنات كلها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يدع شيئاً هو كائن إلى يوم القيامة إلا حدّث به أمته الشاهدة على الأمم. والأحاديث في هذا الصدد تبلغ حد التواتر بلا جدال. وفي كتاب "الشفا بأحوال المصطفى" للقاضي عياض أمثلة كفلق الصبح.

وفي صحيح البخاري: قال حذيفة رضي الله عنه: لقد خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم خطبة **ما ترك فيه شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره** عَلِمَه مَن عَلِمَه وَجَهِلَه مَن جَهِله. إن كنت لأرى الشيء قد نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه.

وفي رواية جرير: حفظه مَن حفظه ونسيه من نسيه. وزاد: وقد علمه أصحابي هؤلاء. أي علموا وقوع ذلك المقام وما وقع فيه من الكلام.

وروى نحو حديث حذيفة هذا من الصحابة: عمر بن الخطاب وأبي زيد بن أخطب وأبي سعيد.

وقد أخرج مسلم من طريق أبي إدريس الخولاني عن حذيفة: والله إني **لأعلم كل فتنة كائنة فيما بيني وبين الساعة** وما بي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم **أسرّ إليّ شيئاً لم يكن يحدث به غيري**. وقال في آخره: فذهب ذلك الرهط غيري. وهذا لا يناقض الأول بل يُجمع بأن يُحمل على مجلسين أو المراد بأول أعم من المراد بالثاني.

وقد أخرج حديث حذيفة هذا القاضي عياض في "الشفاء" من طريق أبي داود بسنده إلى قوله: ثم إذا رآه عرفه. ثم قال حذيفة: ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه. **والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ مَن معه ثلاثمائة إلا قد سماه لنا**.

وفي كتاب (بدء الخلق) بصحيح البخاري: روى عيسى عن رقبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقاماً **فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم**. حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه.

قال ابن حجر: أي أخبرنا صلى الله عليه وسلم عن مبتدأ الخلق شيئاً بعد شيء إلى أن انتهى الإخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار. ووضع الماضي موضع المضارع مبالغة للتحقق المستفاد من خبر الصادق المعصوم صلى الله عليه وسلم. وكان السياق العقلي يقتضي أن يقول: حتى يدخل. ودل ذلك على أنه أخبر في المجلي الواحد بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتدئت إلى أن تفنى إلى أن تبعث. فشمل ذلك الإخبار عن المبدأ والمعاش والمعاد. وفي تيسير إيراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم. ويقرب ذلك مع كون معجزاته لا مرية في كثرها أنه صلى الله عليه وسلم أُعطي جوامع الكلم.

ومثل هذا من جهة أخرى ما رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم. ثم أُجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا يُنقص منهم أبداً.

ثم قال للذي في شماله مثله في أهل النار. وقال في آخر الحديث: فقال بيديه فنبذهما ثم قال: فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير. وإسناده حسن.

علّق ابن حجر: وظاهر قوله: (فنبذهما) بعد قوله: (وفي يده كتابان) أنهما كانا مرئيين لهم والله أعلم.

ومعنى (ثم أُجمل على آخرهم) أي أنه صلى الله عليه وآله وسلم ذكر أسماء لهم إما في القرون الأخيرة وإما في العقود الأخيرة من عمر الكرة الأرضية.

ولهذا الحديث شاهد من حديث أبي زيد الأنصاري أخرجه أحمد ومسلم قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى بنا الظهر. ثم صعد المنر فخطبنا ثم صلى كذلك حتى غربت الشمس **فحدثنا بما كان وما هو كائن فأعلمُنا أحفظُنا**.

وأخرجه من حديث أبي سعيد مختصراً ومطولاً. وأخرجه الترمذي من حديثه مطولاً وترجم له: (باب ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم مما هو كائن إلى يوم القيامة. ثم ساقه بلفظ: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة العصر ثم قام يحدثنا **فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به** حفظه من حفظه ونسيه من نسيه. ثم ساق الحديث وقال: حسن.

كما روى الطبراني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه).

مما يعني أن سيدنا وسيد الأكوان محمداً صلى الله عليه وسلم قد رأى وسمع كل ما هو كائن في الدنيا رؤية مُعايش وسمْعَ حاضر. وهو هيّن على الله عز وجل.

وفي صحيح مسلم أن أبا إدريس الخوْلاني كان يقول: قال حذيفة بن اليمان: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة. وما بي إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر إلي في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري. ولكنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعد الفتن: (منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً. ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار). قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري.

ولكنني أرى أن هناك مجلساً آخر غير هذا بدليل رواية الإمام مسلم: عن عبد الله بن يزيد عن حذيفة أنه قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم **بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة** فما منه شيء إلا قد سألته. إلا أني لم أسأله: ما يُخرج أهل المدينة من المدينة.

فلفظ: (أخبرني) دلالته تختلف تماماً عن عبارة: (ولكنْ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن). ثم عبارة: (فما منه شيء إلا قد سألته) يوحي بمجلس خاص فيه حديث مصحوب دائماً بسؤال استعلام وجواب وهو ما لايتسنى في المجلس العام.

وأرى أيضاً أن هذين الحديثين غير الحديث الثالث الذي أوردناه فيما سلف وهو رواية عمرو بن أخطب قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى. ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى. ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا.

ويقوي اتجاهي هذا في خصوصية بعض الصحابة بمعرفة أسرار ما سيكون ومغيباته أمثال سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وابن عباس وأبي هريرة وحذيفة بن اليمان ما جاء في صحيح مسلم عن شقيق عن حذيفة قال: كنا عند عمر فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة كما قال؟ فقلت: أنا. قال: إنك لجريء وكيف قال؟ قال: قلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). فقال عمر: ليس هذا أريد. إنما أريد التي تموج موج البحر. قال: فقلت: ما لك ولها يا أمير المؤمنين؟ إن بينك وبينها باباً مغلقاً قال: أفيكسر الباب أم يفتح؟ قال: قلت: لا بل يكسر. قال: ذلك أحرى أن لا يغلق أبداً. قال: فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم. كما يعلم أن دون غد الليلة. إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط. قال: فهبنا أن نسأل حذيفة مَن الباب؟ فقلنا لمسروق: سله. فسأله فقال: عمر.

ولا يجوز لنا أن نغفل ما خُص به أبو هريرة من علم وهو المسمى (وعاء العلم) وهو الذي حمل علمه ثمانمائة رجل كما يقول الإمام البخاري ما بين صاحب وتابع. والذي منحه الوسام الكبير ونوط الشرف

بوصفه وقوله: (**أبو هريرة وعاء العلم**) هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فيما رواه الحاكم في المستدرك.

وفي صحيح البخاري يقول أبو هريرة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً فأنساه. قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ابسط رداءك). فبسطت فغرف بيده فيه ثم قال: (ضمه). فضممته **فما نسيت حديثاً**.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما له: يا أبا هريرة **كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه**. صححه الذهبي في المستدرك.

وكذلك صحح الذهبي على شرط مسلم ورواه صاحب المستدرك أنه سُئل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه عن حديث أبي هريرة فقال: والله ما نشك أنه **سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم نسمع وعلم ما نعلم**. إنا كنا قوماً أغنياء لنا بيوت وأهلون وكنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار ثم نرجع. وكان هو مسكيناً لا مال له ولا أهل وإنما كان يده مع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور معه حيث دار **فما نشك أنه قد علم ما لم نعلم وسمع ما لم نسمع**.

...

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك **لما رأيت من حرصك على الحديث**. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فضلاً عن أنه أول من نبه إلى تسمية كلامه بالحديث ليُصطلح على هذا نبه إلى خصوصية في أبي هريرة وهي طلبه الحديث وحرصه عليه.

وقد قال أبو هريرة عن نفسه: كان إخواني من الأنصار يشتغلون بإصلاح حوائطهم أي حدائقهم ومزارعهم في بعض الأوقات وإخواني من المهاجرين يشتغلون بالتسبب في الأسواق وأنا التزمت النبي صلى الله عليه وسلم لملء بطني فوعيت ما لم يعوا.

...

وفي مسند الإمام أحمد رضي الله عنه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يتقلب في السماء طائر إلا ذكر لنا منه علماً).

لقد أخبرنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بكل شيء و لم يترك باباً من العلوم إلا ترك لنا منه خطوطاً عريضة علمها من علمها وجهلها من جهلها.

...

ومن ألطف عطاءات التدبر أن ذئباً شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بإخباره بما هو كائن ففي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاةً. فطلبه الراعي حتى انتزعها منه. قال: فصعد الذئب على تلٍ فأقعى واستذفر — أي تنفس بضيق - فقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله عَزَّ وَجَلَّ انتزعته مني. فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئباً يتكلم!.

قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم. وكان الرجل يهودياً فجاء الرجل إلى سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم.

وقيل لحذيفة بن اليمان: نراك تتكلم بكلام لا يُسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته؟ قال: خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني علمه.

وقال مرة: فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير.

وفي لفظ آخر: كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا؟ يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول: يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا؟ .. فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم.

وكلمة (خصني) هنا كلمة لابد أن نقف عندها كثيراً.

وكان حذيفة رضي الله عنه أيضاً قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة. وكان يُسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم.

وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئاً من النفاق فبرأه من ذلك. فبلغ الأمر بعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان إذا دُعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلا ترك. وكان يُسمى رضي الله عنه أي حذيفة عند الصحابة جميعاً (كاتم السر) أو (صاحب السر).

وفيما رواه نعيم بن حماد عن حذيفة: ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة إنسان إلا لو شئت أن أسميه باسمه أو اسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة. **<u>كل ذلك علمنيه رسول الله</u>** صلى الله عليه وسلم. قالوا: بأعيانها؟ قال: أو أشباهها يعرفها الفقهاء. أو قال العلماء. إنكم كنتم تسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وأسأله عن الشر وتسألونه عما كان وأسأله عما يكون.

وروي عن حذيفة أنه قال: والله ما أنا بالطريق إلى قرية من القرى ولا إلى مصر من الأمصار بأعلم مني بما يكون من بعد عثمان بن عفان). انتهى باختصار.

وبهذا يسقط ما قاله الدكتور عدنان عن علم النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين بما كان بعده ومثله بالتبعية ما قاله عن علم عيسى عليه السلام بما فعله وقاله النصارى من بعده.

<u>خامساً:</u>

وأما قول الدكتور عدنان: ((هذا الحديث نقبله لأنه مع القرآن تماماً نحن لا نقبل ونرفض بالتشهي. يقولك بالتشهي عدنان وغير عدنان يحكم عقله لا يا أخي نحن نحكم كتاب الله الواضح الصريح القطعي في حديث ابن عباس في صحيح البخاري في كتاب التفسير أيها الإخوة وهو حديث الحوض)). انتهى.

فقد سبق أن نقلنا تحذير النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ممن سيأتي لهذه الأمة بهذا المنهج وقلنا:

(وفي سنن أبي داود أيضاً:
(عن عُبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: (لا أُلْفِيَن أحدَكُم مُتَّكئاً على أريكَتِهِ يأتيه الأمرُ من أمري مِمَّا أمرْتُ به أو نَهَيتُ عنه فيقول: **لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتَّبعناه**)). انتهى.

وفي سنن الترمذي:
(عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلاَ هَلْ عَسَى رَجُلٌ **يَبْلُغُهُ الحَدِيثُ عَنِّي** وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ فَيَقُولُ: **بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ** فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلاَلاً اسْتَحْلَلْنَاهُ. وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ. وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ). انتهى.

وفي مسند أبي يعلى:
(حدثنا أبو الربيع حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن يزيد الرقاشي عن محمد بن المنكدر حدثنا جابر بن عبد الله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عسى أن **يكذبني رجل** وهو متكئ على أريكته **يَبلغه الحديث عني** فيقول: **ما قال ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. دع هذا وهات ما في القرآن**)). انتهى.)

صدقت يا سيدي يا رسول الله فقد جاءنا من يقول: ((هذا الحديث نقبله لأنه مع القرآن تماماً نحن لا نقبل ونرفض بالتشهي. يقولك بالتشهي عدنان وغير عدنان يحكم عقله لا يا أخي نحن نحكم كتاب الله الواضح الصريح القطعي)). انتهى.

فنشهد يا سيدي يا رسول الله أنك الصادق المصدوق وأنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة اللهم فاجزه خير ما تجزي نبياً عن أمته واجزه يا رب ما هو أهله وزده يا رب ما أنت أهله واجعلنا من عبادك المنتصحين الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم آمين آمين آمين.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإننا لو أردنا حقاً أن نتبع منهج الدكتور عدنان إبراهيم لوجب أن نرفض هذا الحديث بسببين **أولهما** أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين قد أخبر في هذا الحديث بما سيحدث معه ومع أمته وأصحابه يوم القيامة وهذا بمنهج الدكتور عدنان

يتعارض مع قوله تعالى: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ **وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ**} [الأحقاف:٩]. ولا تعليق.

وثانيهما وبمنهجية الدكتور عدنان أيضاً فإنه ليس في القرآن ولا آية واحدة تتحدث عن الحوض وعن أن هناك مرحلة تسبق دخول الجنة هي مرحلة الورود على الحوض.

وما يمكن أن يَرد به الدكتور عدنان هنا تعلم منه بطلان منهجية الدكتور عدنان جملة وتفصيلاً في تعامله مع الأحاديث بل ومع كتاب الله تعالى. لأنه إن أمكن أن يوجد ما يُرد به هنا فما المانع أن يكون ثمة ما يُرد به هناك على أحاديث نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال.

سادساً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((تتمة الحديث يقال له إنهم لم يزالوا مرتدين بعد أن فارقتهم. ارتدوا تركوا الدين هدولا أصحابك. آ جماعة طبعاً من الصحابة جماعة من أصحابه تركوا الدين والعياذ بالله فالحديث واضح)). انتهى.

فقد سبق أن قلنا أن الأحاديث لا يمكن فهمها الفهم الصحيح إلا بتجميع جميع روايات الحديث فما قد يُشكل في رواية قد تفسره وتوضحه وتبينه رواية أخرى وكذلك ما قد تُجمله رواية قد يأتي تفصيله في رواية أخرى وما قد تعممه رواية قد تخصصه أخرى وهكذا.

ومثل هذا ما جاء هنا فظاهر الحديث الذي ذكره الدكتور عدنان أن الذين ارتدوا من بعده المشار إليهم في الحديث هم طائفة من الصحابة ولكن بتجميع الروايات يتضح أن المقصود بالحديث من جاء بعد الصحابة وغير وبدل من أهل الأهواء والبدع وكل من انحرف من هذه الأمة عن جادة الطريق القويم كالخوارج والشيعة ومن شاههم ويدخل فيه أيضاً المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبي بكر من جفاة الأعراب.

وأن الطائفة الأولى يعرفهم من سيماهم الخاصة بالمتوضئين من أمته والطائفة الثانية فبعضهم كذلك وبعضهم من خلال تعريفه بنفسه للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. وبيان ذلك يتجلى من خلال تجميع الروايات التالية:

أ/ في صحيح البخاري:

(حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أخبرنا المغيرة بن النعمان قال: سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً). ثم قال: ({كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} [الأنبياء: ١٠٤] إلى آخر الآية ثم قال: (ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم. ألا وإنه يجاء **برجال من أمتي** فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصيحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: { وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: ١١٧] فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم). انتهى.

فها هنا **أخبر أن هؤلاء رجال من أمته وليسوا من صحابته** فقوله عنهم (أصيحابي) كما في هذه الرواية هو على اعتبار أنهم من أمته وأصحاب ملته وسيأتي معنا بإذن الله تعالى في الروايات التالية ما يصرح بذلك وأنه عرفهم من سيماهم لا لكونهم من صحابته الذين يعرفهم جيداً صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

ب/ في صحيح مسلم:

(وحدثنا أبو كريب وواصل بن عبد الأعلى – واللفظ لواصل – قالا: حدثنا ابن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ترد عليّ أمتي** الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله). قالوا يا نبي الله أتعرفنا؟ قال: (نعم. **لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون علي غراً محجلين من آثار الوُضوء**. وليُصدن عني طائفة منكم فلا يصِلُون فأقول: يا رب هؤلاء من أصحابي. فيجيبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟). انتهى.

ج/ في صحيح ابن حبان:

(أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان الطائي بمنبج قال: أخبرنا أحمد بن أبي بكر عن مالك عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: أن رسول صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أني قد رأيت إخواننا). قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: (بل أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد وأنا فرطهم على الحوض). قالوا: يا رسول الله كيف تعرف من يأتي بعدك من أمتك؟ قال: (أرأيت لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟).

قالوا: بلى يا رسول الله قال: (فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض **فَلَيُذَادَنَّ رجالٌ عن حوضي** كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم ألا هلم فيقال: إنهم بدلوا بعدك. فأقول فسحقاً فسحقاً فسحقاً). انتهى.

د/ وفي صحيح البخاري:
(حدثنا سعيد بن أبي مريم عن نافع بن عمر قال: حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم **وسيؤخذ ناس دوني** فأقول: يا رب مني **ومن أمتي**. فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك. والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم). فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا). انتهى.

وهذه روايات في مجموعها تؤكد أن المقصود جماعة من الأمة ممن جاء بعده وغير وبدل وانحرف كما قلنا سابقاً.

وأما ما جاء في صحيح مسلم: وحدثني محمد بن حاتم حدثنا عفان بن مسلم الصفار حدثنا وهيب قال: سمعت عبد العزيز بن صهيب يحدث قال: حدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليردن علي الحوض رجال **ممن صاحبني** حتى إذا رأيتهم ورُفعوا إلي اختُلجوا دوني فلأقولن: أي رب أصيحابي أصيحابي. فليقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك). انتهى.

فيُحمل قوله (رجال ممن صاحبني) على الأعراب الجفاة الذين آمنوا في عهده صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ثم ارتدوا بعده كالمرتدين الذين قاتلهم الصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

وهؤلاء بحكم ارتدادهم فلن يكونوا على سيما المسلمين وإنما يعرفهم من خلال انتسابهم له وتعريفهم له بأنفسهم أخذاً من الرواية التالية ففي "فتح الباري" لابن حجر:
(وقد أخرج أبو يعلى بسند حسن عن أبي سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثاً فقال: (يا أيها الناس إني فرطكم على الحوض فإذا جئتم قال رجل: يا رسول الله **أنا فلان بن فلان**. وقال آخر: **أنا فلان بن فلان**. فأقول: **أما النسب فقد عرفته** ولعلكم أحدثتم بعدي وارتددتم)). انتهى.

** قال ابن قتيبة الدينوري (المتوفى عام ٢٧٦هـــ) في كتابه "تأويل مختلف الحديث":
(قالوا: حديث يحتج به الروافض في إكفار أصحاب محد صلى الله عليه وسلم: قالوا: رويتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليردن علي الحوض أقوام ثم ليختلجن دوني فأقول: يا رب أصيحابي أصيحابي. فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم).

قالوا: وهذه حجة للروافض في إكفارهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم **إلا** علياً وأبا ذر والمقداد وسلمان وعمار بن ياسر وحذيفة.

قال أبو محمد [ابن قتيبة الدينوري]: ونحن نقول: إنهم لو تدبروا الحديث وفهموا ألفاظه لاستدلوا على أنه لم يُرد بذلك إلا القليل.

يدلك على ذلك قوله: (ليردن علي الحوض أقوام). ولو كان أرادهم جميعا إلا من ذكروا لقال: (لتـــردن علي الحوض ثم لتختلجن دوني).

ألا ترى أن القائل إذا قال: أتاني اليوم أقوام من بني تميم وأقوام من أهل الكوفة. فإنما يريد قليلاً من كثير؟ ولو أراد أنهم أتوه إلا نفراً يسيراً قال: أتاني بنو تميم وأتاني أهل الكوفة. و لم يجز أن يقول (قوم) لأن القوم هم الذين تخلفوا.

ويدلك أيضاً قوله: (يا رب أصيحابي) بالتصغير وإنما يريد بذلك تقليل العدد كما تقول: مررت بأبيـــات متفرقة ومررت بجُمَيْعَة.

ونحن نعلم أنه قد كان يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ويحضر معه المغازي المنـــافق لطلب المغنم والرقيق الدين والمرتاب والشاك.

وقد ارتد بعده أقوام منهم عيينة بن حصن ارتد ولحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ وآمن به. فلما هُـــزم طليحة هرب فأسره [أي عيينة بن حصن] خالد بن الوليد وبعث به إلى أبي بكر رضي الله عنه في وثـــاق

فقدم به المدينة فجعل غلمان المدينة ينخسونه بالجريد ويضربونه ويقولون: أي عدو الله كفرت بالله بعد إيمانك؟. فيقول عدو الله: والله ما كنت آمنت.

فلما كلمه أبو بكر رضي الله عنه رجع إلى الإسلام فقبل منه وكتب له أماناً و لم يزل بعد ذلك رقيق الدين حتى مات.

وهو الذي كان أغار على لِقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة [لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي إبله] فقال له الحارث بن عوف: ما جَزيت محمداً صلى الله عليه وسلم أسمنت في بلاده ثم غزوته؟ فقال: هو ما ترى. وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا الأحمق المطاع).

ولعيينة بن حصن أشباه ارتدوا حين ارتدت العرب فمنهم من رجع وحسن إسلامه ومنهم من ثبت على النفاق وقد قال الله تبارك وتعالى: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ} الآية. فهؤلاء هم الذين يختلجون دونه.

وأما جميع أصحابه إلا الستة الذين ذكروا فكيف يختلجون؟ وقد تقدم قول الله تبارك وتعالى فيهم: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} إلى آخر السورة. وقوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}.

قال أبو محمد: وحدثني زيد بن أخزم الطائي قال: أنا أبو داود قال: حدثنا قرة بن خالد عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب كم كانوا في بيعة الرضوان؟ قال خمس عشرة مائة. قال: قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع عشرة مائة. قال: أوهم رحمه الله هو الذي حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة.

فكيف يجوز أن يرضى الله عز وجل عن أقوام ويحمدهم ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم وهذا هو شر الكافرين.

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم:

(ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن رب أصـــيحابي أصيحابي فليقالن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. أما اختُلجوا فمعناه اقتطعوا. وأما أصيحابي فوقـــع في الروايات مصغرا مكررا وفي بعض النسخ أصحابي أصحابي مكبرا مكررا. قال القاضي: هذا دليل لـــصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة ولهذا قال فيهم: (سحقا سحقا). ولا يقول ذلك في مذنبي الأمة بل يشفع لهم ويهتم لأمرهم. قال: وقيل هؤلاء صنفان: أحدهما عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة. والثاني مرتدون إلى الكفر حقيقة ناكصون على أعقابهم. واسم التبديل يشمل الصنفين). انتهى.

وفي صحيح البخاري:

(حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضـــي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرأ: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}. فأول من يكسى إبراهيم ثم يؤخذ برجال من أصـــحابي ذات الـــيمين وذات الشمال فأقول: أصحابي. فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقول كما قـــال العبد الصالح عيسى ابن مريم: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. قـــال: محمد بن يوسف الفربري ذكر عن أبي عبد الله [يعني البخاري] عن قبيصة [وَقبيصَة هُوَ ابْن عقبَـــة أحـــد مَشَايِخ البُخَارِيّ] قال: **هم المرتدون الذين ارتدوا على عهد أبي بكر** فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنـــه). انتهى.

وفي "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" لابن الملقن الشافعي المصري (المتوفى عام ٨٠٤هـــ):

(والمراد بالرجال الذين يذادون عن حوضه هم المرتدون الذين بدلوا كما ذكره البخاري في "صحيحه" عن قبيصة فيما سيأتي وقال ابن التين: هم المنافقون. وقال ابن الجوزي: هم المبتدعون. وقال القـــرطبي: هـــم الذين لا سيما لهم من غير هذِه الأمة.

فإن قلت: كيف يأتون غُرًّا محجلين والمرتد لا غرة له ولا تحجيل؟ فالجواب: أنه – عليه السلام – قال: (تأتي كل أمة فيها منافقوها). وقد قال تعالى: {انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ} [الحديد: ١٣]. فصحَّ أن

المؤمنين يحشرون وفيهم المنافقون الذين كانوا معهم في الدنيا حتى يُضرب بينهم بسور. والمنافق لا غرة له ولا تحجيل لكن المؤمنون سموا غرًّا محجلين بالجملة وإن كان المنافق في خلالهم). انتهى.

ومن تأمل إضافة لما سبق إيراده قولَ النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين: (فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}). **تجلى له أن المقصود بهم ليسوا هم الصحابة قطعاً** رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين استنباطاً من المقارنة في هذا المقام بالعبد الصالح عيسى عليه السلام لأن الذين انحرفوا بعد عيسى عليه السلام ووقعوا في التثليث هم من جاءوا بعده وليس الحواريين الذين آمنوا به وناصروه. وقد سبق أن نقلنا أن بولس اليهودي الذي تنصر بعد حادثة الصلب وادعى أن المسيح تراءى له وعينه رسولاً يبشر بدينه ويدعو لدينه هو الذي نشر دين التثليث وحرف رسالة المسيح عليه السلام الحقة.

فكذلك يكون الذين انحرفوا بعده صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين المقصودون في الحديث **ليسوا من الصحابة بل مَن جاء بعدهم كما هو الحال مع عيسى عليه السلام بدلالة المقارنة معه في الحديث** كما قلنا.

٢٤/ قال الدكتور في الدقيقة [١:١٣,١١ - ١:١٧,١٣].:

((أخيراً لصالح من يُقال إن عيسى الذي جعل إله وابن إله لصالح من يؤكد أنه فعلاً لم يمت ميتة طبيعية وصعد به إلى السماء روحاً وبدناً وهو هناك عند النصارى جالس إلى جانب والده أستغفر الله العظيم نعم في العقيدة النصرانية كل أحد لابد أن يقدم كشف حساب لعيسى كل أحد من محسن ومن مسيء فيثيب هذا ويعذب هذا أيها الإخوة لابد أن يقدم كشف حساب وبعد ذلك يترل في آخر الزمان بالعهد الألفي السعيد يترل عيسى ليدين الخلائق أيضاً ويطبع العالم كله بطابع عقيدة واحدة وملة واحدة وملة واحدة [التكرار من الدكتور]. اليهود يعتقدون نفس الاعتقاد لكن في مسيحهم وكما قلت لكم عاد عند اليهود سفر أشعياء الإصحاح الحادي عشر يترل مسيحهم المنتظر وحين يترل أيها الإخوة يضرب بقضيب الحق. في عنف. عنف بني إسرائيل ولكن أيضاً ويقتل المنافقين بنَفَسِه. بمجرد نَفَسِه المنافقون الكفار يموتون. انتبهوا هذا المعنى مذكور في حديث أبي هريرة في حديث أبي هريرة [التكرار من الدكتور] يقول: فلا يحل لكافر يجد نَفَسه أو ريح نَفَسِه إلا مات. ونَفَسُه يبلغ ما بلغ طرفه. هذا النبي قاله ولا سفر أشعياء؟! هذا

سفر أشعياء منقول كوبي آ. نسخة نسخة كربونية. هذا منقول والنبي قال. والنبي قال وروى أبو فلان وأبو علان. انتبهوا اقرءوا أديان مقارنة. وبعدين مش هيك وبس وشوفوا الشيء الغريب القرآن يقول: {ولذلك خلقهم} {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم} مسلمون مع يهود مع نصارى مع.. مِلل إلى يوم الدين لن تتوحد هذه سنة الله في خلقه. لأن الإنسان مختار كائن مختار والله لا يشاء أن يجبر الناس على إيه على عقيدة على الرغم منهم الله لا يريد هذا لا يريد هذا فالدنيا فيها مؤمن فيها كافر. لكن سفر أشعياء ماذا يقول؟ يقول أبداً تصبح معرفة الرب في قلوب الناس جميعاً كما الماء يغطي البحر. وهذا مذكور في حديث أبي هريرة: تصبح الملة واحدة. الله يهلك الملل كلها إلا ملة التوحيد قال. يبقى دين واحد. مخالف لسنة الله مخالف لكتاب الله تبارك وتعالى. ومش هيك وبس. في أحاديث أبي هريرة وغير أبي هريرة: ويحطم يكسر يدمرالبِيَع والكنائس. متبقاش غير المساجد. غلط الله يقول: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد} من حكمة الله وإرادة الله أن تبقى هذه الأشياء موجودة!! الله لا يريد أن يطمسها ولا أن يدمرها. السنن الكونية لله. الله يلفت النظر إليها أيها الإخوة ومش هيك وبس عاد. في سفر أشعياء تصبح الدنيا كلها أمنة وسلاماً ومحبة والنِّمار يعني النمور آ النمار ترعى مع الأبقار والذئاب ترعى مع الأغنام والشياه. والصبية الصغار يلعبون بالأفعوانات بالحيات والثعابين. وهذا تماماً مذكور عن رسول الله من رواية أبي هريرة. الذئب والغنم والبقرة والدبة يقول أبو هريرة إنه الرسول قال هذا أو نُسب إلى أبو هريرة الله أعلم!!!. وهذا مع هذا والصبي يلعب بالحية يضع يده في جحر الحية فلا تؤذيه. يلقي الله الأمنة. هذا كلام نبوي ولا كلام أشعيا؟!! من العهد القديم يا إخواني. وصححه فلان وصححه الشيخ العلامة فلان!! يا جماعة يا جماعة هذه عقائد أخرى عقائد إسرائيلية تسللت إلى ديننا تحت اسم حديث وروى فلان وأخرج فلان وتناقض كتاب الله تبارك وتعالى)).

الرد:

أولاً:

قول الدكتور عدنان: ((لصالح من يُقال إن عيسى الذي جعل إله وابن إله لصالح من يؤكد أنه فعلاً لم يمت ميتة طبيعية وصعد به إلى السماء روحاً وبدناً)). انتهى. فالذي قال ذلك ابتداءً هو الله تعالى كما سبق ومر معنا وأكدته الأحاديث والأخبار المتواترة وسبق تأكيد هذا بما لا مزيد عليه فليراجعه من شاء.

وأما لصالح مَن؟ فهذا سؤال استنكاري واستنكاره هو المستنكر إذ من الطبيعي أن عودة عيسى لصالح إثبات صحة القرآن وصحة نبوة نبينا سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وصحة ما أخبر به من أن عيسى عليه السلام عبد الله ونبيه وكلمته ألقاها إلى مريم عليها السلام ولصالح بيان كذب اليهود فيما افتروه على عيسى عليه السلام وأمه وبيان كذب النصارى فيما ادعوه من ألوهية عيسى عليه السلام وكذب اليهود والنصارى معاً في ادعائهم صلب عيسى عليه السلام وكذبهم في تكذيبهم لنبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ولنبوته.

فهذا كله لن يتحقق إلا بنزول المسيح عيسى عليه السلام ليشهد بنفسه لنبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين بصدق نبوته وصدقه في كل ما أخبر به.

ليس هذا فحسب بل وبنزوله حاكماً بشريعة الإسلام مؤكداً على أن نبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين هو خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات ومؤكداً على ما أخبر به نبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين عن ربه تعالى من أنه {**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ** وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران:٨٥].

ليس هذا فحسب بل كما جاء في الأحاديث فإنه في أول نزوله سيصلي مؤتماً خلف إمام من هذه الأمة تأكيداً على هيمنة هذه الأمة على سائر الأمم وصلاة نبي الله تعالى عيسى عليه السلام وائتمامه برجل من أمة المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين هي كصلاة جميع الأنبياء وائتمامهم بنبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين في المسجد الأقصى في ليلة الإسراء تأكيداً على هيمنة هذه الأمة على سائر الأمم كما ذكرنا.

فنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان يحقق هذا كله ويحقق قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [الصف:٩].

ثانياً:

سبق أن طرحنا **سؤالاً ذهبياً** ينسف كل كلام الدكتور عدنان في مسألة نزول عيسى عليه السلام وقلنا:

(وإذا كان من المعلوم أن القرآن الكريم حرص على دحض انحرافات النصارى وتحريفاتهم لدين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ودحض كذبهم وما افتروه في معتقداتهم الباطلة ودينهم المحرف فنفى القرآن عقيدة ألوهية المسيح ونفى عقيدة التثليث ونفى عقيدة الصلب فالسؤال الذهبي والجوهري الآن للدكتور عدنان ومن يوافقه هو: طالما أنه لولا هذه العقيدة عقيدة رجعة أو عودة عيسى عليه السلام لما قامت المسيحية بحسب كلام ديورانت الذي نقله الدكتور عدنان مستشهداً به فلماذا القرآن لم ينف في المقابل هذه العقيدة عقيدة رجعة أو عودة عيسى لو كانت عقيدة باطلة وكاذبة نفياً صريحاً مباشراً مثلما نفى عقيدة ألوهية المسيح وصلبه؟!!!.

والذي لا مفر منه أن هذا يؤكد جلياً على أن هذا الجزء من اعتقاد النصارى بعودة المسيح في آخر الزمان وأنه الآن حي في السماء إلى حين عودته ورجعته هو اعتقاد صحيح موافق للحق والقرآن مقر لــه مثــل إقراره لاعتقادهم في المسيح أنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئــة الطــير فينفخ فيه فيصير طيراً. وأن الباطل والكذب فيما يعتقده النصارى هو فقط ما أنكره وبيّن كذبه القرآن من اعتقاد ألوهية المسيح وأنه قُتل وصُلب وأنه سيعود رباً وإلهاً ينصر عقيدة التثليث الباطلة). انتهى.

وسبق أن طرحنا سؤالاً آخر مكملاً للسؤال السابق فقلنا أيضاً:

(وأيضاً النصارى يزعون أن عيسى عليه السلام ارتفع إلى السماء بعدما صلب ومات فلماذا اكتفى القرآن بنفي القتل والصلب و لم ينف صعوده للسماء بل جاء بما يثبته في قوله تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء:١٥٨].؟!!.

ولو كان المقصود بالرفع هنا هو الرفع المعنوي أي رفع المكانة لا الرفع الحسي فهل من المعقول أن يأتي القرآن بلفظ موهم للرفع الحسي مع علمه بما يقول به النصارى من الرفع والصعود الحسي وفي نفس

الوقت أيضاً لا ينفي صراحة كذب اعتقاد النصارى في صعود عيسى عليه السلام للسماء مثلما نفى سائر ما كذَبوا فيه على سيدنا عيسى عليه السلام؟!!

والقرآن لَمَّا عَلِم أن النصارى يقولون أن عيسى كان يأتي بالخوارق كإحياء الموتى لأنه إله ورب أثبت وأقر بأن عيسى عليه السلام كان يأتي بهذه الخوارق لكنه عَقَّب بأنه كان يفعلها بإذن الله لا من ذاته لأنه بشر وليس إلهاً كما يعتقده النصارى. فلو كان عيسى عليه السلام لم يرتفع حقاً بروحه وجسده إلى السماء لكان الله تعالى قد بَيَّن أيضاً أن الرفع هو رفع مكانة لا رفع مكان وارتقاء إلى السماء كما يعتقده النصارى؟!!.). انتهى.

ثالثاً:

قول الدكتور عدنان: ((نعم في العقيدة النصرانية كل أحد لابد أن يقدم كشف حساب لعيسى كل أحد من محسن ومن مسيء فيثيب هذا ويعذب هذا أيها الإخوة لابد أن يقدم كشف حساب وبعد ذلك يترل في آخر الزمان بالعهد الألفي السعيد يترل عيسى ليدين الخلائق أيضاً ويطبع العالم كله بطابع عقيدة واحدة وملة واحدة)). انتهى.

فالمتأمل بين عقيدة النصارى وعقيدة المسلمين في رفع وعودة عيسى عليه السلام يتجلى له أن العقيدة النصرانية غير محبوكة وغير مقنعة خلافاً لعقيدة المسلمين ومنظورهم لرفع وعودة عيسى عليه السلام.

إذ لا يوجد حكمة حقيقية من نزول عيسى عليه السلام وعودته في آخر الزمان وفق معتقد النصارى فأولاً كونه الآن بجانب والده يثيب هذا ويعذب هذا فما الداعي إذاً لتروله آخر الزمان ليدين الخلائق علماً أن يوم الدينونة والحساب هو أصلاً يوم القيامة في الآخرة لا في الدنيا.

وثانياً ما المعنى لتروله آخر الزمان ليطبع العالم كله بطابع عقيدة واحدة وملة واحدة ولماذا يؤجل فعل ذلك لآخر الزمان؟ ما الحكمة في ذلك؟ ولماذا لم يفعله أصلاً في نزوله الأول طالما أن ذلك في قدرته؟

أما في عقيدة المسلمين ومنظورهم فالرفع جاء في إطار حمايته وإنجائه من كيد ومكر اليهود ومحاولتهم قتله. وعودته آخر الزمان الحكمة منها متجلية فيما سبق ذكره من العودة ليحق الحق ويبطل الباطل ويصلح ما

أفسده النصارى في دينه وينفي عن نفسه دعوى الألوهية التي نسبها له من يدعون أهم على دينه عليه السلام فضلاً عن تأكيد نبوة نبينا سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين الذي كان قد بشر النصارى به قبل رفعه كما قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف:٦]. فالعدالة تقتضي أن يظهر الله تعالى دينه الحق وهو ما سيكون عند عودة المسيح عليه السلام.

رابعاً:

وأما ما بيّنه الدكتور عدنان من تشابه إلى حد التوافق بين ما جاء في سفر أشعيا في العهد القديم وما جاء في الأحاديث وخاصة حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فقد سبق أن علقنا على مثل هذا الكلام في كلام الدكتور سابقاً وقلنا نصاً:

(إن توصيف الدكتور عدنان لعقيدة الإيمان بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان بأنها عقيدة يهودية نصرانية يذكر بمقولة النجاشي الشهيرة التي قالها بعد سماعه للقرآن الكريم (إن هذا الكلام والكلام الذي جاء به عيسى **ليخرجان من مشكاة واحدة**). كما في شعب الإيمان للبيهقي.

فمن الطبيعي أن يتفق اليهود والنصارى معنا في هذه العقيدة لأن عقيدتهم وعقيدتنا تنبع من مشكاة واحدة. ووجود هذه العقيدة عند اليهود والنصارى يزيدنا يقيناً وتصديقاً وإيماناً بصدق نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين لأن الله تعالى يقول في محكم تتريله: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا **مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ**). فوجود عقيدة نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان عند من سبقنا من أهل الكتاب موافقاً لما عندنا ما هو إلا لأن ما عندنا إنما جاء مصدقاً لما معهم مما لم يحرفوه). انتهى.

ثم ذكرنا بعد كلامنا آنف الذكر هذا أمثلة لما جاء من توافق بين ما جاء به القرآن وما هو في كتب اليهود والنصارى فليراجع في موضعه.

ويضاف إلى هذه الأمثلة التي ذكرناها سابقاً المثال الذي ضربه الدكتور عدنان تأكيداً على مقولة النجاشي آنفة الذكر: (إن هذا الكلام والكلام الذي جاء به عيسى ليخرجان من مشكاة واحدة).

وهذا ما قاله القرآن الكريم صراحة في قوله تعالى: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ **مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ** وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة:٤٦-٤٨]. فقد جاء القرآن مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل بنص الآية فمن الطبيعي إذاً أن يأتي حديث أبي هريرة الذي تلقاه عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين مصدقاً لسفر أشعيا لأنهما ينبعان من مشكاة واحدة مشكاة النبوة والوحي الإلهي.

خامساً:

قول الدكتور: ((وبعدين مش هيك وبس وشوفوا الشيء الغريب القرآن يقول: {ولذلك خلقهم} {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم} مسلمون مع يهود مع نصارى مع.. ملل إلى يوم الدين لن تتوحد هذه سنة الله في خلقه)). انتهى.

فقد سبق الرد عليه ومما قلناه في رد ذلك:

(وأما اعتراض الدكتور عدنان على ما جاء من أن الملة ستكون في عهد عيسى عليه السلام بعد نزوله في آخر الزمان ملة واحدة بقوله: ((والقرآن يكذب هذا تماماً {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} القرآن يقول سنن إلهية ستقوم الساعة والناس مختلفون. لن يأتي يوم. لم يمر يوم ولن يأتي يوم يتطابق الناس فيه كلهم على عقيدة واحدة لا على سبيل الاقتناع ولا على سبيل الإكراه والإلجاء أيها الإخوة أو حتى على سبيل آخر تتدخل فيه يد الغيب بأن تميت كل غير الموحدين وغير المسلمين كما تقول الأحاديث عن أبي هريرة وكما يقول سفر أشعياء)). انتهى. فهو اعتراض متهافت وسقطة عجيبة من الدكتور عدنان.

فهو يستدل على أنه لن يأتي يوم يتطابق فيه الناس كلهم على عقيدة واحدة بقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * **إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ** وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هـود:١١٨،١١٩]. مع أن الآية صريحة في عكس مراده فهي لم تقل الناس كلهم لا يزالون مختلفين بل استثنت من هذه القاعدة بعض من لن ينطبق عليهم قانون وسنة الاختلاف بقوله تعالى {**إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ**} أي أن هنـاك مـن سيرحمهم الله تعالى وينجيهم من الاختلاف وعليه فإن التسليم بأن الناس في عهد عيسى عليه السلام عنـد عودته في آخر الزمان سيكونون على ملة واحدة لا يختلفون عليها لا يتعارض مع الآية لأنهم سـيكونون حينها من هذه الفئة التي استثناها الله عز وجل وهي فئة {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} فهؤلاء إذاً هم ممن رحمهـم الله تعالى من الاختلاف وذلك بنزول عيسى عليه السلام موحداً لهم وهادياً ومجتثـاً لأسـباب الفرقـة والاختلاف في الدين لأن نزوله وعودته وحدها فضلاً عن قتله الدجال آية لا تملك لهـا الأعنـاق إلا أن تخضع وتؤمن وتسلم لرب العالمين وتدين بالإسلام دين الحق والصدق). انتهى.

ونضيف إلى ذلك هنا رداً آخر وهو أن الله تعالى قال في القرآن عن اليهود: {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْـهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ **لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ** إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ} [الأعراف:١٦٦،١٦٧].

وها نحن نرى بأم أعيننا أن اليهود في عصرنا الحاضر لا يوجد من يسومهم سوء العذاب بل هم من يسيمنا سوء العذاب دون حسيب. فبفهم الدكتور عدنان لآيات الله تبارك وتعالى فهذا الواقع يناقض كتـاب الله تعالى!!.

وليس الأمر كذلك قطعاً {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت:٤١،٤٢]. وما يمكن أن يقوله هنا الدكتور عدنان هو نفس ما يُرد به عليه فيما يزعمـه من تعارض بين واقع الحال في أيام عيسى عليه السلام عند عودته على ما أخبر به حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وأرضاه وبين آية {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}.

فكما أن الله تعالى سنته تأذنت على بني إسرائيل أن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة ولا يمنع ذلك من وجود بعض الفترات يعلون فيها علواً كبيراً إلى حين مجيء وعده فيبعث علـيهم مـن

يسومهم سوء العذاب فكذلك سنة الله تأذنت في بني آدم أهم لا يزالون مختلفين إلى يوم القيامة ولا يمنع هذا من وجود بعض الفترات التي لا يكونون فيها مختلفين.

على أننا نؤكد على أن الله تعالى صرح في آية الاختلاف بالاستثناء في قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} كما سبق ذكره فصدق القائل في محكم تنزيله: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد:٢٤].

سادساً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((لأن الإنسان مختار كائن مختار **والله لا يشاء أن يجبر الناس** على إيه على عقيدة على الرغم منهم الله لا يريد هذا لا يريد هذا **فالدنيا فيها مؤمن فيها كافر**)). انتهى.

فهذا يرده قوله تعالى: {**وَقَاتِلُوهُمْ** حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ **وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} [البقرة:١٩٣].

ولنا أن نتساءل لماذا عندما جاء الهدهد إلى سيدنا سليمان يخبره عن سبأ وأنه وجد امرأة تملكهم وأنها وقومها يسجدون للشمس من دون الله لم يتركهم سليمان عليه السلام على حالهم بل أرسل إليهم بكتابه والذي فيه: { إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ **وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**} [النمل:٣٠،٣١].

بل لما أرسلوا له بهدية كان منه ما أخبر به القرآن في قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ **فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ** * قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا **قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**} [النمل:٣٦-٣٨]. فلم يقبل منهم إلا أن يأتوه مسلمين وإلا فمصيرهم الذلة والصغار وجنود لا قبل لهم بها.

ثم ألم يقرأ الدكتور عدنان في القرآن قوله تعالى: {**قَاتِلُوا** الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ **وَهُمْ صَاغِرُونَ**} [التوبة:٢٩]؟!.

فهذا في الحقيقة ما سيفعله عيسى عليه السلام عند عودته أنه سيقاتل الذين لا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب.

وأما عدم قبوله الجزية عند عودته كما في الأحاديث خلافاً للآية فهذا كما أسقط سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه سهم المؤلفة قلوبهم خلافاً للآية التي فيها سهم المؤلفة قلوبهم ورأى أن هذا السهم ما عاد واجباً لأن الله قد أعز الإسلام وأهله فلم يعودوا بحاجة لأن يتألفوا قلوب أحد بسهم المؤلفة قلوبهم.

فلا مانع من أن يجتهد عيسى عليه السلام فيرى أن الجزية إنما كانت تقبل من أهل الكتاب في غير وجوده وأما في وجوده بعودته آخر الزمان وإتيانه بالتوراة الحقيقية والإنجيل الحقيقي غير المحرفين فلا معنى لبقاء غير دين الإسلام وقبول الجزية ممن يزعمون إيمانهم بالتوراة والإنجيل الحقيقيين.

هذا من جهة ومن جهة أخرى يقول الكشميري في كتابه "فيض الباري":
(قوله: (ويضع الحرب) هذه نسخة مرجوحة والراجحة ما في الهامش: (ويضع الجزية). وقد عمل ببعضه نبينا صلى الله عليه وسلم في زمنه أيضاً وهو قوله عند وفاته: (أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب). فلم يقبل منهم الجزية في العرب. وإذا نزل عيسى عليه السلام لا يقبلها منهم أينما كانوا). انتهى.

وقد علق على ذلك المحقق في الهامش فقال:
(يقول العبد الضعيف[المحقق: محمد بدر عالم الميرتهي أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بداهيل]: وهذا خطر ببالي الآن: أن عيسى عليه الصلاة والسلام في أهل الكتاب كنبينا صلى الله عليه وسلم في العرب.

فلما لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم الجزية عن العرب لمكانه فيهم. كذلك لا يقبلها عيسى عليه الصلاة والسلام أيضا ممن يكون فيهم مكان النبي صلى الله عليه وسلم من العرب.

أعني: أن الكفر يعظم عند الله من قوم يترل فيهم نبي الله ولذا لم يكن في العرب إلا الإسلام أو السيف حتى أنهم لا يسترقون أيضاً.

فهذا هو حال المسيح عليه الصلاة والسلام في أهل الكتاب فإنه إذا كان نزل فيهم فلم يقبلوه وكفروا به لا يقبل منهم الجزية بعد نزوله ولا يبقى فيهم إلا الإسلام أو السيف. والله تعالى أعلم بالصواب). انتهى.

وهو كلام نفيس ينبئك عن رسوخ علمائنا ومشايخنا في العلم وينبئك عن الفرق بين العلم الصحيح الرصين وبين التهويل والتهويش والتهريج والتهكم والجمل الإنشائية والكلام المزخرف المعسول {**كَسَرَابٍ** بِقِيعَةٍ **يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً** حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا}.

وصدق القائل: {قُلْ **هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ** أَمْ **هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ** أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ** كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} [الرعد:١٦،١٧].

سابعاً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((ومش هيك وبس. في أحاديث أبي هريرة وغير أبي هريرة: ويحطم يكسر يدمرالبِيَع والكنائس. متبقاش غير المساجد. غلط الله يقول: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد} من حكمة الله وإرادة الله أن تبقى هذه الأشياء موجودة!! الله لا يريد أن يطمسها ولا أن يدمرها من حكمة الله وإرادة الله أن تبقى هذه الأشياء موجودة!! الله لا يريد أن يطمسها ولا أن يدمرها. السنن الكونية لله. الله يلفت النظر إليها أيها الإخوة)). انتهى.

فهذا أيضاً عجيب غريب وكلام لا معنى له ولا محل له من الإعراب فقد هدم النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين في عهده مسجد الضرار الذي نزل فيه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} [التوبة:١٠٧،١٠٨].

فإذا كان هذا حال نبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين مع هذا المسجد ومع أهل ملته في عهده وجب أن يكون هذا حال عيسى عليه السلام مع كنائس وبيع وصوامع عصره وأهل ملته من بني إسرائيل ومن يزعم اتباع ملته من النصارى.

فمن لا يؤمن به بعد عودته ونزوله من السماء وقتله الدجال ولا يزال يعبده في كنيسة فهي قطعاً كنيسة ضرار وهم بهذا يكونون قد اتخذوا كنائسهم ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين.

ومن لا يؤمن به من بني إسرائيل بعدما يعاين بنفسه كذب أحباره ورهبانه من تكذيبهم لعيسى عليه السلام وطاعتهم للدجال مدعي الألوهية الذي يقتله عيسى عليه السلام ولا يزال يزعم أنه يعبد الله تعالى في صومعة فهي قطعاً صومعة ضرار وهم بهذا يكونون قد اتخذوا صوامعهم ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين.

مع التذكير بأن أهل الكتاب جميعاً سيؤمنون بعيسى عليه السلام بعد عودته ونزوله وقتله الدجال على ما ذكرناه في قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ}. وستصبح الملل كلها ملة واحدة هي ملة الإسلام على ما في حديث أبي هريرة المشار إليه من قبل الدكتور عدنان فمن الطبيعي إذاً ألا يبقى صليب إلا كسر ولا صومعة ولا بيعة إلا وهدمت.

وأما قبل قتل الدجال فمن الطبيعي أن غير المسلمين حينها سيكونون من أعوان وأتباع الدجال مدعي الألوهية فسيكونون هم وصوامعهم وبيعهم وممتلكاتهم كلها كُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَه فمن الطبيعي قتالهم وتهديم صوامعهم وبيعهم وممتلكاتهم.

وهذا تماماً كما حدث في حصار اليهود في عهد النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وقطع وتحريق نخيلهم.

قال ابن كثير في تفسيره:
(وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} اللِّين: نوع من التمر وهو جيد. قال: أبو عبيدة: وهو ما خالف العجوة والبَرنيّ من التمر. وقال كثيرون من

المفسرين: اللِّينة: ألوان التمر سوى العجوة. قال: ابن جرير: هو جميع النخل. ونقله عن مجاهد: وهو البُوَيرة أيضا.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم. فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا: فبعث بنو النضير يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة. أي: ما قطعتم وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذن الله ومشيئته وقدرته ورضاه وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم وإرغام لأنوفهم.

وقال مجاهد: نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل وقالوا: إنما هي مغانم المسلمين. فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم وإنما قطعه وتركه بإذنه.

وقد روي نحو هذا مرفوعاً فقال النسائي: أخبرنا الحسن بن محمد عن عفان حدثنا حفص بن غياث حدثنا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} قال: يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل. فحاك في صدورهم فقال المسلمون: قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً فلنسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ}). انتهى.

ثامناً:

قول الدكتور عدنان: ((يقول أبو هريرة إنه الرسول قال هذا أو نُسب إلى أبو هريرة الله أعلم!!!)). انتهى. فهي كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ولعكرته.

فقد كان أولى به وهو يرى كذب نسبة الحديث إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أن يبرئ الصحابي الجليل أبا هريرة رضي الله تعالى عنه من تهمة اختلاق هذا الكذب لا أن يتردد في ذلك بقوله: ((أو نُسب إلى أبو هريرة الله أعلم!!!)). انتهى.

فكأنه يقول الكذب على رسولنا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين من أبي هريرة أو نُسب إلى أبي هريرة الله أعلم!!!. ولا تعليق.

وقد سبق أن نقلنا ما ذكره الكاتب محمد عيسى داود في كتابه المفاجأة في حق الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله تعالى عنه من قوله:

(ولا يجوز لنا أن نغفل ما خُص به أبو هريرة من علم وهو المسمى (وعاء العلم) وهو الذي حمل علمه ثمانمائة رجل كما يقول الإمام البخاري ما بين صاحب وتابع. والذي منحه الوسام الكبير ونوط الشرف بوصفه وقوله: (أبو هريرة وعاء العلم) هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فيما رواه الحاكم في المستدرك.

وفي صحيح البخاري يقول أبو هريرة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً فأنساه. قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ابسط رداءك). فبسطت فغرف بيده فيه ثم قال: (ضمه). فضممته فما نسيت حديثاً.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما له: يا أبا هريرة كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه. صححه الذهبي في المستدرك.

وكذلك صحح الذهبي على شرط مسلم ورواه صاحب المستدرك أنه سُئل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه عن حديث أبي هريرة فقال: والله ما نشك أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم نسمع وعلم ما نعلم. إنا كنا قوماً أغنياء لنا بيوت وأهلون وكنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار ثم نرجع. وكان هو مسكيناً لا مال له ولا أهل وإنما كان يده مع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور معه حيث دار فما نشك أنه قد علم ما لم نعلم وسمع ما لم نسمع.

...

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث

أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه.

فرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فضلاً عن أنه أول من نبه إلى تسمية كلامه بالحديث ليُصطلح على هذا نبه إلى خصوصية في أبي هريرة وهي طلبه الحديث وحرصه عليه.

وقد قال أبو هريرة عن نفسه: كان إخواني من الأنصار يشتغلون بإصلاح حوائطهم أي حدائقهم ومزارعهم في بعض الأوقات وإخواني من المهاجرين يشتغلون بالتسبب في الأسواق وأنا التزمت النبي صلى الله عليه وسلم لملء بطني فوعيت ما لم يعوا). انتهى.

** مع ملاحظة أنه قد جاءت الرواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أيضاً بنفس المعنى وأن الملل تصبح ملة واحدة في زمن نزول عيسى عليه السلام وسائر ما استنكره الدكتور عدنان مما جاء في رواية أبي هريرة **فهو إذاً رضي الله تعالى عنه وأرضاه لم ينفرد بهذا القول**.

ففي تاريخ دمشق لابن عساكر:
(أخبرنا أبو الحسن بركات بن عبد العزيز الأنماطي وأبو محمد عبد الكريم بن حمزة قالا حدثنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت أخبرني أبو الحسن بن رزقوية أنبأنا أبو بكر بن سندي حدثنا الحسن بن علي القطان حدثنا إسماعيل بن عيسى أنبأنا إسحاق بن بشر أنبأنا عثمان بن عطاء عن أبيه **عن ابن عباس** أنه قال:

أول من يتبعه [أي الدجال] سبعون ألفاً من اليهود عليهم السيجان وهي الأكسية من صوف أخضر يعني به الطيالسة ومعه سحرة اليهود ويعملون العجائب ويرونها الناس فيضلونهم بها. وهو أعور ممسوح العين اليمنى يسلطه الله على رجل من هذه الأمة فيقتله ثم يضربه فيحييه ثم لا يصل إلى قتله ولا يسلط على غيره.

ويكون آية خروجه تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتهاوناً بالدماء وضيعوا الحكم وأكلوا الربا وشيدوا البناء وشربوا الخمور واتخذوا القِيان ولبسوا الحرير وأظهروا بِزَّة آل فرعون ونقضوا العهد وتفقهوا لغير الدين وزينوا المساجد وخربوا القلوب وقطعوا الأرحام وكثرت القُرَّاء وقَلَّت الفقهاء وعُطلت الحدود

وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال فتكافى الرجال بالرجال والنساء بالنساء: بعث الله عليهم الدجال فسُلط عليهم حتى ينتقم منهم وينحاز المؤمنون إلى بيت المقدس.

قال ابن عباس: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعند ذلك يترل أخي عيسى بن مريم مـــن الـــسماء على جبل أفيق إماماً هادياً وحكماً عادلاً عليه برنس له مربوع الخلق أصلب سبط الشعر بيده حربة يقتل الدجال.

فإذا قتل الدجال **تضع الحرب أوزارها وكان السلم فيلقى الرجل الأسد فلا يهيجه ويأخذ الحية فـــلا تضره وتنبت الأرض كنباتها على عهد آدم ويؤمن به أهل الأرض ويكون الناس أهل ملة واحـــدة**). انتهى.

قال الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى بعد ذكر هذا الحديث في كتابه "إقامة البرهان": (هذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد **فالواقع يؤيده ويقويه** إذ أغلب ما أشار إليه الحـــديث أو كلـــه موجود حاصل والفساد في ازدياد نسأل الله العفو والعافية). انتهى.

تاسعاً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((وصححه فلان وصححه الشيخ العلامة فلان!! يا جماعة يا جماعة هذه عقائد أخرى عقائد إسرائيلية تسللت إلى ديننا تحت اسم حديث وروى فلان وأخرج فلان وتناقض كتـــاب الله تبارك وتعالى)). انتهى.

فلا ينفك الدكتور عدنان يهزأ ويسخر من علماء الأمة الذين صححوا أحاديث عودة عيسى عليه السلام رغم أن منهم الغماري الذي كرننا ونكرر مراراً أن الدكتور عدنان نفسه قال عنه: ((**العلامـــة المحـــدث الفقيه الأصولي المفسر الجليل عبد الله بن الصديق الغماري قدس الله سره ورضوان الله عليه!!**)) ثم هو بقدرة قادر يصحح أحاديث تسللت إلى ديننا تحت اسم حديث وروى فلان وأخرج فلان وتناقض كتاب الله تعالى!!!.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد سبق رد كلامه هذا سابقاً بما لا مزيد عليه وبينا تهافت كل ما ادعـــاه من تعارض مع كتاب الله تعالى.

بل أكدنا على أن كلامه هذا في ادعاء تضافر تصحيح علماء الأمة عبر القرون الماضية لأحاديث ما هي في الحقيقة إلا مناقضة لكتاب الله تعالى هو الكلام المناقض لكتاب الله تعالى مناقضة صارخة ومما قلناه ونكرره للذكرى فإن الذكرى تنفع المؤمنين:

(قول الدكتور عدنان في حق أحاديث عودة عيسى عليه السلام: ((والمكذبة أيضاً لـــصريح كـــلام رب العالمين أيها الإخوة!!)). انتهى. يذكرني بنداء لوط عليه السلام لقومه بقوله كما أخبر عنه القرآن: {أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ} [هود:٧٨]. إذ كيف يُعقل أن يأمرنا الله عز وجل في محكم تنزيله بقوله: {فَاسْـــأَلُوا **أَهْلَ الذِّكْرِ** إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل:٤٣]. وينبهنا في محكم تنزيله أيضاً إلى قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ **لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَـــسْتَنْبِطُونَهُ** مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء:٨٣]. في حين أنه تعالى لم يُوجد لنا أصلاً طيلة ما يزيد على العشرة قرون أهل الذكر وأهل الاستنباط فالواقع أن كل هؤلاء طيلـــة هـــذه القرون عموا عن استجلاء حقيقة تكذيب اعتقاد عودة المسيح عليه السلام لصريح كلام رب العالمين فأين يا رب هؤلاء الذين كان ينبغي أن نسألهم ونرد الأمر إليهم ليستنبطوه وها هم علماء الأمة قاطبة على هذا المعتقد الذي بحسب كلام الدكتور عدنان معتقد مكذب لصريح كلام رب العالمين؟!!!). انتهى.

٢٥/ قال الدكتور في الدقيقة [١:١٧,١٦ - ١:١٨,٥٨].:

((لو كان لنبي واحد من النبيين والمرسلين أن يعود إلى الدنيا ولو كان لهذا العائد إلى الدنيا أيها الإخوة في آخر مدها وزمالها قبل أن يُطوى بساطها أن يوحد الملل على ملة واحدة ويجعل الدين ديناً واحداً لكان الأحرى والأكمل والأخلق والأجدر هو صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً لماذا؟ وحده القائل فضلت على النبيين بخمس أنه بُعث للناس كافة {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} الوحيد الرسول العالمي ليش العالمي لا يبعث ولا يجمع الناس على دين واحد ليش؟! لأنه هذا مصحش عنه ولا الله قال به لكن ليش رسول مش عالمي عليه الصلاة والسلام على عيسى رسول مش عالمي رسول لبني إسرائيل ومضروب مثلاً لهم ومرسل فيهم هو الذي يبعث يوم القيا.. قبل يوم القيامة أيها الإخوة ويوحد الملل والأديان؟ تعرفون

يخدم ماذا هذا؟ يخدم شبهة الإلهية فيه. يقولك ما هو إله ابن إله نور ابن نور. الرسول عليه السلام لما ناقش وفد نجران في السنة التاسعة نصارى نجران إيش قال لهم؟ قال لهم ألستم تقرون أن الولد يشبه أباه قالوا بلى يا محمد قال: فإن ربنا حي لا يموت وإن عيسى أتى عليه الفناء. طب ما هو مات عيسى. الله لا يموت {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا} الآية)).

الرد:

أولاً:

قول الدكتور عدنان: ((لو كان لنبي واحد من النبيين والمرسلين أن يعود إلى الدنيا ولو كان لهذا العائد إلى الدنيا أيها الإخوة في آخر مدها وزمانها قبل أن يُطوى بساطها أن يوحد الملل على ملة واحدة ويجعل الدين ديناً واحداً لكان الأحرى والأكمل والأخلق والأجدر هو صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً)). انتهى. يذكرني بقول الله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ** نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} [الزخرف:٣١،٣٢].

فالله تعالى هو الذي اختار الرفع لعيسى عليه السلام وعودته في آخر الزمان {**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الجمعة:٤]. وهو القائل عن نفسه سبحانه وتعالى: {**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ** وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء:٢٣].

هذا من جهة ومن جهة أخرى فَنَعم نبينا هو أفضل المرسلين وهو سيد ولد آدم كما أخبر عن نفسه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وكما أن الله تعالى رفع عيسى إليه فقد رفع نبينا إليه أيضاً ليلة الإسراء والمعراج حتى كان قاب قوسين أو أدنى.

كما أن الإبقاء على عيسى عليه السلام حياً في السماء إلى حين إنزاله في آخر الزمان فيه بيان فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين حيث أبقى الله تعالى نبياً آخر مخصوصاً ليترل في آخر الزمان ليشهد لنبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع

الأنبياء والمرسلين بصدقه وصدق رسالته بل وليحكم بشريعته ليظهره على الدين كله وهذا غاية الفضل لنبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

ثانياً:

وقول الدكتور: ((لكان الأحرى والأكمل والأخلق والأجدر هو صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً لماذا؟ وحده القائل فضلت على النبيين بخمس أنه بُعث للناس كافة {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} الوحيد الرسول العالمي ليش العالمي لا يبعث ولا يجمع الناس على دين واحد ليش؟! لأنه هذا مصحش عنه ولا الله قال به)). انتهى. فأما أنه ((مصحش عنه ولا الله قال به)) فقد سبق رده تفصيلاً فيما مضى.

وجواب سؤاله: ((ليش العالمي لا يبعث ولا يجمع الناس على دين واحد ليش؟!)) إضافة إلى ما قلناه آنفاً من قولنا:

(فالله تعالى هو الذي اختار الرفع لعيسى عليه السلام وعودته في آخر الزمان {**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ** وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الجمعة:٤]. وهو القائل عن نفسه سبحانه وتعالى: {**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ** وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء:٢٣].). انتهى.

جوابه ببساطة هو **أن النبي نفسه** صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين النبي العالمي على حد تعبير الدكتور عدنان **قد خَيَّره الله تعالى بين البقاء إلا آخر الزمان وبين لقائه** فاختار صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين لقاء ربه عز وجل.

قال الزرقاني (المتوفى عام ١١٢٢هـ) في كتابه "شرح الزرقاني على المواهب اللدنية":
(وقالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول: (إنه لم يُقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا **أو يخيّر**). فلمّا اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه. فلمّا أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: (اللهم في الرفيق الأعلى). فقلت: إذاً لا يختارنا. فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح.

وفي رواية: إنها أصغت إليه قبل أن يموت وهو مستند إلى ظهره يقول: (اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى). رواه البخاري من طريق الزهري عن عروة.

وما فهمته عائشة من قوله عليه الصلاة والسلام: (اللهم في الرفيق الأعلى) أنه خُيِّرَ نظير فهم أبيها رضي الله عنه من قوله عليه الصلاة والسلام: (إن عبدًا **خَيَّرَه الله ما بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده**) أنَّ العبد المراد هو النبي صلى الله عليه وسلم كما قدَّمته. ذكره الحافظ ابن حجر.

وعند أحمد من طريق المطّلب بن عبد الله عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: (ما من نبي يقبض إلا يرى الثواب **ثم يخيِّر**).

ولأحمد أيضاً من حديث أبي مويهة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة **فخُيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربي** والجنة **فاخترت لقاء ربي** والجنة).

وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس رفعه: (**خُيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل**).

وفي رواية أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عند النسائي وصحَّحه ابن حبان فقال: (أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل).

وظاهره أنَّ الرفيق: المكان الذي تحصل فيه المرافقة مع المذكورين. وقال ابن الأثير في "النهاية": الرفيق جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين. وقيل: المراد به الله تعالى. يقال: الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة. انتهى. وقيل: المراد به: حظيرة القدس). انتهى.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الأمر وهذا الفضل وهذا الشرف لم يبعد كثيراً عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

ففي مسند الإمام أحمد:
(حدثنا حجاج وأبو نعيم قالا حدثنا فِطرْ عن القاسم بن أبي بَزَّة عن أبي الطُّفَيل قال حجاج: سمعت علياً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله عز وجل **رجلاً منا** يملؤها عدلاً كما مُلئت جَوراً)). انتهى.

وفي سنن أبي داود:
(حدَّثنا مُسدَّدٌ أن عُمرَ بن عُبيدٍ حدَّثهم. وحدَثنا محمدُ بنُ العلاء حدَّثنا أبو بكرٍ - يعني ابن عياش -. وحدَّثنا مُسدَّدٌ حدَّثنا يحيى عن سُفيان. وحدَّثنا أحمد بن إبراهيمَ حدَّثنا عُبيدُ الله بن موسى أخبرنا زائدة. وحدَّثنا أحمد بن إبراهيمَ حدَّثني عُبيد الله عن فطر -المعنى واحد- كلُّهم عن عاصم عن زِرٍّ عن عبدِ الله عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلم قال: (لو لم يبقَ من الدُّنيا إلا يومٌ - قال زائدة في حديثه - لطوَّل الله ذلك اليومَ - ثم اتفقوا - حتى يبعثَ اللهُ فيه **رجُلاً مني أو من أهلِ بيتي** يواطئُ اسمُه اسمي واسمُ أبيه اسمَ أبي - زاد في حديث فطر - يَملأ الأرضَ قِسطاً وعَدلاً كما مُلِئَت ظلماً وجَوْراً).

وقال في حديث سفيان: (لا تذهب - أو لا تنقضي - الدُنيا حتى يملك العربَ **رجلٌ من أهل بيتي** يواطئُ اسمُه اسمي). انتهى.

وفي سنن أبي داود أيضاً:
(حدَّثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ حدَّثنا الفضل بن دكين حدَّثنا فطرٌ عن القاسِم بن أبي بزَّة عن أبي الطُّفيل عن علي عن النبي صلَّى الله عليه وسلم قال: (لو لم يبق من الدَّهر إلا يومٌ لبعث الله عَزَّ وَجَلَّ **رجُلاً من أهل بيتي** يملؤها عدلاً كما مُلِئَت جَوْراً).

حدَّثنا أحمد بن إبراهيم حدَّثنا عبد الله بن جعفرٍ الرَّقيُّ حدَّثنا أبو المليح الحسن بن عمر عن زياد بن بيان عن علي بن نُفيلٍ عن سعيدِ بن المسيِّب عن أُمِّ سلمة قالت: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم يقول:

(**المهديُّ من عِترتي من ولَد فاطمة**). قال عبدُ الله بن جعفر: وسمعتُ أبا المليح يُثني على عليِّ بن نُفيل ويذكر منه صلاحاً.

حدَّثنا سهلُ بنُ تمام بنِ بَزيع حدَّثنا عِمرانُ القطَانُ عن قتادةَ عن أبي نَضرَةَ عن أبي سعيد الخدريِّ قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم: **المهديُّ منِّي** أجْلَى الجَبهَةِ أَقنَى الأنفِ يملأُ الأرضَ قِسطاً وعَدلاً كما مُلِئَت جَوْراً وظُلماً يملِكُ سبعَ سنين)). انتهى.

وفي سنن ابن ماجه:
(حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو داود (ح) وحدثنا محمد بن عبد الملك الواسطي حدثنا يزيد بن هارون (ح) وحدثنا علي بن المنذر حدثنا إسحاق بن منصور. كلهم عن قيس عن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوله الله عز وجل حتى يملك **رجل من أهل بيتي** يملك جبل الديلم والقسطنطينية). انتهى.

وفي مسند البزار:
(حَدَّثنا علي بن المنذر قَال: حَدَّثنا إسحاق بن منصور قَال: حَدَّثنا قيس عَن أبي حَصين عَن أبي صالح عَن أبي هُرَيرة قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم: (لا تذهب أيام الدنيا حتى يملك **رجل مني** ولو لم يبق من الدنيا إلاَّ يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يفتح قسطنطينية والديلم). انتهى.

وهذا هو المهدي عليه سلام الله تعالى سليل بيت النبوة من نسل فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها وأرضاها وهو الذي سيصلي عيسى عليه السلام مأموماً خلفه في أول صلاة يترل فيها من السماء تكرمة لهذه الأمة ولنبيها عليه أفضل الصلاة وأشرف وأزكى وأتم التسليم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

وحديث صلاة عيسى عليه السلام خلف المهدي صححه من قال فيه الدكتور عدنان: ((**العلامة المحدث الفقيه الأصولي المفسر الجليل عبد الله بن الصديق الغماري قدس الله سره ورضوان الله عليه**)). انتهى.

ففي كتاب "عقيدة أهل الإسلام" للغماري:
(عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة). قال صلى الله عليه وآله وسلم: (فيترل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وآله وسلم فيقولُ أميرُهم: تعالى صلِّ لنا. فيقولُ صلى الله عليه وآله وسلم: **لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمةَ الله هذه الأمة**). رواه مسلم وابن حبان في صحيحيهما. وله طرق عند أبي يعلى وأبي نعيم في "أخبار المهدي" وأبي عمرو الداني في سننه.

ووقع في رواية الأخيرين التصريح بأن أمير الطائفة هو المهدي عليه السلام. **وحديث المهدي متواتر أيضاً** كما صرح به غير واحد.

...

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى يترل عيسى ابن مريم عليه السلام عند طلوع الفجر ببيت المقدس. **يترل على المهدي** فيُقال: تقدم يا نبي الله فصلِّ فيقول: **هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض**). رواه أبو عمرو الداني وهو حديث صحيح). انتهى باختصار.

ونختم في هذه الجزئية بكلام نفيس للسيوطي في "الحاوي للفتاوي" قال فيه:
(خاتمة: اشتهر على ألسنة الناس أن جبريل لا يترل إلى الأرض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وهـذا شيء لا أصل له.

ومن الدليل على بطلانه ما أخرجه الطبراني في "الكبير": عن ميمونة بنت سعد قالت: قلت: يا رسول الله هل يرقد الجنب؟ قال: (ما أحب أن يرقد حتى يتوضأ فإني أخاف أن يُتوفى **فلا يحضره جبريل**).

فهذا الحديث يدل على أن جبريل يترل إلى الأرض ويحضر موتة كل مؤمن حضره المـوت وهـو علـى طهارة.

ثم وقفت على حديث آخر فيه نزول جبريل إلى الأرض وهو ما أخرجه نعيم بن حماد في "كتاب الفتن" والطبراني من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الدجال قال: (فيمر بمكة فإذا هو بِخَلْق عظيم فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا ميكائيل بعثني الله لأمنعه من حرمه. ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت؟ فيقول: **أنا جبريل بعثني الله لأمنعه من حرمه**).

ثم رأيت في قوله تعالى: {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ **وَالرُّوحُ** فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} [القدر:٤]- الآية - عن الضحاك أن **الروح هنا جبريل** وأنه يتزل هو والملائكة في ليلة القدر ويسلمون على المسلمين وذلك في كل سنة.

وقد زعم زاعم أن عيسى ابن مريم إذا نزل لا يُوحَى إليه وحياً حقيقياً بل وحي إلهام. وهذا القول ساقط مهمل لأمرين:

أحدهما: منابذته للحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم من صحيح مسلم وغيره وقد رواه الحاكم في المستدرك ولفظه: (فبيناه كذلك **إذ أوحى الله إليه**: يا عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يَدَ لأحد بقتالهم. حَوِّلْ عبادي إلى الطور). وقال: صحيح على شرط الشيخين. وذلك صريح في أنه وحي حقيقي لا وحي إلهام.

والثاني: أن ما توهمه هذا الزاعم من تعذر الوحي الحقيقي فاسد لأن عيسى نبي فأي مانع من نزول الوحي إليه؟!. فإن تخيل في نفسه أن عيسى قد ذهب وصف النبوة عنه وانسلخ منه فهذا قول يقارب الكفر لأن النبي لا يذهب عنه وصف النبوة أبداً ولا بعد موته.

وإن تخيل اختصاص الوحي للنبي بزمن دون زمن فهو [قول] لا دليل عليه ويبطله ثبوت الدليل على خلافه. وقد أَلَمَّ السبكي بشيء مما ذكرناه فقال في تصنيف له: ما من نبي إلا أخذ الله عليه الميثاق أنه إنْ بُعث محمد في زمانه ليؤمن به ولينصرنه ويوصي أمته بذلك.

وفي ذلك من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى. وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم وتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته. ويكون قوله: بعثت إلى الناس كافة لا يختص به الناس من

زمانه إلى يوم القيامة بل يتناول مَن قَبلهم أيضاً - إلى أن قال: فالنبي صلى الله عليه وسلم هو نبي الأنبيـــاء ولو اتفق مجيئه في زمن آدمَ ونوحٍ وإبراهيمَ وموسى وعيسى وَجَبَ عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته. وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم.

فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه. فلو وُجد في عـــصرهم لزمهم اتباعه بلا شك.

ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس أن يأتيَ واحداً من هذه الأمة.

نعم هو واحد من هذه الأمة بما قلناه أن اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما يَحكمُ بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة. وكل ما فيه من أمر أو نهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الأمة وهـــو نـــبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء.

وكذلك لو بُعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه أو في زمان موسى وإبراهيمَ ونـــوحٍ وآدمَ - كـــانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول إلى جميعهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم. هذا كلام السبكي [بحروفه].

فَعُرف بذلك أنه لا تنافي بين كونه ينزل متبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم وبين كونه باقياً على نبوته ويأتيه جبريل بما شاء الله من الوحي والله أعلم.

قال زاعم: الوحي في حديث مسلم مؤول بوحي الإلهام. قلت: قال أهل الأصول: التأويل صرف اللفـــظ عن ظاهره لدليل فإن لم يكن لدليل فلعب لا تأويل. ولا دليل على هذا فهو لعب بالحديث.

قال زاعم: الدليل عليه حديث: (لا وحي بعدي). قلنا: هذا الحديث بهذا اللفظ باطل.

قال زاعم: الدليل عليه حديث: (**لا نبيَّ بعدي**). قلنا: يا مسكين لا دلالة في هذا الحديث على ما ذكرتَ بوجه من الوجوه **لأن المراد لا يحدث بعده بعث نبي بشرع ينسخ شرعه** كما فسره بذلك العلماء.

ثم يقال لهذا الزاعم: هل أنت آخذ بظاهر الحديث من غير حمل على المعنى المذكور؟ فيلزمك عليه أحد أمرين: إما نفي نزول عيسى أو نفي النبوة عنه وكلاهما كفر.

ثم بعد مدة من كتابتي لهذا الجواب وقفت على سؤال رُفع إلى شيخ الإسلام ابن حجر صورته:

ما قولكم في قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ينزل عيسى ابن مريم في آخر الزمان حَكَماً). فهل ينزل عيسى عليه السلام حافظا لكتاب الله القرآن العظيم ولسنة نبينا صلى الله عليه وسلم أو يتلقى الكتاب والسنة عن علماء ذلك الزمان ويجتهد فيها؟ وما الحكم في ذلك؟

فأجاب بما نصه ومن خطه نقلت: لم يُنقل لنا في ذلك شيء صريح. والذي يليق بمقام عيسى عليه الصلاة والسلام أنه يتلقى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحكمُ في أمته بما تلقاه عنه لأنه في الحقيقة خليفة عنه والله أعلم.

(**تنبيه**): ويشبه هذا ما بلغني عن بعض المنكرين أنه أنكر ما ورد من أن عيسى عليه السلام إذا نزل يصلي خلف المهدي صلاة الصبح وأنه صنف في إنكار ذلك كتاباً وقال في توجيه ذلك: إن النبي صلى الله عليه وسلم أجلُّ مَقاماً من أن يصليَ خلف غير نبي.

وهذا من أعجب العجب فإن صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث صحيحة بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق الذي لا يُخلَف خبره.

من ذلك ما رواه أحمد في مسنده والحاكم في "المستدرك" وصححه عن عثمان بن أبي العاص: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول. . . فذكر الحديث وفيه: (فينزل عيسى عند صلاة الفجر فيقولُ له أمير الناس تقدم يا روح الله فصلِّ بنا فيقول: **إنكم معشرَ هذه الأمة أمراءُ بعضكم على بعض. تقدمْ أنت فصلِّ بنا** فيتقدمُ فيصلي بهم. فإذا انصرف أخذ عيسى حربته نحو الدجال).

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم **وإمامكم منكم**).

وفي "مسند أحمد" عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يخرج الدجال) . . . فذكر الحديث إلى أن قال: (فإذا هُم بعيسى فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا روح الله فيقول: **ليتقدم إمامكم**) ... الحديث.

وفي "مسند أبي يعلى" عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم فيقول إمامهم: تقدم، فيقول: **أنت أحق بعضكم أمراء على بعض أكرمَ الله به هذه الأمة**).

وروى أبو داود وابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي قال: (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثنا عن الدجال) – فذكر الحديث إلى أن قال: (وإمامهم رجل صالح. فبينما إمامهم قد تقدم يصلي الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام يمشي القهقرى ليتقدم عيسى يصلي فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: **تقدم فصل فإنها لك أقيمت. فيصلي بهم إمامهم** فإذا انصرف قال عيسى: أقيموا الباب فَيُفتحُ ووراءَه الدجال).

وروى مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة). قال: (فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم: تعال صل بنا فيقول: **لا. إن بعضكم على بعض أمين تكرمةَ الله هذه الأمةَ**).

وقول هذا المنكر: إن النبي أَجلُّ مَقاماً من أن يصلي خلف غير نبي – جوابه: أن نبينا صلى الله عليه وسلم أجلُّ الأنبياء مَقاماً وأرفعُهم درجة **وقد صلى خلف عبد الرحمن بن عوف مرة وخلف أبي بكر الصديق أخرى**.

وقال: (إنه لم يمت نبي **حتى يصلي خلف رجل من أمته**). ثبت ذلك في أحاديث صحيحة فكيف يتجه لهذا المنكر أن يقول هذا الكلام بعد ذلك؟!.

ولست أعجب من إنكار من لا يَعرف. إنما أعجب من إقدامه على تسطير ذلـــك في ورق يُخَلَّـــدُ بعـــده ويُسطَّرُ في صحيفته.

ثم رأيت في مصنف ابن أبي شيبة: ثنا أبو أسامة عن هشام عن ابن سيرين قال: المهدي من هذه الأمة وهو الذي يَؤُمُّ عيسى ابن مريم عليه السلام). انتهى.

ثالثاً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((لكن ليش رسول مش عالمي عليه الصلاة والسلام على عيسى رسول مـــش عالمي رسول لبني إسرائيل ومضروب مثلاً لهم ومرسل فيهم هو الذي يبعث يوم القيا.. قبل يوم القيامة أيها الإخوة ويوحد الملل والأديان؟ تعرفون يخدم ماذا هذا؟ يخدم شبهة الإلهية فيه. يقولك ما هو إله ابن إله نور ابن نور)). انتهى.

فقد سبق الرد عليه ونذكر به ثانية هنا فإن الذكرى تنفع المؤمنين فقد سبق أن قلنا نصاً:

(وأما كون الذي سيأتي آخر الزمان هو عيسى عليه السلام وهو نبي النصارى وليس هو نبينا سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين فهذا أدعى لإثبات صحة دين الإسلام وإقامة الحجة بذلك على النصارى لأن الذي سيقر بذلك هو نبيهم نفسه الذين يزعمون اتباعه. فتكون شهادته عليه السلام بذلك عند عودته على غرار وشهد شاهد من أهلها. فهي بذلك أعظم خدمة وأقوى حجة بلا ريب لدين الإسلام وأنه دين الحق لا دين التثليث دين النصارى المحرف.

وإذا سلمنا أن مجرد عقيدة عودة المسيح عليه السلام في آخر الزمان رغم اختلاف السبب الذي سيأتي من أجله والدين الذي سيأتي به هو خدمة للنصرانية بل أعظم خدمة تخدم النصرانية فمن باب أولى أن تكون عقيدة المسلمين أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً أدعى أن يقال فيها أنها تخدم أعظم ما خدمت به النصرانية أعظم مما تخدمه به عقيدة عودة المسيح عليه السلام لأن دين النصارى على ما هو عليه الآن قائم في الحقيقة على عقيدة ألوهية المسيح لا على عودته. وأعظم ما يخدم ذلك هو موافقتهم في اعتقاد إحيائه للموتى لأن ذلك

بحسب اعتقاد النصارى وزعمهم لا يكون إلا لمن كان إلهاً بزعمهم فهذه الخوارق والتسليم بها يدعم شبهة ربوبية المسيح عند النصارى وهم يستغلونها في إثبات عقيدهم الباطلة.

فهذا أدعى بحسب منهج الدكتور عدنان أن ننفي أيضاً هذه الخوارق عن عيسى عليه السلام ونؤول ما جاء فيها في القرآن كما فعل المتنبئ القادياني الكذاب فنؤول إحياء الموتى على سبيل المثال بأنه إحياء القلوب الميتة الغافلة عن الله وعن حقيقته وعن حقيقة بشرية عيسى عليه السلام حتى لا تتوافق عقيدتنا مع عقيدة النصارى وحتى لا تخدم شبهة الربوبية عندهم!!!.

فما يمكن أن يَرُدَّ به الدكتور عدنان على هذه النقطة هو ما يُرَدُّ به على كلامه سواء بسواء.

هذا من جهة ومن جهة أخرى وإذا كان من المعلوم أن القرآن الكريم حرص على دحض انحرافات النصارى وتحريفاتهم لدين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ودحض كذبهم وما افتروه في معتقداتهم الباطلة ودينهم المحرف فنفى القرآن عقيدة ألوهية المسيح ونفى عقيدة التثليث ونفى عقيدة الصلب فالسؤال الذهبي والجوهري الآن للدكتور عدنان ومن يوافقه هو: طالما أنه لولا هذه العقيدة عقيدة رجعة أو عودة عيسى عليه السلام لما قامت المسيحية بحسب كلام ديورانت الذي نقله الدكتور عدنان مستشهداً به فلماذا القرآن لم ينف في المقابل هذه العقيدة عقيدة رجعة أو عودة عيسى لو كانت عقيدة باطلة وكاذبة نفياً صريحاً مباشراً مثلما نفى عقيدة ألوهية المسيح وصلبه؟!!!.

والذي لا مفر منه أن هذا يؤكد جلياً على أن هذا الجزء من اعتقاد النصارى بعودة المسيح في آخر الزمان وأنه الآن حي في السماء إلى حين عودته ورجعته هو اعتقاد صحيح موافق للحق. والقرآنُ مُقِرٌّ له مثل إقراره لاعتقادهم في المسيح أنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيصير طيراً. وأن الباطل والكذب فيما يعتقده النصارى هو فقط ما أنكره وبَيَّن كذبه القرآن من اعتقاد ألوهية المسيح وأنه قُتل وصُلب وأنه سيعود رباً وإلهاً ينصر عقيدة التثليث الباطلة). انتهى.

رابعاً وأخيراً:

وأما قول الدكتور عدنان: ((الرسول عليه السلام لما ناقش وفد نجران في السنة التاسعة نصارى نجران إيش قال لهم؟ قال لهم ألستم تقرون أن الولد يشبه أباه قالوا بلى يا محمد قال: فإن ربنا حـــي لا يمـــوت وإن عيسى أتى عليه الفناء)). انتهى.

فهذه إحدى حجج القاديانية أتباع القادياني المتنبئ الكذاب وهي حجة أوهى من بيت العنكبوت.

فالرواية أول من أوردها هما ابن جرير الطبري (المتوفى عام ٣١٠هـــ) في تفسيره وابن أبي حاتم (المتـــوفى عام ٣٢٧هـــ) في تفسيره وكلاهما روى الرواية بلفظ: (وأن عيسى يأتي عليه الفناء) بصيغة المـــضارع لا الماضي.

والطبري أسند الرواية في تفسيره على هذا النحو:
(حدثني المثنى قال حدثنا إسحاق قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع). انتهى.

وابن أبي حاتم أسندها في تفسيره على النحو التالي:
(حدثنا أبي ثنا أحمد بن عبد الرحمن ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع). انتهى.

والرواية كاملة نقلاً من تفسير الطبري هي كالتالي:
(حدثني المثنى قال حدثنا إسحاق قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله: "الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" قال: إنّ النصارى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاصموه في عيسى ابـــن مـــريم وقالوا له: من أبوه؟

وقالوا على الله الكذبَ والبهتانَ لا إله إلا هو لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً.

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولدٌ إلا وهو يشبه أباه؟

قالوا: بلى!

قال: ألستم تعلمون أن ربَّنا حيّ لا يموت وأنّ عيسى **يأتي** عليه الفناء؟

قالوا: بلى!

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قَيِّمٌ على كل شيء يكلأهُ ويحفظه ويرزقه؟

قالوا: بلى!

قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟

قالوا: لا.

قال: أفلستم تعلمون أن الله عز وجل لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟

قالوا: بلى.

قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما عُلِّم؟

قالوا: لا.

قال: فإنّ ربنا صوّر عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك؟

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يُحدِث الحدَث؟

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غُذِّي كما يغذّى الصبيّ ثم كان يَطعم الطعام ويشرب الشرابَ ويُحدث الحدَث؟

قالوا بلى.

قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟

قال: فعرفوا ثم أبوا إلا جحودًا فأنزل الله عز وجل: "الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"). انتهى.

وكذا هي في تفسير ابن أبي حاتم على النحو التالي:
(حدثنا أبي ثنا أحمد بن عبد الرحمن ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله: "الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" قال: إن النصارى أتو النبي صلى الله عليه وسلم فخاصموه في عيسى ابن مريم وقالوا: من أبوه؟

فقالوا على الله الكذب والبهتان لا إله إلا الله لم يتخذ صاحبة ولا ولدا.

فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى **يأتي** عليه الفناء؟

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلأه ويحفظه ويرزقه؟

قالوا: بلى.

قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيء؟

قالوا: لا.

قال: أفلستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟

قالوا بلى.

قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما عُلِّم؟

قالوا: لا.

قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء.

ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟

قالوا: بلى.

قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟

فعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً فأنزل الله: "الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"). انتهى.

ولكن المفسر الواحدي النيسابوري (المتوفى عام ٤٦٨هـــ) في كتابه "أسباب النزول" **ذكر المناظرة من مجموع عدة مرويات دمجها في بعض** فذكر في سبب نزول السورة القصة على النحو التالي:

(قال المفسرون: قدم وفد نجران وكانوا ستين راكباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم:

"فالعاقب" أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه: عبد المسيح.

و"السيد" إمامهم وصاحب رحلهم واسمه: الأيهم.

و"أبو حارثة بن علقمة" أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم. وكان قد شـــرف فيـــه ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم. وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا لـــه الكنـــائس لعلمـــه واجتهاده.

فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثيـــاب الحـــبرات جبات وأردية في جمال رجال بين الحارث بن كعب.

يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما رأينا وفداً مثلهم. وقـــد حانـــت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم: (دعوهم). فصلوا إلى المشرق.

فكلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسلما.

فقالا: قد أسلمنا قبلك.

قال: كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير.

قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه؟

وخاصموه جميعاً في عيسى.

فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟

قالوا: بلى.

قال: (ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى **أتى** عليه الفناء؟

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟

قالوا: بلى.

قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟

قالوا: لا.

قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث.

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟

قالوا: بلى.

قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟

فسكتوا فأنزل الله عز وجل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضعة وثمانية آية منها). انتهى.

وعلى هذه الرواية بصيغة الماضي اتكأ القاديانية والدكتور عدنان. والرواية كما يتضح مصدرها رواية الطبري وقد تبين أنها بصيغة الحاضر لا الماضي.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الرواية [حتى على التسليم بأنها بصيغة الماضي] واضحة في احتجاج النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين على وفد نصارى نجران بما يؤمنون به ويُقرونه وإن كان ما يؤمنون به باطلاً.

فكأنه يقول لهم ألستم تعلمون أن الولد يشبه أباه وفي المقابل تزعمون أن عيسى كغيره من البشر يموت ويأتي عليه الفناء باعتبار أنكم تقرون أنه مات على الصليب فكيف يستقيم هذا مع كونه ابن الله والله حي لا يموت؟

هذا هو الواضح من سياق المناظرة وهو شبيه بما سبق أن وضحناه من منهج الشيخ أحمد ديدات رحمه الله تعالى الذي كان يحتج على النصارى بمقتضى ما تقوله أناجيلهم ليثبت لهم تناقضها ومن ثم بطلانها.

ومن ثم فإن الاستدلال بهذه الرواية على أن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين قد قالها مقراً لنصارى نجران بصحة قولهم هو تحميل للمعنى فوق ما يحتمل.

إذ يلزم من ذلك القول بأن عيسى عليه السلام قد صُلب أيضاً ومات على الصليب كما تزعم النصارى لأن النصارى لا يقرون إلا بأنه أتى عليه الفناء بموته على الصليب.

وهذا يؤكد أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين قد قال ذلك ليس تسليماً لهم بصحة هذا القول وإنما قاله من قبيل الاستدلال عليهم بما يقرونه ويقولون هم أنفسهم به مثبتاً لهم بطلان معتقدهم إلزاماً لهم بما يلتزمونه ليس إلا.

وحتى على التسليم بأنه قالها تسليماً منه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين بصحة ذلك وأن عيسى عليه السلام قد أتى عليه الفناء فعلاً فإما أن تُرد هذه الرواية بمعارضتها لما هو أثبت وأصرح من الأخبار المتواترة في رفع عيسى عليه السلام حياً إلى السماء وهو الموافق للقرآن الكريم الذي نفى القتل والصلب عن نبيه عيسى عليه السلام وأثبت نجاته ورفعه إلى السماء على ما سبق.

وإما أن يُجمع بينها وبين هذه الروايات بما سبق ذكره وأقره الدكتور عدنان نفسه من أنه لا علاقة لزومية بين أنه مات ولن يعود. فيكون هذا موافقاً لما ذهب إليه ابن حزم من أنه مات ورفعه الله إلى السماء وسيعود في آخر الزمان.

على أنا نؤكد على وضوح سياق الرواية وأنها كما أسلفنا من قبيل إلزام النصارى بما يلتزمونه ليس إلا والاحتجاج عليهم بما يقرونه لا بما نقره نحن في ديننا كما هو جلي من سياق القصة.

وإتماماً للفائدة أنقل ما قاله المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في تعليقه على الحديث عند تحقيقه لكتاب "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" للكشميري رحمه الله تعالى حيث قال أبو غدة تعليقاً على عبارة (فخاصموه في عيسى ابن مريم):
(أي جادلوه. وتوضيح مجادلتهم أن وفد نصارى نجران - وهي بلدة كبيرة تشتمل على قرى كثيرة على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن — قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم.

وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم هم: أبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وحبرهم. والعاقب عبد المسيح وهو أميرهم وذو رأيهم ومشورتهم لا يصدرون إلا عن رأيه. والسيد الأيهم وهو صاحب رحلهم ومجتمعهم.

وهم من النصرانية على دين الملِك مع اختلافٍ من أمرهم يقولون في عيسى: هو الله. ويقولون: هو ولد الله. ويقولون: هو ثالث ثلاثة.

فهم يحتجون في قولهم (هو الله) بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائراً. وذلك كله بإذن الله تبارك وتعالى ليجعله آية للناس.

ويحتجون في قولهم (إنه ولد الله) بأنهم يقولون: لم يكن له أب يُعلم. وقد تكلم في المهد وهذا شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله.

ويحتجون في قولهم (إنه ثالث ثلاثة) بقول الله عز وجل: فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا. فيقولون: لو كان الإله واحداً ما قال إلا: فعلت وأمرت وقضيت وخلقت. ولكنه: هو وعيسى ومريم.

فلما كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسلما. قالا: أسلمنا. قال إنكما لم تسلما فأسلما. قالا: بلى قد أسلمنا قبلك. قال: كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله عز وجل ولداً وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير. قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه وخاصموه جميعاً في عيسى فقال لهم:... إلى آخر الخبر المذكور. وأنزل الله عز وجل صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها. كما في "السيرة النبوية" لابن هشام ٢ :٢٢٤-٢٢٥. وأسباب النزول للواحدي ص٦٨. وتفسير ابن جرير ٣ :١٠٨.

ورأيت استكمالاً للفائدة أن أورد هنا ما قاله الإمام السُّهيلي في "الروض الأُنُف" ٢ :٤٧-٤٩. تعليقاً على ما احتج به الأحبار والقسيسون لمعتقدهم بعيسى وأمه عليهما السلام. ولو كان فيه طول فإنه من نفيس العلم.

قال رحمه الله تعالى:
(احتج الأحبار والقسيسون من أهل نجران بقوله عز وجل: خلقنا وأمرنا وأشباه ذلك وقالوا: هذا يدل على أنه ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم.

وهذا من الزيغ بالمتشابه دون رده إلى المحكم نحو قوله تعالى: {وإلهكم إله واحد} [البقرة: ١٦٣]. و: {قل هو الله أحد} [الاخلاص:١].

والعجب من ضعف عقولهم كيف احتجوا على محمد بما أُنزل على محمد وهو أعلم بمعنى ما أُنزل عليـــه. لأن هذا اللفظ الذي احتجوا به مجاز عربي وليس هو لفظ التوراة والإنجيل.

وأصل هذا المجاز في العربية أن الكتاب إذا صدر عن حضرة مَلِك كانت العبارة فيه عن المَلِك بلفظ الجمع دلالةً على أنه كلامُ مِلِك متبوع على أمره وقوله.

فلما خاطب الله العرب بهذا الكتاب العزيز أنزله على مذاهبهم في الكلام وجاء اللفظ فيه على أســـلوب الكلام الصادر عن حضرة المِلك.

وليس هذا في غير اللسان العربي ولا يتطرق هذا المجاز في حكم العقل إلى الكلام القديم إنما هو في اللفـــظ المترل. ولذلك نجده سبحانه إذا أخبر عن قول قاله لنبي قبلنا أو خاطب به غيرنا قال: {ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي} و لم يقل خلقنا بأيدينا. كما قال {مما عملته أيدينا}. وقال حكاية عن وحيه لموســـى: {ولتصنع على عيني} و لم يقل كما قال في الآية الأخرى: {تجري بأعيننا} لأنه سبحانه أخبر عن قول قاله لم يُترله بهذا اللسان العربي و لم يحك لفظاً أنزله وإنما أخبر عن المعنى. وليس المجاز في المعنى.

ولذلك لا يجوز لعبد أن يقول رب اغفروا لي. ولا ارحموني. ولا عليكم توكلت، ولا إليكم أنبت.

ولا قالها نبي قط في مناجاته ولا نبي في دعائه لوجهين أحدهما: أنه واجب على العبد أن يُشعر قلبَه التوحيد حتى يُشاكل لفظُه عَقْدَه – أي معتقده –.

الثاني: ما قدمنا من سير هذا المجاز وأن سببه صدور الكلام عن حضرة المِلك موافقـــة للعـــرب في هـــذا الأسلوب من كلامها واختصاصه بعادة ملوكها وأشرافها.

ولا تنظر لقول من قال في هذه المسألة: وبذلك روجعوا. يعني: بلفظ الجمع. واحتج بقوله سبحانه خـــبراً عمن حضره الموت من الكفار إذ يقول {رب ارجعون}. فيُقال له هذا خبر عمن حـــضرته الـــشياطين وحضرته زبانية العذاب وجرى على لسانه في الموت ما كان يعتاده في الحياة من رد الأمر إلى المخلـــوقين فلذلك خَلَط فقال: رب. ثم قال: ارجعون.

وإلا فأنت أيها الرجل المجيز لهذا اللفظ في مخاطبة الرب سبحانه هل قلتَ قط في دعائك: ارحمون يـــا رب وارزقون؟

بل لو سمعت غيرك يقولها لسطوت به!.

وأما قول مالك وغيره من الفقهاء: الأمر عندنا. أو رأينا كذا. أو نرى كذا. فإنما ذلك لأنه قول لم ينفرد به ولو انفرد به لكان بدعة. و لم يقصد به تعظيماً لنفسه لا هو ولا غيره من أهل الـــدين والدَّعـــة – أي التواضع –.

وأما احتجاج القسيسين بأن عيسى عليه السلام كان يُحيي الموتى ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه. فلو تفكروا لأبصروا أنها حجة عليهم لأن الله تعالى خصه دون الأنبياء بمعجزات تُبطل مقالة مـــن كذبـــه وتبطل أيضا مقالة من زعم أنه إله أو ابن الإله واستحال عنده أن يكون مخلوقاً عليه السلام من غير أب.

فكان نفخه في الطين فيكون طائراً حياً: تنبيهاً لهم لو عقلوه على أن مثله كمثل آدم خلق من طين ثم نفخ فيه الروح فكان بشراً حياً.

فنفخ الروح في الطائر ليس بأعجب من ذلك الكل فِعلُ الله تعالى. وكذلك إحياؤه للمـــوتى وكلامـــه في المهد كل ذلك يدل على أنه مخلوق من نفخة روح القدس في جيب أمه و لم يخلق من مني الرجال فكـــان معنى الروح فيه عليه السلام أقوى منه في غيره فكانت معجزاته روحانية دالة على قوة المناسبة بينه وبـــين روح الحياة ومن ذلك بقاؤه عليه السلام حياً إلى قرب الساعة.

وروي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن الروح الذي تمثل لها بشراً هو الروح الذي حملت به وهو عيسى عليه السلام دخل من فيها إلى جوفها. رواه الكشي بإسناد حسن يرفعه إلى أبي بن كعب رضي الله عنه.

وخُص عليه السلام بإبراء الأكمه والأبرص وفي تخصيصه بإبراء هاتين الآفتين مشاكلة لمعناه عليه الـــسلام. وذلك أن فرقة عميت بصائرهم فكذبوا نبوته وهم اليهود. وطائفة غلوا في تعظيمه بعدما ابيضت قلـــوبهم

بالإيمان ثم أفسدوا إيمانهم بالغلو فمثلهم كمثل الأبرص ابيضَّ بياضاً فاسداً. ومثل الآخرين مثـــل الأكمـــه الأعمى. وقد أعطاه الله تعالى من الدلائل على الفريقين ما يبطل المقالتين.

ودلائل الحدوث - من ولادته ونشأته وأكله وشربه ونومه وما إلى ذلك - تثبت له العبودية وتنفي عنـــه الربوبية.

وخصائص معجزاته تنفي عن أمه الريبة وتثبت له النبوة ولها الصديقية. فكان في مسيح الهدى من الآيات ما يشاكل حاله ومعناه حكمة من الله تعالى.

كما جعل سبحانه في الصورة الظاهرة من مسيح الضلالة وهو الأعور الدجال ما يشاكل حاله ويناســـب صورته الباطنة على نحو ما شرحنا وبينا في غير هذا الكتاب والحمد لله. انتهى.). انتهى.

** **خاتمـــــة:**

إن مما يشهد لصحة أحاديث نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان إضافة لكل ما سبق هو ما جاء في الحديث: (يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ **عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ**). انتهى.

قال المناوي معلقاً على الحديث في كتابه "فيض القدير":

((شَرْقِيَّ دِمَشْقَ) قال ابن كثير: هذا هو الأشهر في محل نزوله **وقد وُجدت منارة بزمننا** سنة (إحدى وأربعين وسبع مئة) بحجارة بيض ولعل هذا يكون **من دلائل النبوة الظاهرة حيث قيض الله من بناها**). انتهى.

ثم علق على تخريج الحديث بقوله:

(قال الهيثمي: رجاله ثقات. وقال في بحر الفوائد: **قد ورد في نزوله أحاديث كثيرة روها الأئمة العدول التي لا يردها إلا مكابر أو معاند**). انتهى.

وتأكيداً على هذا المعنى من أنه قد ورد في نزول عيسى عليه السلام أحاديث كثيرة روتها الأئمة العــدول التي لا يردها إلا مكابر أو معاند فلا يسعنا إلا أن نختم بما افتتح به الغماري رحمه الله تعالى كتابه "عقيــدة الإسلام في نزول عيسى عليه السلام" حيث قال:

(أما بعد،،،

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الصادق المصدوق أن عيسى ابن مريم عليهما السلام سيترل في آخر الزمان مصدقاً بسيدنا محمد على ملته فيقتل الدجال الأعور اللعين الذي يدعي الألوهية وكذلك يقتل الخنازير أيضاً ويكسر الصليب ويقاتل الكفار على الإسلام ولا يقبل منهم الجزية وينتشر في زمنه الأمن والعدل ويكثر المال حتى لا يقبله الناس.

وفي وقته يخرج يأجوج ومأجوج ويهلكهم الله بدعائه ويمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه.

تواتر هذا المعنى تواتراً لا شك فيه بحيث لا يصح أن ينكره إلا الجهلة الأغبياء كالقاديانية ومن نحا نحوهم. لأنه نقل بطريق جمع عن جمع حتى استقر في كتب السنة التي وصلت إلينا تواتراً بتلقي جيل عن جيل.

فقد رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبو هريرة وأبو سريحة حذيفة بن أسيد والنواس بن سمعان وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص وواثلة بن الأسقع وابن مسعود وحذيفة بن اليمان ومجمع بن جارية وعبد الله بن مغفل وعائشة وسمرة بن جندب وأنس بن مالك وأبو أمامة وعثمان بن أبي العاص وعمار بن ياسر وابن عباس وثوبان ونافع بن كيسان الثقفي وكيسان بن عبد الله بن طارق الدمشقي وعمرو بن عوف ونافع بن عتبة وأبو برزة وعبد الرحمن بن سمرة وأبو سعيد الخدري وأم سلمة وعمران بن حصين وأبو الدرداء وأوس بن أوس وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

ثم رواه عن هؤلاء سعيد بن المسيب ونافع مولى أبي قتادة الأنصاري وعطاء بن ميناء وحنظلة بن علي الأسلمي وعبد الرحمن بن آدم وسعيد بن ميناء وصالح مولى أبي هريرةومطير الهلالي وكليب الجرمي وأبو الطفيل — وهو صحابي صغير — والربيع بن عميلة وجبير بن نفير ويعقوب بن عاصم الثقفي وأبو الزبير وعبد الله بن يزيد وأبو نضرة وعمرو بن عبد الله الحضرمي ومؤثر بن عفازة وربعي بن حراش وأبو صالح

وأبو قلابة وعلقمة وأبو يحيى مولى ابن عفراء وعبد الأعلى بن عدي البهراني وأيوب بن نافع بن كيسان الثقفي ونافع بن كيسان بن عبد الله بن طارق الدمشقي وعبد الله بن عمرو بن عوف والحسن البصري وعروة بن رويم وطاووس وأبو عبد الرحمن الحبلي وغيرهم من التابعين.

ثم رواه عن هؤلاء الزهري والمقبري وقتادة وسليم بن حيان وهشام بن عروة وموسى بن مطير وعاصم بن كليب وفرات القزم وعبد الرحمن بن جبير بن نفير والنعمان بن سالم وابن جريج وابن ليلى وعبد الله بن ثعلبة الأنصاري وعلي بن زيد بن جدعان ويحيى بن أبي عمرو السيباني وجبلة بن سحيم وأبو حازم الأشجعي والحضرمي بن لاحق وأيوب وإبراهيم وسعيد بن حثيم ومحمد بن علي بن عبد الله بن عباس ولقمان بن عامر الوصابي وعبد الرحمن بن أيوب وربيعة بن ربيعة وكثير بن عبد الله وعمرو بن سفيان الثقفي والربيع وأبو رزين وعبد العزيز بن رفيع وعبد الرحمن بن زياد الأفريقي وغيرهم.

ثم رواه عن هؤلاء صالح بن كيسان وسفيان بن عيينة والليث بن سعد ويونس ومحمد بن أبي حفصة وابن أخي الزهري وابن أبي ذئب والأوزاعي وعبيد الله بن عمر وسفيان بن حسين وهمام ويحيى بن عروبة وسعيد بن أبي عروبة وهشام الدستوائي وكعب أبو عبد الله البصري وعفان بن مسلم وأبو داود الطيالسي صاحب "المسند" وصالح بن عمر ويحيى بن جابر الطائي قاضي حمص وشعبة وحجاج بن محمد ومعمر صاحب كتاب "الجامع" وأبو زرعة السيباني وحماد بن زيد وصدقة بن المنتصر والعوام بن حوشب وأبو مالك الأشجعي ويحيى بن أبي كثير ومغيرة والخليفة أبو جعفر المنصور ومحمد بن الوليد الزبيدي والوليد بن مسلم وإسماعيل بن أبي أويس وأبو جعفر وعاصم أحد أئمة القراء وغيرهم.

ثم رواه عن هؤلاء جمع غفير لا يكاد يحصى منهم إبراهيم بن سعد الزهري وعلي بن المديني وقتيبة بن سعيد وابن بكير وعبد الرزاق صاحب "المصنف" وعثمان بن عمر وعمرو بن محمد العتقزي وروح ويزيد بن هارون وهدبة بن خالد وبشر بن معاذ وجعفر الصائغ ويونس بن محمد ومعاذ العنبري وغندر والوليد بن شجاع وهارون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر وعبد الرحمن المحاربي وإسماعيل بن رافع وسعيد بن هبيرة ومحمد بن إبراهيم العبدي وعمران بن أبي عمران الصوفي وهشيم ومحمد بن بشار وخلف بن خليفة وسعيد بن سليمان الواسطي وشيبان بن عبد الرحمن والحسن بن موسى الأشيب وعباد بن منصور وإسماعيل بن عياش وعبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدي وبقية بن الوليد وأبو النضر وهشام بن خالد وبهلول بن إسحاق ومحمد بن جعفر الإمام والمثنى وهشام بن عمار ومحمد بن الحسن بن الخليل.

ثم تلقاه أصحاب الكتب المؤلفة في السنة ودونوه في مؤلفاتهم على اختلاف أنواعها ودرجاتها.

فرواه من أصحاب المسانيد: أبو داود الطيالسي وإسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل وعثمان بن أبي شيبة وأبو يعلى والبزار والديلمي وغيرهم.

ورواه من أصحاب الصحاح: البخاري ومسلم وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأبو عوانة والإسماعيلي والضياء المقدسي وغيرهم.

ورواه من أصحاب الجوامع والمصنفات: معمر وعبد الرزاق وأبو بكر بن أبي شيبة وغيرهم.

ورواه من أصحاب السنن: أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وسعيد بن منصور والبيهقي وأبو عمرو الداني وغيرهم.

ورواه من أصحاب التفسير المأثور: عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر وابن منده وغيرهم.

ورواه من أصحاب المعاجم: الطبراني وغيره.

ورواه من أصحاب الأجزاء والغرائب والمعجزات ومعاني الأخبار وطبقات الرجال والملاحم وغير ذلك: أبو سعيد النقاش وابن أبي الدنيا والدارقطني وأبو الشيخ بن حيان والطحاوي وأبو نعيم وابن عدي والثعلبي والخطيب البغدادي وابن النجار وابن عساكر ونعيم بن حماد والترمذي الحكيم وغيرهم.

ومما لا نزاع فيه أن العادة قاطعة باستحالة أن يتواطأ هذا الجمع العظيم – من الصحابة والتابعين وحملة الحديث النبوي – على الكذب والخطأ أو أن يقع ذلك منهم اتفاقاً من غير تواطؤ.

بل العادة تحيل الكذب والخطأ على جمعٍ أقل من هذا الجمع حتى أن جماعة من العلماء منهم ابن حزم قرروا أن الحديث إذا اجتمع على روايته خمسة من الصحابة كان متواتراً ونظرهم في ذلك قوي سديد لأن الصحابة كانوا على أكمل حال من العدالة والضبط والإتقان لا يدانيهم في ذلك أحد.

هذا إلى ما ميزهم الله به من فصاحة اللسان وسيلان الأذهان وطهارة الجنان مع فُطروا عليه من حب الصدق واستهجان الكذب والنفرة من سفاسف الأمور وغير ذلك مما أهلهم لصحبة النبي عليه السلام ونصرة دينه وتبليغ شريعته إلى أمته.

وقد أخرج أحمد في "السنة" والبزار والطبراني في "الكبير" بإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله عز وجل نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالاته. ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ).

ولما أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يجمع القرآن حين استفحل القتل بالقراء في وقعة اليمامة قال لعمر وزيد رضي الله عنهما: من جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه.

قال زيد بن ثابت: فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} إلى آخر السورة.

وأبو خزيمة الأنصاري هو خزيمة بن ثابت جعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهادته بشهادة رجلين فكان يُسمَّى (ذا الشهادتين) رضي الله عنه.

فالصديق رضي الله عنه اكتفى بشهادة اثنين في القرآن الذي هو أصل الدين وأساس اليقين ومن ينكر شيئاً منه يكفر بإجماع المسلمين لعلمه بما كان عليه الصحابة من شدة التحرز والتيقظ والتثبت بحيث إذا اجتمع اثنان منهم على رواية شيء لم يبق للوهم والخطأ فيه احتمال.

فما ظنك بحديث يرويه جمع من الصحابة يزيد عددهم على عشرين يتلقاه عنهم مثلهم من التابعين ثم مثلهم من تابعي التابعين وهلم؟

لا شك أنه يكون متواتراً على جميع الاصطلاحات المقررة ولا يمكن أن يحوم حوله قول مَن نَفَى التواتر أو ادَّعى قِلَّتَه.

لأنه قولٌ صدر عن قلة اطلاع وعدم التروي فكان نصيبه مخالفة الواقع ومجانبة الحقيقة وكان حقيقاً بالإهمال جديراً بعدم الاعتبار.

والمستدل به على نفي تواتر حديث مخصوص كما فعل بعض جهلة المبتدعة اليوم في محاولته نفي تواتر نزول عيسى عليه السلام يكون بالغاً حد المنتهى في الجهل والضلال.

فإنه لا أجهل ولا أضل ممن يتعامى عن الحقيقة ماثلة بين يديه واضحة ملموسة ويُحال نفيُها بقول فلان وفلان.

ويرحم الله البوصيري حيث يقول:

قَدْ تُنْكِرُ العينُ ضَوْءَ الشَّمسِ مِنْ رَمَدٍ ** وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ

وقد صرح جمع غفير من العلماء بتواتر حديث نزول عيسى عليه السلام.

فمنهم الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. قال في الكلام على قول الله تعالى: {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران:٥٥]. بعد نقله روايات في التوفي ما نصه:

وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا من قال: معنى ذلك إني قابضك من الأرض ورافعك إلي لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (يترل عيسى ابن مريم). اهـــ. ثم روى أحاديث في الترول.

ومنهم الحافظ أبو الحسين الآبري. قال في كتاب "مناقب الشافعي" أثناء الكلام على إبطال حديث (لا مهدي إلا عيسى ابن مريم) وإثبات أن المهدي غير عيسى ما نصه:

وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواها عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في المهدي أنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً وأن عيسى عليه الصلاة والسلام يخرج فيساعده على قتل الدجال وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى خلفه في طول من قصته وأمره. اهـــ. نقله الإمام القرطبي في "التذكرة" والحافظ بن حجر في "فتح الباري" وسَلَّماه.

ومنهم الإمام الفقيه أبو الوليد بن رشد وسيأتي كلامه بحول الله.

ومنهم الإمام ابن عطية. قال في تفسيره ما نصه:

وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حي وأنه يترل في آخر الزمان فيقتل الخترير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل وتظهر به ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويحج البيت ويعتمر. اهـــ. نقله الإمام أبو حيان في "البحر المحيط" وسَلَّمه.

ومنهم الحافظ ابن كثير فقد صرح بالتواتر في مواضع من تفسيره منها عند الكلام على قوله تعالى في سورة النساء: {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} [النساء:١٥٩]. وأورد جملة وافرة من أحاديث الترول. ومنها عند الكلام على قوله تعالى في سورة الزخرف: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا} [الزخرف:٦١]. وكذلك صرح بالتواتر في تاريخه "البداية والنهاية" وتوسع في إيراد الأحاديث فليراجع. ولعلنا ننقل كلامه فيما بعد إن شاء الله.

ومنهم العلامة محمد بن علي الشوكاني ألف كتاباً خاصاً في هذا المعنى سماه "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح" وهو مطبوع بالهند أورد فيه طرق كل من حديث المهدي ونزول عيسى وخروج الدجال. وقال بعد إيرادها ما نصه:

فتقرر أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة والأحاديث الواردة في الدجال متواترة والأحاديث الواردة في نزول عيسى ابن مريم متواترة. اهـــ.

ومنهم السيد صديق بن حسن القنوجي صرح بالتواتر في كتابه "الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة" ناقلاً كلام الشوكاني وغيره وهو مطبوع بالهند أيضاً.

ومنهم شيخنا وشيخ بعض شيوخنا العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله. أورد نزول عيسى في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" وذكر جماعة من الصحابة الذين نقلوه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال:

وقد ذكروا أن نزوله ثابت بالكتاب والسنة والإجماع والأحاديث في نزوله كثيرة. اهـــ. وكتابه مطبوع في فاس فليراجع.

ومنهم العلامة المحدث الشيخ محمد أنور الكشميري الديوبندي رحمه الله ألف كتاباً خاصاً سماه "التصريح بتواتر نزول المسيح" وتوسع في إيراد الأحاديث بأسانيدها توسعاً بالغاً فأفاد وأجاد. وكتابه مطبوع بالهند يتعين الوقوف عليه. وصرح بنزول عيسى أيضاً في كتابه "إكفار الملحدين في ضروريات الدين" وهو مطبوع بالهند أيضاً.

وقال العلامة المحدث أبو الطيب محمد شمس الحق في "عون المعبود" ما نصه:

تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وآله وسلم من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند قرب الساعة وهذا هو مذهب أهل السنة. اهـــ. ثم ذكر جملة من الأحاديث الصحيحة الصريحة.

فهؤلاء عشرة من العلماء أو يزيدون صرحوا بتواتر نزول عيسى عليه السلام وهم بعض من كل وقل من كثر. ولو ذهبنا نتتبع أقوال العلماء واحداً واحداً طال الحال وأدى إلى الملال فاجتزأنا بهذا القدر الذي يكفي من جَنَّبَه الله داء البدع ورزقه العلم والورع.

...

وأما الأئمة وغيرهم من العلماء فكثيرون جداً منهم الإمام مالك قال في العتبية:

بينما الناس قيام يستمعون لإقامة الصلاة فتغشاهم غمامة فإذا عيسى ابن مريم نزل. اهـ. نقله الإمام الباجي في "شرح الموطأ" والعلامة الأُبِّي في "شرح مسلم".

وهذه الرواية هي الصحيحة عن مالك لموافقتها للأحاديث والآثار ولهذا قبلها كبار أهل المذهب كالباجي و لم يؤولوها بشيء بخلاف رواية موت عيسى فإنها باطلة لمخالفتها للأحاديث والآثار ولهذا أولّها أبو الوليد بن رشد كما سيأتي.

ومنهم الإمام أبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن. قال أبو جعفر الطحاوي في كتابه "اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن" ما نصه:

ونؤمن بخروج الدجال الأعور اللعين ونزول عيسى ابن مريم عليهما السلام من السماء. اهـ.

ومنهم الإمام أحمد. أخرج ابن أبي يعلى في "الطبقات" والخلال وابن الجوزي في "المناقب" عن عبدوس بن مالك أبي محمد العطار قال:

سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة. ثم ذكر جملة من عقيدة أهل السنة ثم قال ما نصه:

والإيمان بأن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن وأن عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد. اهـ.

وصرح بهذا أيضاً في الرسالة التي كتبها إلى مسدد في بيان سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. انظر "مناقب الإمام أحمد" لابن الجوزي.

ومنهم أبو الحسن الأشعري إمام أهل السنة. قال في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" ما نصه:

جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يردون من ذلك شيئاً. وذكر طائفة من عقائدهم إلى أن قال:

ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله. وقال في آخر العقيدة:

وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب. اهـــ. ومن أراد الوقوف على بقية كلامه فلينظر كتابه المذكور وهو مطبوع بالأستانة. ولينظر كتاب "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" لابن القيم فقد نقل في أوله كلام الأشعري بتمامه مستدلاً به لما حكاه من إجماع أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان اليوم). انتهى باختصار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

_*_*_

الفهرس

-*-*-

تمت بحمد الله تعالى وتوفيقه

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

متابع